دار الثقافة

# افتراضات زائفة



هنري كلود
جون تاونسند

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

# افتراضات زائفة

تأليف

د. هنري كلـــود
د. چون تاونسيند

ترجمة

نكلس نسيم سلامة



Originally published in the U. S. A.
under the title
**False Assumptions**


**طبعة أولى**

**افتراضات زائفة**

صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٧٧٥ ط١ / ١ - ٩٨/١
رقم الإيداع بدار الكتاب: ٩٨/١٥٧٣٦
ISBN 977 - 213 - 459-4
طبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف: أمجد تناغو

## مقدمة الدار

يطرح هذا الكتاب اثنى عشر افتراضاً، يعتقد الكثيرون بصحتها، ولكن الكتاب يتناول بالشرح والأدلة من الكتاب المقدس ما يفند هذه الافتراضات، ويضعف من تأثيرها على عقول الكثيرين.

كما ينير الكتاب على طريقة فهمنا لهذه الافتراضات، ومحاولة الغوص في أعماقها لنخرج منها بمنظور أشمل.

ويسر دار الثقافة أن تقدم هذا الكتاب للقارئ المصري والعربي ليساعدنا في حياتنا العملية ومواجهة الأحداث والمواقف الطارئة التي تواجه كل منا.

**دار الثقافة**

# المحتويات

صفحة

## مقدمة

يُستهل هذا الكتاب بمعضلة. ذلك أنه بين آونة وأخرى، نجد أن مرضانا المخلّصين، المؤمنين، المحبين للكتاب المقدس، والذين يتصارعون مع مشاكل عاطفية-ينؤون تحت عبء مضاعف-فهم لا يعانون فقط من الكآبة، أو تناول طعام مفروض عليهم لا يستسيغونه، أو يواجهون مشاكل في تعاملهم مع أشخاص ممن هم في مراكز السلطة فحسب، بل يجدون أنفسهم أيضاً مكبلين بتعاليم معينة، تبدو أنها تعاليم مسيحية، بيد أنها في واقع الحال ليست كذلك.

وتلك الأفكار تبدو حقيقية بالنظر إلى أن أولئك الذين يعلّمونها يستخدمون لغة كتابية، ويستشهدون بآيات من الكتاب المقدس. ومع ذلك فما هذه الأفكار سوى انطباعات عاطفية. فهى مجرد ادعاءات زائفة عن النمو الروحى والعاطفي. وما هى بكتابية، ولن يكتب لها النجاح.

وقد عرضنا لاثنى عشر تعليماً تبدو جديرة بالقبول لأن كلاً منها لا يخلو من شذرة من الحق، ومع ذلك، فإنه حين يحاول المسيحيون تطبيق هذه التعاليم يصابون بانهيار. ويتعرضون للألم والمعاناة دون مبرر.

وثمة امرأة كانت تعاني من اكتئاب شديد نتيجة التخلي عنها في طفولتها، أخبرها أحد معلمي الكتاب المقدس أنها بكل بساطة ليست في حاجة سوى أن تقضي مزيداً من الوقت مع الله. كما قال لها إنها تثق في الناس أكثر من اللازم. وكان من شأن ذلك أنها حاولت بكل أمانة أن تطبق المبدأ القائل: "لو كان الله لي، فلست في حاجة إلى إنسان". وهكذا عزلت نفسها أكثر فأكثر وابتعدت عن أولئك الذي يحبونها ويهتمون بأمرها لكي تمضي الوقت في الصلاة ودراسة الكتاب المقدس. كانت تقضي الساعات في عزلة، دون أن تتصل بأي إنسان.

وأخيراً، تفاقمت حالة الكآبة التي تملكتها حتى أدخلت المستشفى، وإبان فترة تواجدها هناك، وبعد جهد كبير، أدركت حقيقة ما يعلّم به الكتاب المقدس: وهو أن قدراً كبيراً من الشفاء الذي يمنحه الله يتأتى على أيدي أعضاء كنيسته.

وأكثر أمر مثير للدهشة البالغة هو أننا من خلال دراستنا غير الرسمية اكتشفنا أن المسيحيين الذين هم أقل دراية بالكتاب المقدس كانوا أقل من أولئك الذين هم على دراية واسعة به، وذلك من ناحية التعرض للضرر الذي تسببه هذه الافتراضات الزائفة التي يُدَّعي أنها تعاليم كتابية. وبعبارة أخرى، فإن المسيحيين الذين يعرفون الكتاب المقدس على أفضل وجه هم الأكثر عرضة للضرر، فحين يجمعون بين ولائهم للأسفار المقدسة وتلك التعاليم الخطيرة فلا ينجم عن ذلك سوى المزيد من الألم.

وعلى الرغم من أنهم في بعض الأحيان يتشككون في إيمانهم، غير أنهم في الغالب الأعمّ يلومون أنفسهم، قائلين إنهم لم يكونوا أمناء لله، أو إنهم كانوا يقاومون في السر ما يريد الله أن يقوله لهم. وفي كلتا الحالتين، كانت أعراض مرضهم تصير إلى الأسوأ. وتزيد معاناتهم ألماً.

ولم يكن والحال هذه أمام هذا الشخص الذي لحقه هذا الضرر سوى أحد خيارين: إما أن يترك الله وينشد الشفاء بواسطة العلاج النفسي الدنيوي، أو يظل في المسيحية التي يبدو أنها لم تنجح، وبكل بساطة يتعامل مع حقيقة كونه يعاني من اختلال وظيفي.

وفيما نواصل اكتشافنا لمثل هذه المشكلة، أخذنا نبحث في الكتاب المقدس عن إجابات لهذه المعتقدات التي كانت في الواقع تدفع الناس إلى الجنون. والواقع أننا اكتشفنا أنه ليس ثمة شئ جديد تحت الشمس: فهذه المبادئ التي تدفع الناس إلى الخبل تعرض لها كلها الكتاب المقدس بدءاً من مواجهة يسوع للفريسيين الذين كانوا يعتقدون أن الديانة المسئولة كانت في واقع الأمر هي صوت الله (مرقس ٧:٥)، وحتى فضح يوحنا مبادئ الغنوسيين الذين كانوا يقولون إنه يجب التضحية بالعلاقات الإنسانية في سبيل العلاقات الإلهية (يوحنا الأولى). ويقدم لنا الكتاب المقدس تصحيحات واضحة لكل هذه الأقوال الزائفة.

وتشترك غالبية هذه الادعاءات الزائفة في أمر واحد، وهى أنها تدفع المؤمن بعيداً عن إمكانات الله الخاصة بالنمو والشفاء، وتأتي به إلى نظام يبدو مسيحياً، بيد أنه لن ينجح.

منذ عدة سنوات خلت، طلب منا القس "سكوت راي" وكان في ذلك الحين راعياً للعزّاب في كنيسة (مارينرز) في نيوبورت بيتش بكاليفورنيا. أن نحاضر مجموعته الخاصة بالعزّاب في موضوع النمو الروحي. وقد جمعنا سلسلة من دروس الأحد الليلية، لمجموعة من دارسي الكتاب المقدس النشطين الجادين المتطلعين إلى المعرفة، والذين كانوا يريدون أيضاً إجابات أمينة على أسئلتهم المتعلقة بالنمو العاطفي. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا الكتاب.

ولقد أردنا أن نعمل أكثر من مجرد أن نعرض لهذه الادعاءات الزائفة وندحضها. ذلك أننا قصدنا إلى قول الحق عن مبادئ الله الخاصة بالنمو الروحي. ولذلك شرحنا في هذا الكتاب أصل هذه المبادئ الزائفة وبيّنا مواضع الخطأ فيها، وقدمنا سبيلاً كتابياً لحل المشاكل العاطفية والروحية.

والاستفادة من هذا الكتاب لا تتطلب معرفة كتابية، ذلك أنه مكتوب لكل شخص. بيد أنه موجه على وجه الخصوص لأولئك الذين يسعون لمعرفة ما إذا كان الكتاب المقدس يتفاعل حقاً مع آلامهم ومشكلاتهم، ونموهم الروحي، وكفاحهم.

والمشكلة يمكن حلها. فالكتاب المقدس يمكنه المعاونة في أن يجعلك صحيحاً، لا مريضاً، من الناحية العاطفية. فالله وكلمته يشكلان جزءاً من الحل-لا جزءاً من المشكلة.

ونحن نصلي من أجل أن تكون قادراً على التعرف على هذه المعتقدات الكتابية المغلوطة التي تدفعك إلى عدم التوازن. بل أكثر من هذا، فإننا نأمل أنك ستستخدم صدق كلمة الله، وروحه، وشعبه كي تنمو في النعمة والحق.

# الافتراض الأول

# "إنه من الأنانية أن أستوفي احتياجاتي"

كانت "سارة" تشعر بالإرهاق والوحدة بعد ظهر أحد أيام الاثنين، وتوجهت إلى المذياع وأدارته. لقد مرت بعطلة نهاية أسبوع عصيبة. فكل شئ طلبته من أطفالها تحوّل إلى معركة، أما زوجها فقد سمّر نفسه أمام التليفزيون. ولم تستطع أن تتذكر ما إذا كان قد قال أية كلمة تنم عن اهتمامه بها أو بالأطفال طوال عطلة نهاية الأسبوع هذه.

بدا الأمر لها وكأنه مزحة مريرة. فقد قال الممثل الكوميدي:

"سلني كيف كان يومي"

"حسناً-كيف كان يومك؟"

"لا تسألني عن ذلك"

كانت هذه مزحة مريرة بالنسبة لسارة. فلم تكن تريد أن تفكر في مدى ما كانت عليه من اكتئاب.

لعل المذياع يكون عوناً لها. وهنا أسرعت تقرأ برامج الإذاعة المنشورة في الجريدة. وكان الموضوع الذي تتناوله المحطة المسيحية هو: "العون عندما يتملكك اليأس". وقد تعرفت على اسم المتحدث، وكان راعياً محلياً يحظى باحترام كبير. فتحت المذياع على هذه المحطة. وسمعته يقول:

"....إذاً أنت تشعر بالإحباط، والمتاعب والوحدة، إنك واقع تحت ضغط شديد. وأحياناً تتساءل ما إذا كانت الأمور ستتغير بالنسبة لك في يوم من الأيام".

قالت سارة لنفسها: "ألعله يقرأ أفكاري؟ فقد كان يصف ما تحس به من مشاعر في تلك اللحظة عينها. لقد أدرك مشاعري.

"صديقي، هناك إجابة لما تفكر فيه وذلك من كلمة الله".

وكانت سارة تولي أهمية لكل تعليم قائم على أساس كتابي.

قال الراعي: "الإجابة هي، أن توقف التفكير في نفسك وتوجهه نحو الآخرين، وكما أن ربنا لم يكن يفكر في نفسه، بل أخلى نفسه للآخرين، فإننا سنجد فرحاً في التضحية بذواتنا وخدمة الآخرين. توقف عن الرثاء لحالك. توقف عن انغماسك في أحوالك الشخصية، واحصل على السلام من خلال مشاركتك للآخرين.

شعرت سارة وكأن قلبها يمتعض. وقالت في نفسها متعجبة: "السلام عن طريق المشاركة؟ لقد كنت أشارك بنفسي طوال عطلة نهاية الأسبوع، وها أنا ممزقة، ولست في سلام. ولم تكد تردد في ذهنها هذه الكلمات التي تدل على الامتعاض، إلا ووجدت نفسها تشعر بالذنب فور ذلك مباشرة. وعلى أي حال، كان الراعي يقتبس من الكتاب المقدس، وفي ظني أنه على صواب. ورددت في نفسها باكتئاب: "لقد كنت أنانية بالفعل".

وأسرعت تتصفح نشرة أخبار الكنيسة لترى ما هي اللجنة الإضافية التي بمقدورها التطوع في عضويتها، فعساها من خلال المزيد من الخدمة، تجد السعادة التي طالما جدّت في أثرها. بيد أنها شرعت تفقد الأمل في أنها لن تعرف معنى السعادة في يوم من الأيام، وأنها لن تشعر إطلاقاً بالرضاء عن نفسها أو عن حياتها.

وكل يوم يستمع المسيحيون المخلّصون من ذوي النوايا الطيبة إلى رسائل كتلك التي سمعتها سارة. وتلك الرسالة "توقف عن التفكير في احتياجاتك الشخصية". يقوم بتعليمها معلّمون مسيحيون من ذوي النوايا الحسنة، والذين لا يرمون إلا إلى مساعدة الناس على إطاعة المخلّص.

والمشكلة تتمثل في أن هذه ليست رسالة كتابية. وعلى الرغم من أنها تبدو صادقة. إلا أنها ليست تفسيراً دقيقاً للكتاب المقدس.

## أصل المشكلة

تعلّم الكثيرون منا ولمدة طويلة تعليماً حول إنكار الذات حتى أصبح له معنى عندنا. وعلى أي حال، أليست الأنانية هي جوهر خطيتنا؟ أليس من المفترض فينا أن ننكر ذواتنا ونضحي من أجل الله ومن أجل الآخرين؟

إن الأنانية بكل تأكيد، هي سبب وقوعنا في الخطية، لقد بدأ هذا كله في قلب "لوسيفر"، الذي كان ذات مرة من أعظم الملائكة قبل أن يسقط لمقاومته إطاعة الله، فبدلاً من ذلك أراد أن يتعالى على الله، ومن خلال آدم وحواء، ورثنا الميل إلى أن نزيح الله عن عرشه ونضع أنفسنا في مركز الكون.

وهذه مشكلة خطيرة. وحين نرفض أن نرى الله على حقيقته-ونرى أنفسنا على حقيقتنا-فنحن بهذا ننكر حقيقة أنه الله ونحن مخلوقاته. ونضع أنفسنا على العرش الذي لا ينبغي أن يشغله أحد سوى الله. نحن نؤلّه أنفسنا. ونتقي ونعبد "المخلوق دون الخالق" (رو ١:٢٥).

وليس صحيحاً فقط أن الأنانية هي أساس حالة الخطية التي نحن عليها. بل أنه علينا أيضاً أن ننكر ذواتنا ونضحي من أجل الله والآخرين. وواقع الحال أن يسوع لخّص الناموس والأنبياء من وصيتين بسيطتين: "تحب الرب إلهك...تحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢:٣٧-٤٠). ومحبتنا للآخرين تبين أننا ننتمي إلى الله. علينا

أن نعطي من ملئنا ومن كل القلب كما فعل يسوع الذي "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في ٢:٧-٨).

ونجد فقرات مماثلة تتحدث عن إنكار الذات كهذه الفقرة في الكتاب المقدس، بل ونسمع عن القول المأثور الذي يتردد كثيراً: "الله أولاً، الآخرون ثانية، والذات أخيراً". ونستخلص من ذلك أن الحياة المسيحية هي حياة تجاهل احتياجاتنا بل وبغضها، وعوض ذلك نركز على احتياجات الآخرين.

ومع ذلك، فإن قبول هذا المعتقد معناه الخلط بين الأنانية والوكالة. وهذا الافتراض الزائف الذي يقول:

"إنها أنانية أن أستوفي احتياجاتي"، يفشل في التمييز بين الأنانية والمسئولية المعطاة لإيفاء الإنسان احتياجاته. إنه يشبه قول شخص ما: "رأيتك ليلة أمس في محطة الغاز تملأ خزان سيارتك. ولم أكن أدري أنك أناني إلى هذا الحد. إنك في حاجة إلى أن تصلي من أجل أن تقضي وقتاً أكثر تملأ خزانات سيارات الآخرين بهذا الغاز". إنه لأمر سخيف حقاً، ولكن هذا بالضرورة ما قاله الراعي في الإذاعة لسارة في صباح يوم الاثنين المذكور. ومع ذلك، ما لم نقم بملء خزان سيارتنا بالغاز لن نستطيع الذهاب بعيداً.

والواقع أن الكتاب المقدس يقدر احتياجاتنا، والتي هي معطاة من الله والتي من شأنها أن تدفعنا إلى النمو وإلى الله. وإهمال الاحتياجات يؤدي إلى مشاكل روحية وعاطفية، ومع ذلك، فإن استيفائها من شأنه أن يحررنا لمواجهة احتياجات الآخرين بفرح ودون امتعاض.

لنلق نظرة وثيقة على وجهة النظر الكتابية فيما يتعلق بهذه الاحتياجات.

## عدم الكمال:

في إعلان تليفزيوني قديم عن الأسبرين، رأينا أماً شغوفة تساعد ابنتها الكبرى في إعداد طعام الغداء. وكان إصرار الأم المفرط على المساعدة شيئاً يبعث على الضيق، الأمر اللذي تولد عنه امتعاض ابنتها. وأخيراً انفجرت الشابة غاضبة، ومن ثم قالت: "أرجوك يا أمي، إني أفضل أن أعمل ذلك بنفسي".

وكل منا لديه نزعة الرغبة في عمل أمورنا بأنفسنا. وطلب العون والمساعدة أمر مزعج لا يرتاح معه الإنسان. وأحياناً لا يكون آمناً. ومع ذلك أوجد الله غريزة الاعتماد في كل واحد منا، فنحن جميعاً في حاجة إلى الله، وكل منا في حاجة إلى الآخر. وكما قال (چون دوني) وهو من الشعراء الإنجليز من القرن السابع عشر: "ما من رجل يشكل في حد ذاته جزيرة مكتفية بذاتها. فكل إنسان ما هو إلا قطعة من القارة، وهو جزء من كيانها الرئيسي، وإذا كان البحر بمقدوره أن يطيح بعيداً بكتلة من الطين، فإنه يستطيع ذلك أيضاً بالنسبة لأوربا ككل".

قصد الله بنا أن نكون غير كاملين في حد ذاتنا ومن تلقاء أنفسنا. ولقد أوجد الله عملية الاعتماد في نسيج الكون نفسه. فبدون أشعة الشمس الدافئة، سرعان ما تصبح الأرض قبراً متجمداً. وبدون الطعام والمأوى

اللذين يتوفران لنا من عناصر الكون، سوف تنفق الحيوانات. وإذا ما حرمت النباتات من الضوء والتربة والماء فلسوف تذوي.

فحتى الله يرغب في أن تكون له علاقات، على الرغم من أنه من الصعوبة بمكان تخيل أن الله كلي القدرة والقوة له احتياجات. ومع ذلك، فإن الله في جوهره هو كائن له علاقات. فهو محبة (١يو ٤:١٦)، والمحبة دائماً يكون لها هدف تحبه، والمحب لا يحب، من الوجهة النظرية فحسب.

وعلى هذا، فلمن يمد الله يده، لاحتياجاته إلى علاقات؟ من المؤكد أنه لا يلجأ إلينا في هذه الناحية. فعلى الرغم من أن الله يريد قربنا منه، إلا أنه ليس في حاجة إلينا. لأن هذا يضع الخالق في وضع المخلوق. فهو يحبنا ويعزنا، بيد أنه لا يحتاجنا.

والله كائن في ثالوث مقدس. ثلاثة أقانيم في واحد: الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨:١٩، ٢كو ١٣:١٤). وطبيعة ثالوثه تتيح علاقة دائمة وارتباطاً متواصلاً. وبطريقة ليس بمقدورنا أن نتخيلها، نجد أن الله دائماً في رفقة، ولم يكن في عزلة على الإطلاق، ومع ذلك، فلكونه الله فهو مكتف بذاته في إطار الثالوث القدوس.

ولقد اختبر يسوع وعبَّر عن احتياجاته إلى العلاقات. فقد كان في حاجة إلى أبيه. وكثيراً ما كان "يعتزل في البراري ويصلي" (لو ٥:١٦، مر ١:٣٥). وقد استخدم تعبير "أبا الآب" حين كان يخاطب أباه في السموات، مشيراً بذلك وبصفة خاصة إلى علاقة وثيقة وحميمة مع الله.

واحتاج يسوع إلى ما هو أكثر من أبيه، كان في حاجة أيضاً إلى الأصدقاء، ومع أن القصد الأساسي من ذهاب يسوع إلى بستان جثسيماني هو أن يكون وحيداً من الآب، إلا أن قصده الثاني تمثل في أن تكون له قلة مختارة من تلاميذه كي يشاركوه -من على بعد-في آلامه: فقد شارك بطرس ويعقوب ويوحنا في آلامه "نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا" (مر ١٤:٣٤). وفي أحلك الليالي التي شهدتها نفسه، لجأ يسوع إلى أصدقائه لمساندته (على الرغم من أنهم فشلوا في مصاحبته).

## احتياجات ناجمة عن التجسد:

لأننا مخلوقون على صورة الله وعلى شبهه، فقد خلقنا أيضاً لأن نلجأ إلى غيرنا للحصول على احتياجاتنا. ولكن الأمر لم يتوقف عند هذه النقطة، فالكتاب المقدس لم يعلمنا فقط عن عدم كمالنا، بل يعلمنا أيضاً أننا نحتاج للآخرين-احتياجاتنا إلى "يسوع بالجسد".

وفيما يعتقد كثيرون من المؤمنين أنهم لا يستطيعون الحياة في خواء، إلا أنهم لا يرتاحون إلى أحد سوى الله "والأمور الروحية" لملء هذا الفراغ. ومع ذلك فإن الله لا يريدنا أن نكون محبوبين لديه فقط، بل وأن يحب كل منا الآخر. وقد سميت هذه "بالاحتياجات الناجمة عن التجسد" ولسوف نعرض لها بتوسع في الفصل السابع.

ولكن لماذا يعد هذا متعلقاً بالتجسد؟ السبب هو أن يسوع يقف فريداً في كل ديانات العالم. لقد صار إنساناً-جسداً (تجسد) لكي يوجد صلة بنا على الحال الذي نحن عليه. ويبيِّن لنا أن الله يريد أن يرتبط بالناس، كشخص. وكما يقول يوحنا الرسول: "الذي كان في البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١:١).

وتعد المسيحية فريدة في ذلك، ففي حين أن الديانات الأخرى تتضمن تطلع البشرية إلى الله، إلا أنه في المسيح ينزل الله إلى مستوانا. وبعبارة أخرى، فإن الله القادر على كل شئ ينزل ويظهر علاقته بالبشر بواسطة إرساله يسوع. وكما جاع هو، وعطش، وشعر بالوحدة، هكذا نفعل نحن أيضاً.

ويعلم الكتاب المقدس عن احتياجاتنا المرتبطة بالتجسد. فعلى سبيل المثال، فإن الله، بعد أن خلق آدم، رأى أنه "ليس جيداً أن يكون آدم وحده" (تك ٢:١٨)، ومن ثم فقد خلق حواء. ولقد خلق الله البشر ليكونوا في حاجة إليه، وفي حاجة إلى بعضهم البعض. ويقول الجامعة "وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثان ليقيمه" (جا ٤:١٠). ومن بين أكثر الأنشطة الروحية التي بمقدورك ممارستها هي أن تحتاج إلى آخرين.

## احتياجاتنا منطقية:

في مجموعة العلاج النفسي اليومي في المستشفى، والتي أتولى قيادتها، كان بعض أعضاء هذه الجماعة يشعرون باكتئاب، وبعضهم لديه مشاكل إجبارية وأخرى تتعلق بالإدمان، وكانوا جميعاً من المؤمنين، والكل كان يتحدث عن تعلم كيفية الاعتماد على آخرين من ناحية حاجتهم العاطفية.

ومع ذلك فإن الحديث أزعج (ريموند)، والذي كان في المستشفى منذ ثلاثة أيام. وكان يعاني من اكتئاب شديد. وكان يقاوم مجيئه إلى البرنامج، لأنه شعر بأنه فاشل من الناحية الروحية. وكان يري أن المؤمن الذي يصاب باكتئاب هو مؤمن فاتر أو ضعيف.

وقد احتج (ريموند) قائلاً: "إن موضوع الاحتياجات هذا ليس ملزماً. علينا أن نقدم النعمة للعالم ونبعد عن أذهاننا هذا الهراء".

فسألته: "إنه لأمر هام إذاً أن نخدم العالم. فأجاب: "بلا شك. علينا أن نقدم التعزية والتشجيع والرجاء لمن يحتاجون إلى ذلك، باسم يسوع".

قلت": من المؤكد أنه ليس لدى أية مشكلة من هذه الناحية. ولكن، هل تحصل أنت أيضاً على العزاء والتشجيع والرجاء؟" أجاب: "إن هذا أمر ينطوي على أنانية، لأن الله لا يريدني أن أركز على نفسي".

- إذاً، فإن الله يستخدمك لإيذاء الناس".

- ماذا؟

- "إذا كانت حاجتك إلي التعزية والتشجيع والرجاء تُعد أنانية منك، فإن احتياج الآخرين إليها ستكون أنانية أيضاً. وإذا كان لا يجوز لك أن تحصل عليها، فلا يجوز لك أيضاً أن تعطيها".

تغير فكر (ريموند) اللاهوتي بشكل تدريجي، وهكذا أيضاً تغيرت علاقاته بزوجته وأطفاله. فقد تعلم أن يتقبل حقيقة احتياجه، وأن يتقدم ويطلب العون حين يحتاج إليه.

إن الافتراض القائل: "إنها أنانية أن أستوفي احتياجاتي"، هو افتراض زائف، وذلك ليس مرده فحسب أنه يضر الناس، بل لأنه يجافي الحقيقة أيضاً. فهو أمر غير منطقي، وليس له معنى. فإن تقدم كأس ماء بارد لأولئك الذين يحتاجونه، فلابد وأن نكون قد شربنا منه نحن أنفسنا. وإذا كان لنا أن نغفر للآخرين، فنحن في حاجة لأن نكون قد غُفر لنا. ويوضح الرسول بولس هذه الحقيقة بشكل أفضل وذلك بقوله:

"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية. الذي يعزينا في كل ضيقتنا حتى نستطيع أن نعزي الذين هم في كل ضيقة بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله" (٢ كو ١:٣-٤).

## صُممت احتياجاتنا لكي تدفعنا إلى النمو

حاول العلماء لسنوات طويلة اختراع ماكينة تدور بصفة دائمة، وتستطيع أن تعمل دون حدود بدون وقود أو صيانة، لكنهم فشلوا في ذلك. ولسوف يكون أمراً ظريفاً إذا ما استطعنا جميعاً أن نكون آلات تعمل بصفة دائمة، دون أن نحتاج إلى طلب العون، أو استدعاء صديق حين يتملكنا إحباط أو ذعر، ولا نكون في حاجة إلى طلب النصيحة حين تختل أمورنا المالية، ولا نحتاج إلى الحديث مع أحد حين لا نسيطر على طعامنا أو يتداعى زواجنا.

وتدفعنا احتياجاتنا لأن ندرك أننا مخلوقون، وأنه يتعين علينا أن ننظر إلى فوق، إلى الله بكل اتضاع ونطلب منه ما نحتاج إليه. ومكانتنا المتواضعة إنما جعلت لتدفعنا إلى أن نقترب إلى الله، وإلى الآخرين، وأخيراً إلى أن ننضج "إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف ٤:١٣).

وقصة يسوع عن الفريسي والعشار توضح هذه النقطة:

"إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار. أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا: "اللهم أنا أشكرك لأني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه. وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء. بل قرع على صدره قائلاً: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ". أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع" (لو ١٨:١٠-١٤).

كان الفريسي يصلي في ركن منعزل يتفاخر بأعماله الصالحة أما العشار فإنه حتى لم يرفع نظره نحو السماء. لقد أدرك خطاياه وأعوازه، الأمر الذي دفعه إلى الله.

وما لم تدرك احتياجاتك، فستصبح خاملاً ولا يتوافر لك مبرر لأن تسعى إلى الله. فالذين لا تظهر عليهم أعراض المرض لا يتوجهون إلى الطبيب. ومن السهل أن تنكر بشريتك حين لا تعاني من ارتفاع ضغط الدم، أو مشاكل الوزن، أو ضيق التنفس، ومع ذلك ما أن تعاني من زيادة الوزن، أو تتعرض لنوبات دوار (دوخة)، أو ضيق في التنفس-إلا وتجد نفسك قد توجهت إلى الطبيب. وهكذا أيضاً، حين تشعر بالوحدة والاكتئاب، هنا، تجد أنك تتقرب إلى الآخرين وإلى الله أيضاً، ولسوف يكون هناك دائماً حاجة إلى الدواء العلاجي أكثر من الحاجة إلى الدواء الوقائي.

وهكذا، تضعنا احتياجاتنا في وضع لا نرى معه بُداً من طلب العون، وكما أن العطش يحملنا على الشرب، ويجبرنا الجوع على إيجاد الطعام، فإن حاجتنا الروحية والعاطفية تجبرنا على اللجوء إلى شخص آخر. وقد طلب العشار الرحمة، ثم "نزل إلى بيته مبرراً" (لو ١٨:١٤).

## صممت احتياجاتنا بحيث تدفعنا إلى الاتضاع

طالما نعتقد أننا أفضل من كثيرين، فإننا نادراً ما نعترف باحتياجنا ونطلب العون. ونبعد أنفسنا عن الآخرين على غرار ما فعله (أدوم). لأن الأدوميين نشدوا الأمن في الابتعاد عن الآخرين وعدم الاختلاط بهم، لكن تكبّر قلبه كان خادعاً (عو ١:٣). وكما جاء في الكتاب المقدس: "كبرياء الإنسان تضعه" (أم ٢٩:٢٣).

جاء إليّ (چيم وبريندا) ينشدان المساعدة في أمر يتعلق بالزواج. وسرعان ما تبين لي أن "چيم" كان من الناحية العاطفية مكتفياً ولكن بطريقة مبالغ فيها. فحين أخذت (بريندا) الأطفال من رحلة خارج المدينة لزيارة والدتها، كان (چيم) يتصل بهم يومياً للاطمئنان عليهم، ولكنه لم يقل إطلاقاً أنه يشعر بالوحدة لبعده عنهم أو أنه اشتاق إليهم.

ولما سألته (بريندا) عن أحواله، كان جوابه "أنت تعرفينني، إني على خير حال، تمتعوا أيها الأولاد بوقتكم". لقد كانت بريندا تعرف زوجها، ولكن بطريقة ليست جيدة تماماً. وكانت تعلم أنه ما من شئ يهزه، فقد كان يواجه أمر فقده لوظيفته، أو مرضه، أو خلافاته مع أصدقائه دون أن يتحرك له جفن، وكانت تعرف أنه ليس في حاجة إلى مساعدة من أحد.

وأخيراً، طفح الكيل (ببريندا)، فتوجهت إلى العيادة النفسية الخاصة بالأزواج. وكانت شكواها هي: "لست أعرف ما الذي حمل (چيم) على الزواج بي، ولا أشعر أن لي أية أهمية عنده. وأحياناً أتمنى لو أن تلمّ بنا مأساة كبيرة بحيث تدفعه لطلب العون مني".

بدا "چيم" متعجرفاً في نظر زوجته بسبب أنه تعود أن يبدو كذلك. فوالده كان غائباً في صغره، وكانت أمه من النوع الذي يتكل على غيره، وكانت غير ناضجة. وقد تعلم منذ صغره ألا يعتمد على أي شخص آخر. وكان يرى أن والدته في ضعفها لا تستطيع أن تتحمل رؤيته وهو يبكي، أو يعاني من الوحدة أو الحزن، لأن ذلك سوف يدفعها إلى الكآبة. ومن ثم كان (چيم) يكبت مشاعره السلبية وكذلك حاجته إلى الآخرين (ولكن

ليس الحاجة نفسها ) ، كما أصبح أيضاً واسع الحيلة ويشعر بالمسئولية.

ومما يدعو إلى السخرية، أن سعة حيلته وشعوره بالمسئولية كان لهما تأثيراً قاسياً على زواجه، ولم تكن لدى (بريندا ) حاجة نفسية لأن تشعر بأن هناك من يحتاج إليها. ولكنها كانت تريد أن تعرّف رجلها فحسب. لكن مقاومته لأن يكون ضعيفاً جعلته يظهر بمظهر التكبر المغرور، الأمر الذي أبعدها عنه.

ولم يبدأ "چيم" في تغيير سلوكه وإعادة بناء زواجه، إلا بعد أن أدرك أن اكتفاءه الذاتي ما هو إلا غرور وليس تحملاً للمسئولية.

إننا مسئولون عن أنفسنا، وكل منا يحمل عبء همومه والتزاماته ومشاكله. ويقول لنا الرسول بولس: "لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه" (غل ٦:٥). وهذا استقلال وظيفي تمارسه من خلال تنفيذ مسئولياتك العادية لأنك لا تطلب من الآخرين العمل لإعالتك، أو أن يسددوا ما يستحق عليك من فواتير.

ومع ذلك، فنحن في ذات الوقت نتكل على غيرنا من ناحية العلاقات، فكل منا يريد أن يكون موضع حب، الذي هو وقود الحياة. وكوننا مرتبطين بالله والآخرين فذلك ييسر لنا سبل الحياة. فنحن في حاجة إلى المشاركة الوجدانية، والتعزية، والفهم والطمأنينة من قبل الآخرين. ولقد تعلم (چيم) أن يكون مستقلاً من الناحية الوظيفية (وهذا أمر صحي)، ومستقل من ناحية العلاقات (وهذا أمر غير صحي). فهو في حاجة إلى أن يقيم علاقات مع الآخرين. إنه تعلم أن يحتاج للآخرين. وهذا هو الاتضاع. "كبرياء الإنسان تضعه والوضيع الروح ينال مجداً" (أم ٢٩:٢٣).

إن المتواضعين يعرفون أنه ليس بمقدورهم عمل كل شئ بأنفسهم، لأن الاتضاع يعلمهم طلب المساعدة. وهم يدركون أنه عليهم طلب العون لكي يعيشوا. وهذا هو السبب في أن الكتاب المقدس يخبرنا أن الله "كما أنه يستهزئ بالمستهزئين هكذا يعطي نعمة للمتواضعين" (أم ٣:٣٤).

## صُممت احتياجاتنا لتقربنا إلى الله

قال يسوع في إجابته على هجوم شنّه عليه الفريسيون: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة. لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩:١٢-١٣).

إن الله لا ينقذ الناس الكاملين. لكنه ينقذ من يواجهون مشاكل. والذين ليس لديهم شئ يتطلب الإصلاح، لا يكون لديهم ما يقولونه له، فإن المساكين بالروح، والحزانى، والودعاء، هؤلاء هم المطوبون (مت ٥:٣-٥) لأن هؤلاء يمكن أن يشبعوا، ويتعزوا، ويقدم لهم العون. ولم يقل الله أبداً طوبى للذين لا يخطئون إطلاقاً في عملهم. لأنه ما لم يكسر شئ فلن يكون هناك ما يمكن إصلاحه.

لقد انجذبنا نحو رسالة الإنجيل هذه لأنه لدينا مشاكلنا. وبعد انضمامنا إلى الكنيسة نقضي الأربعين سنة

التالية في محاولة لإخفاء مشاكلنا. وعدم وجود المشاكل يُعد مشكلة.

إن موقف البر الذاتي الذي يحملنا على الاعتقاد بأنه ليست لدينا أية مشاكل هو الذي كان من شأنه إنشاء جمعية "مدمني الخمر المجهولين" في الأربعينات. لقد اكتشف الناس أنه في هذه الاجتماعات يكون لديهم ما يناضلون من أجله، وبوسعهم أن يكونوا محتاجين. والواقع أنه كان عليهم أن يعترفوا بنقائصهم في كل اجتماع. والكنيسة في أيامنا هذه تخطو خطوات واسعة نحو تبني هذا الموقف الكتابي. كما يجب على الكنيسة أن تكون مكاناً آمناً لكل من يشعر أنه ناقص، غير كامل أو محتاج.

### إهمال احتياجاتنا يولد مشاكل روحية وعاطفية

إن كان الله قد خلقنا بحيث تكون لنا احتياجات، فمن المنطقي أن عدم استيفاء هذه الاحتياجات يمكن أن ينجم عنه مشاكل كبيرة. تماماً مثلما أن إهمال تغيير زيت السيارة يتلف محركها، وإهمال احتياجاتنا الطبيعية المعطاة من الله من شأنه أن يشل حركتنا.

جاءت إليّ (كارين)، وهي سيدة ترتدي ملابس مهنية وهي في الثلاثين من عمرها-تشكو من حالة اكتئاب تملكتها. وأخبرتني أن التركيز في العمل وفي القدرة على النوم من المصاعب التي تواجهها. وقد اعتزلت عائلتها وأصحابها. وراودتها فكرة الانتحار وألحت عليها أكثر فأكثر. ولم يسفر الفحص الطبي الشامل عن أي مرض عضوي. وفي حالة الاكتئاب الشديدة كانت تشعر باليأس والعجز، ولم تكن لديها أية فكرة عن سبب حالتها هذه.

وأثناء جلستنا الأولى، تفحصت علاقاتها الماضية والحاضرة. وكان (لكارين) وضعاً قيادياً ممتازاً في كنيستها المحلية، وكانت عضواً نشيطاً في مجتمعها، وكانت زوجة وأماً رائعة. ومع ذلك، فكل شخص تقريباً له أهمية، في حياة (كارين) والدتها ووالدها، أختها، أفضل صديقة لها في المدرسة الثانوية، صديقها في الكلية، إما أنه تخلى عنها، أو لم يكن له علاقة عاطفية معها.

لقد تزوجت (بيتر) وهو رجل طيب، والذي على الرغم من ذلك لم يستطع أن يكوّن علاقات عاطفية عميقة (تماماً مثلما كان عليه حال كارين). وكان عمله يحمله على أن يتغيب كثيراً عن البيت، ولكن هذا من بعض النواحي، كان موضع ارتياح لكل منهما، وقالت (كارين): "بالنظر إلى أننا نادراً ما نرى بعضنا البعض، فمن ثم يزيد تقدير كل منا للآخر حينما نلتقي".

وقد تربى أطفالهما على أيدي والدين لا يعرفان كيف يتلقيان ما يعطيانه. وكان لأولادهما مشاكلهم. فابنتهما التي في التاسعة من عمرها كانت منطوية من الناحية الاجتماعية، وابنهما المراهق بدأ يخالط صحبة غير طيبة.

وكلما أكثرت (كارين) من الكلام ازدادت الصورة وضوحاً، فعزلتها الشخصية العاطفية كانت تكرر

نفسها في زواجها وفي كنيستها، وقد ظلت لعشرات السنين في فراغ عاطفي لا تعتمد إلا على إردتها القوية، وشعورها بالذنب، وعقار الأدرينالين. أما الآن فقد أصبحت في حاجة إلى أن تتعلم العمل المتواضع بأن تملأ خزينتها الروحية، بالله والناس.

وبعد أن أعطيت كارين تشخيصاً، سألتني قائلة: "ألا يوجد كتاب أستطيع قراءته، أو ندوة بمقدوري حضورها؟ قلت لها: "باعتبار أنه لا علاقات لك كما هو حالك الآن، فإن حالة الكآبة التي تعانين منها ستزداد سوءاً، مهما قرأت من كتب أو حضرت من ندوات".

اتخذت (كارين) الخطوة التي تحمل مخاطرة، وبدأت تتعلم كيف ترتبط، وكيف تطلب العون، والمساندة، والتعزية، والفهم. ولم يكن هذا بالشئ الهين، لكنها بذلت كل ما في وسعها ولمدة طويلة. وفيما أصبحت أكثر اتضاعاً، حيث أدركت احتياجاتها، وبدأت تطلب المساعدة على استيفائها، شرعت حالة الاكتئاب التي تتملكها في التلاشي شيئاً فشيئاً.

لقد كان اكتئاب (كارين) يمثل إشارة تبين لها أنها في حاجة إلى شئ خارج نفسها، على الأقل قراءة كتاب أو حضور ندوة، بحسب اعتقادها. لقد استجابت للإشارة وتعلمت كيف تكون في حاجة وأن تكون مسكينة في الروح. فالله يوضح لنا الغرض والإمكانات، وابتدأت (كارين) تتعلم كيف تطلب.

إن الأعراض السيكولوجية، هي الوسيلة التي من خلالها يعرّفنا الله بأن هناك خطأ بالنسبة لأمر ما. فالكآبة، والقلق، واضطرابات المعدة، وسوء استخدام المال، والسلوكيات الإجبارية، ما هي سوى أعراض لمشكلة أعمق. والكتاب المقدس يطلق هلى هذه الأعراض كلمة "أثمر" "هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة. وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة" (مت ٧:١٧-١٨). وبكلمات أخرى فإن الأثمار الردية ليست هي المشكلة، بل إنها مجرد عرض من أعراض المشكلة. وعلينا أن نجتهد لنجد جذر المشكلة، ثم نداويها. ويجب أن ننتبه إلى ما يظهر علينا من أعراض سيكولوجية، وروحية، وعلاقاتية، لأنها تعرفنا ما إذا كنا نستوفي احتياجاتنا أم لا.

### استيفاء احتياجاتنا يساعدنا على استيفاء احتياجات الآخرين

إن الافتراض الزائف الذي نحن بصدده، يُعد مغرياً جداً للمؤمنين، وذلك لأن كل واحد منا يريد أن يظهر محباً ومهتماً. ومع ذلك، فإن رغبتنا في التضحية من أجل الآخرين، هي ما يستغله بعض المعلّمين لتخويفنا وحملنا على الاعتقاد بأن اهتمامنا باحتياجاتنا سيغرقنا في دوامة التأمل في أنفسنا، والمتعة أو النرجسية (حب الذات).

ويقول الكتاب المقدس إن هذا الافتراض بعيد تماماً عن الحق، لأنه إذا ما استوفينا احتياجاتنا، فإن هذا سيحررنا ويساعدنا على استيفاء حاجات الآخرين-دون امتعاض-لأن النفس الشبعانة-روحياً وعاطفياً- تساعدنا على العطاء بسرور (انظر ٢ كو ٩:٦-٧).

فأكثر الناس تعزية في العالم، هم الذين سبق لهم أن تعزوا، وأكثر الناس تفاهماً هم الذين سبق أن فُهموا، وأكثر الناس محبة، هم الذين سبق أن كانوا موضع حبٍ. ولا غرابة في أن أكثر التلاميذ محبة لدى يسوع (يو ٢١ : ٢٠) أصبح يُعرف برسول المحبة. فما أخذه، أعطاه فيما بعد.

وقد واجه يسوع سمعان الفريسي بهذه الحقيقة، حين دخلت امرأة خاطئة-بعد أن غمرتها نعمة الله- وغسلت قدمي يسوع بدموعها: "من أجل ذلك أقول لك قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً" والذي يغفر له قليل يحب قليلاً" (لو ٧:٤٧). فبعد أن وجدت مغفرة أصبحت المرأة قادرة على أن تحب كثيراً، في حين أن سمعان الفريسي لم ير حاجته، ولذلك عجز أن يحب بصدق.

وعلى النقيض مما كان يعلّم به واعظ الإذاعة بكل همة، بدأت (سارة) تستوفي احتياجاتها أولاً.

لقد استقالت من عضوية بعض اللجان. وكيّف الناس الذين كانوا يعتمدون عليها أنفسهم بدونها، فيما كانت هي تحصل على العون. والأكثر أهمية هو أنه حين كانت في حاجة، فعوض أن تقوم بالزيارة وتعرض المساعدة، كانت تزور وتطلب العون.

قالت لي: "إنه أمر مختلف حقاً، فلم أكن أتوقع ما حدث لخدمتي. فساعة بعد أخرى ربما كنت أعمل من أجل الآخرين أقل مما اعتدت عمله، ولكن ما كنت أعمله كان هيناً عليَّ بكثير. فلأول مرة في حياتي المسيحية، كنت أريد بحق أن أقدم العون. كنت راغبة في الخدمة، ولم أكن أشعر بامتعاض أو ذنب. وأعتقد أني أتعلم بالفعل ما يشعر به حقاً الإنسان المحب".

بوسع الإنسان أن يعمل أسوأ من الجلوس عند قدمي امرأة خاطئة والتعلم منها. والفريسيون في حياتك قد يرغبون أن تبتعد عما يذكرك باحتياجاتك. وأنت في حاجة بالفعل لأن تتمسك بتعاليمهم الكتابية الصحيحة (مت ٢٣:٢-٣)، لكنك إذ تزداد إدراكاً بنقصك الشديد، ويأسك العميق، وحاجتك لمحبة الله والآخرين، هنا تصبح بحق-كما فعلت المرأة الخاطئة، ومثلما عملت (سارة)-أكثر شبهاً بسيدنا المسيح.

عليك أن تسأل نفسك: هل أنا أطلب ما أحتاج إليه فقد تحتاج إلى عون في وقت الشدة، أو نصيحة بالنسبة لمشكلة ما، أو تعزية عن خسارة، وأبو الأنوار يرحب بكل هذه الحاجات "لأن كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار" (يع ١:١٧)، وهي كثيراً ما تصلنا عن طريق أناس آخرين (أع ٩:٦-١٩).

## الافتراض الثاني

# "إذا كنتُ روحياً بما فيه الكفاية
# فلن تعرف حياتي الألم أو الخطية"

كان "تيد" محبطاً. وكان إحباطه يزداد يوماً بعد يوم حتى إنه بدأ يتساءل ما إذا كان مؤمناً حقاً. وعلى ذلك زاد من دراسته للكتاب المقدس والصلاة، وكان يستمع إلى كل ما يستطيع الحصول عليه من شرائط الحياة الروحية.

لم يزد إلا اكتئاباً. وبدأ يسائل نفسه: "هل حياته هذه تستحق أن يحياها". وإذ لم يكن له مكان آخر يلجأ إليه.، فقد سعى للحصول على مشورة أحد المختصين.

قال لي قائلاً: إني في الواقع لم أحصل عليها. لقد درست الكتاب المقدس وثابرت في محاولة إطاعته. وكنت أتصرف في إطار الإيمان كلما استطعت ذلك. وحفظت ما جاء في الكتاب المقدس عن ظهر قلب. وأحاول أن تكون خياراتي صحيحة. وتعلمت على يد أفضل معلمي الكتاب المقدس في العالم. ولكن ما زلت محبطاً.

سألته: "ماذا تعني بقولك إنك لم تحصل عليها؟ لماذا تعتقد أن كل هذه ا الأمور بوسعها أن تحفظك من الكآبة؟

أجاب قائلاً: "لأنه إذا سار أي مؤمن حقيقي مع الرب، فإنه لن يصير مكتئباً على هذا النحو، فالاكتئاب يكون دائماً نتيجة فشل روحي ما. غير أنني لا أستطيع معرفة الخطأ الذي أرتكبه.

## ما علاقة الألم بالصلاح؟

إن "تيد" ليس هو الوحيد الذي يفكر على هذا النحو، فيوجد مؤمنون كثيرون يعتقدون أنه إذا كانت لهم حياة روحية صحيحة فلسوف لا يعانون من مشاكل عاطفية، وأنهم بشكل ما سيتجنبون الخطية. وإذا ما غزا الألم أو الخطية حياتهم فإنهم يأخذون ذلك دلالة على أن هناك في حياتهم شيئاً خاطئاً من الناحية الروحية.

والافتراض الخاطئ الذي يسبب معاناة المؤمنين في هذه الناحية يقول: "إذا كنتُ شخصاً روحانياً بما فيه الكفاية، فلن تعرف حياتي الألم أو الخطية".

وحين يُصاب هؤلاء الناس بأي ضرر، تراهم يعجزون عن تفسير ذلك. هل فشلوا؟ هل تخلى الله عنهم؟

هل عليهم أن يعملوا شيئاً مختلفاً من الناحية الروحية حتى يتلاشى ما هم فيه من ألم؟ هل هذا الألم عقاب لهم على خطية ما؟.

والذين يقولون هذا الافتراض لا يرون أمامهم سوى خيارين فحسب: عليك أن تبذل جهداً أكثر في التأديبات الروحية، وإما عليك أن تتخلى تماماً عن الحياة الروحية.

## مثال أيوب

لعل أشهر شخصية معروفة تعلمت هذا الدرس هى شخصية أيوب الذي تحدث عن الكتاب المقدس، لقد خسر خسارة فادحة: فممتلكاته إما أنها سُرقت أو دُمرت، وقُتل عبيده، وفقد أبناؤه حياتهم إذ انهار البيت فوقهم، وحتى جسده فقد غطته القروح الأليمة.

وعلى غرار ما فعله (تيد)، تساءل أيوب عن سبب ذلك. كيف يتأتى لإله محب أن يسمح بحدوث هذه الأمور؟ لقد عمل أيوب كل ما هو مستقيم، ومع ذلك فهو يعاني آلاماً لا يمكن تصورها.

وفيما تعمق اكتئابه، لم يتمنى أيوب سوى أن يموت: "فاختارت نفسي الخنق الموت على عظامي هذه" (أي ١٥:٧). وبكل الإيمان هذا لم يعرف ما نطلق عليها نحن حياة زاخرة.

وحين جاء أصحاب أيوب (المتعبون) كي يعزوه، سرعان ما طرحوا عليه هذا الافتراض الزائف.

"أليست تقواك هى معتمدك ورجاؤك كمال طرقك. اذكر من هلك وهو برئ وأين أبيد المستقيمون" (أي ٤:٦-٧).

وبعبارة أخرى، لو كنت تقياً حقاً ما كنت لتتألم.

"هل الله يعوّج القضاء أو القدير يعكس الحق، إذا أخطأ إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم، فإن بكّرت أنت إلى الله وتضرعت إلى القدير، إن كنت زكياً مستقيماً فإنه الآن يتنبه لك ويسلم مسكن برك" (أي ٨:٣-٦).

وبعبارة أخرى، إنك تعاني لأنك ترتكب الخطايا. ولو كنت صالحاً حقاً لما لحقك ألم.

"إن أعددت أنت قلبك وبسطت إليه يديك. إن أبعدت الإثم الذي في يدك ولا يسكن الظلم في خيمتك. حينئذ ترفع وجهك بلا عيب وتكون ثابتاً ولا تخاف. لأنك تنسى المشقة. كمياه عبرت تذكرها" (أي ١١:١٣-١٦).

وبكلمات أخرى، إذا تكلمت تماماً على الله، وبعدت عن الخطية فسوف يتلاشى ألمك.

"تعرّف به واسلم. بذلك يأتيك خير. اقبل الشريعة من فيه وضع كلامه في قلبك" (أي ٢٢:٢١-٢٢).

وبعبارة أخرى"علاج ألمك أن تخضع لله وتدرس كلمته.

والرسالة التي تلقاها أيوب من أصحابه هى رسالة مألوفة: إنك تتألم لأنك فشلت روحياً. صحح موقفك، وهنا سوف يباركك الله ويخلصك من آلامك.

وبالنظر إلى أن رسالتهم إلى أيوب لم تكن كتابية أو حقيقية، فقد وبخهم الله: "قد احتمى غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فيَّ الصواب كعبدي أيوب" (أي ٤٢:٧).

ومع ذلك، نري الكثيرين من المؤمنين علي يقين من أنهم يعانون نتيجة خطأ اقترفوه، ولم يعاونهم أصحابهم مثلما كان الحال بالتسبة لأصحاب أيوب، بل يقولون لهم: "سوف تتحسن أحوالكم حينما تزدادون روحانية".

وعلى النقيض من ذلك، يقول لنا الله إننا سنلاقي الخطية والألم في أنفسنا، وفي الآخرين، وفي العالم الذي من حولنا في كل يوم. حتى إن واظبنا على عباداتنا اليومية وذهبنا إلى الكنيسة مرتين كل يوم أحد. فكونك مؤمناً لا يعفيك من المشاكل والألم.

## ليس عليّ أن أؤمن بهذه الأفكار

كان زوج (سوزان) في السنة النهائية في كلية اللاهوت، وكان يستعد ليخدم كراع. وعلى الرغم من حماسته للدعوة، إلا أن سنوات الدراسة في الكلية كانت صعبة. وكان (لسوزان) و (سام) ثلاثة أطفال أقل من أربع سنوات، وكانوا لا يجدون إلا وقتاً قليلاً جداً لأنفسهم، ولم يكن لهم على الإطلاق ما يكفيهم من مال.

جاهدت (سوزان) كي تكون زوجة وأم مؤمنة صالحة، ولم تشتك إطلاقاً من صعوبة الظروف التي تواجهها. وعلى أي حال، ألم تتعلم أنها تستطيع أن تعمل كل شئ بمعونة الله؟

لكن هذه كانت المشكلة: فقد تملكها هاجس بأنه قد يحدث لها أن تلقي بأطفالها من السيارة أثناء قيادتها لها. ولقد تجاهلت في البداية هذه الأفكار، آملة في أن تتلاشى. غير أن الصور الذهنية لهذا العمل أخذت تلح عليها، وعلى ذلك حاولت أن تحفظ آيات الكتاب المقدس التي تتحدث عن الصلاة وحياة الفكر النقي.

وإذ لم تقلّ هذه الأفكار أبداً، بل أخذت تزعجها بصفة مستمرة، فلم تعد تجرؤ بعد أن تصحب أطفالها في السيارة إلى أي مكان. وأصبحت حبيسة البيت. وإذا تملكها الرعب، قصدتني تطلب مشورتي.

وتحدثنا حول مصدر هذه الأفكار، قلت لها: "هل طرأ على فكرك أن الغضب قد يستبد بك نتيجة كل مسئولياتك هذه نحو أطفالك، وأنك ذات مرة ربما تفكرين في التخلص منهم.

لكن هذا السؤال أزعجها؟ أتخلص من أطفالي!! إطلاقاً، كيف لك أن تقترح شيئاً كهذا؟

قلت: "إني لم أقل إنك لا تحبين أطفالك ، وكل ما قلته هو أن الغضب قد يتملكك نتيجة المصاعب التي تواجهينها أنت و (سام) ، وأنك في بعض الأوقات قد تمتعضين لكثرة ما هو مطلوب منك عمله.

ردت قائلة: "ليس من الصواب أن يمتعض الإنسان، إن هذا ليس من ثمار الروح القدس، ولا يجب أن يخالج الإنسان مثل هذا الشعور، ولذا فلم افعل أنا ذلك".

قلت لها: "إني أعلم أن الامتعاض ليس شعوراً طيباً، وأنه ليس من ثمار الروح القدس. لكني أعتقد أنه في لحظة ما لابد وأنك امتعضت من أطفالك، وإلا لما كان هذا الهاجس قد هاجمك.

قالت: "لكن لا يمكن أن يخامرني هذا الشعور، لأنه ليس من الصواب".

وهل تعتقدين أنه لا يخامرك سوى الشعور بالأمور الصائبة فقط؟

ردت وهي أقل ثقة في نفسها: "حسناً، إن هذا ما هو مفروض عمله، فمن المفترض أن تشعر بالحب، والصبر، والفرح، وأشياء من هذا القبيل. لا أن تشعر بالامتعاض والكراهية بالنسبة لما يتعين عليك عمله.

- ولكن ماذا تعملين حينما تشعرين فعلاً بالكراهية والامتعاض؟

- إني لا أسمح لنفسي بالشعور بمثل هذه الأشياء، لأنها لا تتفق مع التقوى ولا يجب ذلك.

- ولكن، ماذا لو كان من الأمور الصحيحة أن تخامرك هذه المشاعر؟ هل تعتقدين أنه ربما تكون قد خامرتك إذاً؟

- لكنها ليست مشاعر صحيحة. إن ذلك سيكون خطية.

- وما الذي يجعلك تعتقدين أنك بلا خطية؟

- وهنا، لم تدر ماذا تقول.

لقد وقعت (سوزان) فريسة مسئولياتها، وعدم حصولها على أي عون من زوجها وأصدقائها، وعجزها عن تدبير احتياجاتها. ولا غرابة في أن يتملكها الغضب. وإنكارها غضبها هو الذي ولّد فيها أفكاراً غير طبيعية. وفيما فهمت ببطء ما يقوله الكتاب المقدس حقاً من عن أمورنا السالبة، فإنها لم تجد فقط الحرية كي تعترف بأنها كانت ممتعضة للغاية، بل وجدت الشجاعة لإيجاد الحلول لمشاكلها أيضاً.

وجدت (سوزان) أناساً تستطيع أن تركن إليهم وتحدثهم عن كل الألم والأذى والغضب الذي تعاني منه لسنوات كثيرة. اكتشفت أن كل نشاطها لم يكن سوى ستار يحفظها من الشعور بالألم. ومع ذلك، فعندما أقرت بألمها وطرحته أمام أناس محبين، اكتشفت أنها لم تكن في حاجة إلى كل ما عانته في حياتها نتيجة كتمانها هذه المشاعر.

أما الصورة التي كانت تتخيلها (سوزان) عن الشخص المحب، ذاك الذي يستجيب لأي شخص يكون في

حاجة، بدأت تتغير أيضاً. فليس خطية أن ترفض طلبات أناس آخرين، هذا ما بدأت تتفهمه. فالواجبات التي صاحبتها في حياتها تتطلب أن تتذرع بالصبر. يجب أن تخدم الآخرين وتقدمهم على نفسها، يجب ألا تغضب فهذا منعها من حل مشاكل كبيرة. أما الآن، فبعد أن سمحت لنفسها ألا تضحي بنفسها دائماً في سبيل الآخرين، وأن توفر وقتها لنفسها، وأن تغضب، هنا بدأت تواجه الحقيقة، وبدأت تحل المشكلة الحقيقية: ألا وهي غضبها لقلة حيلتها، وإذ استعادت قوتها، وسيطرتها على نفسها في حياتها، كان من شأن ذلك أن تلاشي غضبها. وفضلاً عن ذلك، حين كانت تخامرها مشاعر أو سلوكيات خاطئة، كانت تجد جرأة لأن تعترف بها.

وهذه التغييرات الداخلية التي طرأت على سوزان سرعان ما أصبحت ظاهرة. ولذا تعلمت أن تضع حدوداً لطلبات زوجها غير المعقولة. وبدأت تطلب العون من الأصدقاء والأقارب حين كانت تحتاج إليه. ولم تكن تنتظر حتى تمرض لتشعر بأنها في حاجة إلى تخصيص وقت لنفسها. وبدلاً من محاولتها أن تكون زوجة وأماً، ومعلمة، وخادمة للمنطقة التي تسكن فيها، وإدارية في الكنيسة، عدّلت (سوزان) من توقعاتها بالنسبة لنفسها، ومن ثم أصبحت معقولة.

وخلاصة القول، لقد استغلت (سوزان) غضبها وألمها، وحولتهما إلى حافز لها يشجعها على حل المشاكل التي تعترض علاقاتها، عوض أن تسمح لهما بأن يتفاقما ويتحولا إلى مرارة.

## طرق نحاول أن نتفادى بها الألم

وبعد أن وقعت سوزان في هذا الشرك أحست بحقيقتين متعارضتين:

١- لا يجب أن أشعر هكذا.

٢- إني أشعر هكذا بالفعل. ما الذي نعمله حين تكتشف في نفسك مشاعر ما كان من المفترض أن يشعر بها المؤمنون الأتقياء؟ أو حينما تجد أنك تعمل أشياء لا يجب على المؤمن الحقيقي أن يعملها؟

ثمة ثلاثة طرق شائعة يمكننا أن نعالج بها مشاعرنا وسلوكياتنا السلبية، إذا رغبنا في ألا نسمح لأنفسنا بتبنيها وهي:

### ١- الإنكار

حينما أنكرت (سوزان) المشاعر التي اعتقدت أنه لا يتوجب عليها أن تشعر بها، تولدت عن إنكارها أفكار استحواذية. وقد أدرك داود الملك هذه الحقيقة حين تضرع إلى الله قائلاً: "اختبرني يا الله واعرف قلبي امتحني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً" (مز ١٣٩: ٢٣-٢٤). وكان لديه هاجس بأن في داخله طريقاً بغيضة. ومن ثم فإنه عوض أن ينكرها رغب في أن يواجه الحقيقة. لم يخش رداءته، لأنه عرف أن نعمة الله واسعة بما فيه الكفاية لمعالجتها.

والإنكار-إلى جانب أنه يولد أعراضاً نفسية مثل الكآبة أو القلق، يجبرنا على أن ندين الآخرين لأننا لا

نستطيع أن نراهم بوضوح. فكثيراً ما ننتقد الآخرين بقسوة لأمور ننكر أنها فينا. "لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك. لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها" (رو ٢:١).

ويعلّم الكتاب المقدس بكل وضوح بأننا بعدنا عن الصواب بإنكارنا أننا خطاة. كما يشير يسوع مراراً وتكراراً إلى حاجتنا إلى الاعتراف بخطايانا ومواجهتها. فقد علّم قائلاً: "إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان. لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان" (مر ٧: ٢٠-٢٣). ويريد منا يسوع أن نعترف بمشاعرنا الحقيقية، لا أن نحجبها تحت عباءة الدين.

إن اولئك الذين ينكرون بالفعل خطيتهم، واجههم يسوع بقوله: ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصفحة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة. أيها الفريسي الأعمى نق أولاً داخل الكأس والصفحة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً" (مت ٢٣: ٢٥-٢٦).

ومن الواضح أن الإنكار ليس خياراً كتابياً "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (١ يو ١: ٨)، ومع ذلك فالأخبار السارة هي أننا في أمان في ظل محبة الله ونعمته وبوسعنا أن نعترف بردائتنا ولا نخشى الدينونة.

٢- الأعمال

وثمة طريقة أخرى نعالج بها ردائتنا الدفينة وهي أن نعمل بمزيد من الكدح، وعادة ما نعمل ذلك تعويضاً عن أخطائنا، ونحسّن أنفسنا، ونخفف من إثمنا، والكتاب المقدس يدعو هذا: (التخلص من الخطية عن طريق الأعمال) (انظر أف ٢:٩)، فنحن نحاول خلاص أنفسنا ببذل مزيد من الجهد والتعب في العمل. وبمزيد من الدقة. ونحاول أن نكمل أنفسنا ونقدّسها بالكد في العمل (انظر غل ٣:٣).

لقد حاول (چو) هذا وكان في الحقيقة يكره (سكوت). ومع ذلك حينما كان (چو) يشعر بزيادة عداوته، سرعان ما كان يحس بالإثم والخجل.

وبدلاً من الاعتراف بكراهيته ومحاولة وضع حد لها، أبعد عداوته عن ذهنه، وحاول أن يكون عطوفاً بصفة خاصة مع (سكوت). وقد قال (چو) لنفسه، إنه بسلوكه اللطيف هذا فإنه يلبس "الإنسان الجديد" (أف ٤: ٢٤). وأقنع (چو) نفسه أن لطفه المتكلف تجاه (سكوت)، يُعد في الواقع براً وتقوى. ومع ذلك فإن مشكلة نهجه هذا تجاه جانبه المظلم، كانت تتمثل في أنه لم يعترف إطلاقاً بإنسانه القديم أولاً. وحاول أن يجد مخرجاً لكراهيته عوض الاعتراف بها. وكلما زاد من محاولته أن يكون لطيفاً مع (سكوت)، وجد نفسه يزيد من إهانته في غيابه، وكان يتحدث عنه بسخرية. فبذله مزيداً من الجهد لم يجعله شخصاً محباً.

وذات يوم تصادف أن قرأ (چو) هذه الآية: "من يخفي البغضة فشفتاه كاذبتان" (أم ١٠: ١٨). لقد أدرك

أن تملقه وعطفه ما كانا سوى حجاب لكراهيته.

ونحن نعمل أعمالاً أخرى أيضاً كقراءة الكتاب المقدس، والصلاة يومياً مثلاً، معتقدين أن هذه-وحدها-ستغيرنا بطريقة ما من الداخل، غير أن مثل هذه الجهود الدينية التي تُعمل دون فهم، ودون مواجهتنا لمشاكلنا، لا طائل من ورائها، لأنها تصبح عادات عقيمة تفتقد إلى أية قيمة "من جهة إشباع البشرية" (كو ٢:٢٣).

٣- الناموس

وهناك حيلة أخرى نلجأ إليها في محاولة تعاملنا مع رداءتنا ألا وهي أن نضعها تحت الناموس. أي ندينها، حيث نشعر بإثمنا من ناحيتها ونغضب منها. ونعتقد أن إثمنا سيدفعنا إلى أن نتغير.

حاولت (بيكي) أن تضع غيرتها من أختها (تحت الناموس). وكانت من القوة بحيث إنها لا تنكر مشاعرها ونزعاتها، لكن حينما كانت تشعر بغيرة، كانت لا ترضى عن نفسها وتقول: "إني شريرة". وكانت تغضب من نفسها لفشلها في السيطرة على مشاعرها السلبية. ثم تحاول أن تعاقب نفسها بأن تشعر بأنها أكثر محبة (انظر الافتراض الزائف رقم (٩) لمعالجة أشمل لتوضيح كيف أن الإثم يفشل في تغييرنا).

والإثم يعد ملمحاً أساسياً للناموس، وكما ذكر بولس وآخرون كثيراً في رسائلهم، فالناموس ينشئ غضباً، ويجعلنا نخطئ كثيراً، ويجعلنا محبوسين، ويحكم علينا بالفشل الذريع حتى إن عثرنا في خطية واحدة (رو ٤:١٥ ، ٥:٢٠ ، ٧:٥ ، غل ٣:٢٣ ، يع ٢:١٠). إذ له طبيعة غاضبة ضد الخطية، وحين نغضب من أنفسنا وندينها بسبب خطيتنا، فإننا بذلك ننفذ ناموس الخطية والموت. ومن الممكن أن نكرر هذا النموذج حتى يغلب الله بالنعمة (رو ٧:٩-١٠).

غير أن الإثم ،والدينونة من الأمور النافعة، حيث يقول بعض المؤمنين إنهما يقودانا إلى الاعتراف. ومع ذلك فالكتاب المقدس واضح فيما يتعلق بالدور الهدام الذي للإثم. فالمسيح مات لكي يحررنا من الدينونة، حيث ليس لها مكان في حياة المؤمن (رو ٨:١).

إن طرق التعامل مع خطيتنا هذه-الإنكار، الأعمال، والناموس، كلها ناتجة عن الافتراض الزائف القائل بأنه إذا كنا مؤمنين فلن نقع في خطية.

## ليست كل المشاعر السلبية خطية

إن إنكار خطيتنا أمر طبيعي، فمن ذا الذي يريد أن يعترف بخطايا قبيحة مثل القسوة، والحسد، أو الكراهية؟

ولكن، ماذا عن المشاعر السلبية التي لا تُعد خطية، والتي لا تنجم ببساطة إلا من العيش في عالم غير

كامل، أو نتيجة خطايا ترتكب ضدنا؟ فما الذي يمكن عمله تجاه الألم والبلية والغضب والحزن أو الخوف الناجم عن المظالم التي يقابلها الإنسان كطفل سواء كانت جنسية، أم بدنية، أم عاطفية؟يقول بعض مترددي الكنائس إن استمرار المعاناة من هذه الأمور يشير إلى خطية لم نتب عنها. وعلى ذلك فإن مثل هذا الشخص أدين ليشعر بالألم.

كانت هذه هي الرسالة التي سمعها أيوب من أصحابه. لكنه وعلى النقيض من ذلك كان ضحية الظروف، فقد ألمت به أحداث أليمة ومأساوية. وبالرغم من أن بعض أفكاره عن الله ربما كانت مشوهة، فإن خطيته لم تكن سبب بلوته. فالسبب يعود إلى خسارته الفادحة.

إننا حين نشعر بالأذى والغضب نتيجة ما يلمّ بنا، نكون في حاجة إلى الاستجابة مع آلامنا على نحو صحيح. ويتكلم الكتاب المقدس عن أهمية تعاملنا على نحو صحيح مع الحزن (رو ١٢: ١٥ ، جا ٣: ٤ ، ٧:٢-٤). ويحدثنا عن كيفية التعامل مع الغضب (انظر أف ٤:٢٦-٢٧). ويوضح كيف أن الآلام تزكينا (رو ٥: ٣-٤ ، عب ٢: ١٠-١١). لكن لا يوجد في أي موضع في الكتاب المقدس ما يشير إلى أن الألم الناجم عن عمل ارتكب ضدك يعد خطية. هذا ما لا نجده في أي موضع.

ومع ذلك تجد أن ضحايا سوء استغلال الأطفال، والطلاق، والاستغلال العاطفي، يقال لهم في بعض الدوائر المسيحية إنه بالنظر إلى أنهم يشعرون بألم نتيجة الأذى الذي لحق بهم في الماضي، فإنهم بهذا يتجاهلون بطريقة ما كفاية الإنجيل، ولذلك فهم يخطئون (مثل هذا التعليم يشابه في الواقع عقائد بدعة العلم المسيحي Christian Seience التي تنكر حقيقة الألم والمرض).

أن نلوم الضحايا بسبب آلامهم فهذا خطية ضد المجروحين، ومنكسري القلوب، والمضطهدين، بل هي خطية ضد الله نفسه الذي يرثي مع المتألمين (مز ٣٤:١٨). وفي كل موضع من الكتاب المقدس نرى الله إلى جانب الضحايا المجروحين. ويأمرنا الكتاب المقدس بأن نشفي منكسري القلوب. ونطلب إليكم أيها الأخوة أنذروا الذين بلا ترتيب. شجعوا صغار النفوس أسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع" (١ تس ٥:١٤).

ولا يطلب منا الكتاب المقدس في أي موضع أن نواجه المجروحين، وعوضاً عن ذلك يطلب منا أن نحبهم. وقد ذكر أن الإنذار يجب أن يكون لمن هم بلا ترتيب أو المتمردين (١ تس ٥:١٤). ويعد أيوب هو المتألم المثالي، وهو يقدم لنا نصيحة واضحة بالنسبة لتعاملنا مع المحزونين "حق المحزون معروف من صاحبه وإن ترك خشية القدير" (أي ٦:١٤).

وكثيراً جداً ما تواجه الكنيسة المتألمين على أساس ما يعانونه بدلاً من معاملتهم بعطف ومحبة. وبسبب هذه الرسالة الزائفة، يترك المتألم الله والكنيسة أيضاً.

## سقوط هذه التعاليم

إذا كنت قد تعلمت أن الروحانية تعني أنه لا ألم ولا خطية، فلسوف تعطي أثماراً ردية-ولا سيما الثمار التي من قبيل الفشل والطاقة المهدرة، الاختباء، عدم العفو عن الآخرين، الافتقار إلى المحبة.

### مشاعر الفشل

يعتبر الكتاب المقدس الفشل أمراً طبيعياً بالنسبة لنا، ويقول الرسول بولس: فإننا نعلم أن الناموس روحي وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية. لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل...لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد...إذاً أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندي" (رو ٧:١٤-١٥ و ١٨ ، ٢١). إنه أمر عادي أن تفشل. أما أن تعلّم بأنه يجب على الناس أن يكونوا بدون ألم أو خطية، فإن هذا التعليم يضعهم تحت إثم عظيم وغير مستحق لفشلهم-لكونهم بشراً عاديين مناضلين خطاة.

وإذا كانت الطريقة الوحيدة التي أستطيع أن أتعامل بها مع ألمي وهى أن أنكره، ويبذل جهد أكبر كي لا أشعر به، أو بإدانة نفسي بسببه، فإني أهيئ نفسي للفشل. ومع ذلك يتيح لنا الكتاب المقدس حرية قبول مشاكلنا وحرية مواجهتها.

### الطاقة المهدرة

بالنظر إلى أن محاولة بذل جهد أكبر للتغلب على الألم والخطية تُعد طريقة أخرى للتعامل مع هذا الافتراض الزائف، فإنه حتماً من أن مثل هؤلاء المؤمنين يهدرون طاقاتهم بدون جدوى، فإن ما يبذلونه من جهد في هذا الخصوص لا يوضّح سوى أنهم يعوضون عن خطايا شخصية لم يتقبلوها بعد. لنتذكر كلمات الرب يسوع: "فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها" (لو ٩:٢٤). فالجهود البشرية لم تغير أي شخص على الإطلاق.

### الاختباء

إن التوبة والمغفرة والنعمة هي العملية الوحيدة لمواجهة الخطية، وعلينا أن نأتي بخطايانا وآلامنا "بالنسبة لله والآخرين" إلى الله كي تغفر (١يو ١:٩، يع ٥:١٦). ونحن نأتي بخطايانا إلى الله عن طريق التوبة سائلين الغفران. في هذه الحالة فقط نُعطي نعمة. وإذا اعتقدنا أنه من غير المقبول أن نعثر ونسقط، فإننا بهذا سنعمل مثلما عمله آدم وحواء حين قطعا علاقتهما مع الله-أي أننا سنختبئ.

وحين نُحرم من محبة الله ومحبة الآخرين، تجدنا نختبئ. وما لم نعتقد أنه من الصواب أن نكشف عن خطايانا وألمنا لنعمة الله وكنيسته، فلن نبرأ منهما إطلاقاً. وما نخبئه ليس في نور بل في ظلمة (أف ٥:١٣-١٤)، ولا يمكن أن يتغير بنعمة الله. فالشفاء دائماً يتم من خلال القبول غير المشروط، ولا يتأتى إلا من خلال علاقة مع الله.

### عدم المغفرة

إذا أخفى الناس ألم ماضيهم، فلن يكون بوسعهم أن يغفروا لأولئك الذين ألحقوا الأذى بهم. ومع ذلك فإن المغفرة هي الوسيلة التي يبعد بها الله الجروح الماضية.

إن المؤمنين المجروحين الذين لحق بهم الأذى، والذين تعلموا أن ينسوا ألمهم، والخطايا التي ارتكبت ضدهم لم يدخلوا بعد عملية المسامحة. فهم يدفنون عدم المسامحة في قلوبهم. ومع ذلك، فلكي ننجح في المغفرة وننسى أولئك الذين أساءوا إلينا، علينا أن نذكر الخطايا التي ارتكبت ضدنا ونحس بها، وإذا منعت التعامل مع الألم الذي لحق بك في الماضي، فإنك بذلك تمنع الغفران.

وهناك أيضاً فخاخ أخرى. فبعض المعلمين لا يقدمون سوى تعليم زائف عن المغفرة، وذلك بأن ينصح بالمغفرة كعمل يرجع إلى الإرادة، على الرغم من حقيقة أن الكتاب المقدس يطلب منا أن نغفر من قلبنا (مت ١٨:٣٥). فالأمر يتطلب أكثر من المغفرة الذهنية لأولئك الذين غرروا بنا. ويجب أن نغفر لهم من كل كياننا- العقل والعواطف، والإرادة أيضاً.

وعلى أية حال فهذه هي الطريقة التي غفر لنا الله بها. فقد عبر عن غضبه وحزنه وألمه. وقد ذكر الخطية التي أرتكبت ضده، ثم تناساها، وهو مثالنا.

وهذا افتراض زائف-أن ننكر ألمنا وحالتنا الردية-وهو الذي يعوّق قدرة الناس على أن يتبعوا مثال المسيح. فالبعض سامحوا بإرادتهم، لكن الألم والغضب ما يزال يقبع في قلوبهم. وفضلاً عن ذلك، فإننا إذا نسينا طبيعتنا الخاطئة، فلن نختبر مغفرة الله. وثمة كثيرون يدركون حقيقة مغفرتهم، ولكنهم لا يشعرون بها من الناحية العاطفية، وهم يخفون حقيقة أنفسهم، بما في ذلك طبيعتهم الخاطئة، عن الله وعن الآخرين أيضاً.

وليس بمقدورنا أن نعرف بقلوبنا إلا ما كان موضع اختبارنا، ولو لم نكن قد اختبرنا المحبة والمغفرة من الله ومن الآخرين، فلن يكون للنعمة تأثيرها الكامل فينا (١ يو ١: ٩، يع ٥:١٦). وإذا تجاهلت حالة الخطية التي أنت فيها، وأخفيت ذلك عن الله وعن الآخرين، هنا قد لا تنتفع بنعمة الله. بل ولن يكون بمقدورك أن تغفر للآخرين. ويقول الكتاب المقدس إننا نغفر للآخرين على أساس أن الله قد غفر لنا أولاً (مت ١٨:٢٣-٢٥، ١ يو ٤:١٩).

### الافتقار إلى المحبة

إننا لم نولد ولدينا القدرة على المحبة، بل نتعلمها نتيجة ما نحظى به من محبة، وبرؤيتنا المحبة مجسمة: "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١يو ٤:١٩). وإضافة إلى ذلك، فقد علّمنا الرب يسوع أن قدرتنا على المحبة مرتبطة بمقدار ما غُفر لنا، وقد أشار الرب يسوع إلى المحبة الكثيرة التي أظهرتها المرأة الخاطئة والتي غسلت قدميه، كدليل على أنه غُفر لها الكثير. ثم حذر قائلاً: "والذي يُغفر له قليل يحب قليلاً" (لو ٧:٤٧).

وإذا اعتقدنا أن الروحانية تعني عدم وجود الخطية نكون قد نسينا حالة الخطية التي نحن فيها. وإذا

نسينا خطايانا، نكون قد نسينا حاجتنا إلى المغفرة (مثل سمعان الفريسي). ولو كان قد غُفر لنا قليل لما أحببنا إلا قليلاً.

وكلما زادت مواجهتنا لنقائصنا وأتينا بها إلى النعمة، ستزيد محبتنا. فالناس الذين يعترفون بخطاياهم بارتياح، نتيجة سخاء الله وشعبه، يصبحون أناساً متكاثرين في المحبة، التي هي ثمرة المغفرة.

## ستتألم، وستخطئ

إذا كان من الخطأ الاعتقاد أن المؤمنين لن يختبروا الألم أو الخطية، فما الذي يعلّم به الكتاب المقدس إذاً.

إنه يعلم بما هو على النقيض من ذلك تماماً. فلسوف نتألم ونخطئ، وأنه بسبب نعمة الله، نحن أحرار في أن نواجه هذه الأمور.

وإذا كان الاعتراف يتفق مع الحقيقة، علينا أن ندرك إذاً حقيقة ما يقوله الكتاب المقدس عن الخطية:

١- الخطية أمر عادي. عليك أن تتوقع الفشل. وعلى أي حال، هذا هو السبب في موت يسوع من أجلنا. والاعتقاد بأنه بمقدورنا أن نكون كاملين بعد أن نصبح مؤمنين يعد إنكاراً لسقوطنا (١يو ١:٨). ولذلك عليك أن تتوقع أن تجد فينا كلنا كل ما ذكره الرب يسوع في (مرقس ٧: ٢٠-٢٣). ولكن عليك ألا تخشى هذا. اعترف به لأنه رحيم.

والنظر إلى الخطية كأمر عادي لا يتعارض مع التعاليم الأخرى عن أننا سنصبح قادرين على الانتصار على الخطية. لأن ذلك لا يعني سوى أنه طالما نحن في هذا العالم، علينا أن نتوقع أن نكون خطاة.

٢- المشاعر السلبية أمر عادي، وليست خطية، حين تنجم عن خطية ارتكبت ضدك. إنه لأمر طبيعي أن تشعر بالغضب حين يخونك أحد،أو تتأذى حين يكذب شخص عليك، أو تحزن حين يُحذف اسمك من قائمة المدعوين للحفل. فمن المؤكد أننا سنتألم، وعلى سبيل المثال، إذا ما أسئ إلينا جنسياً أو بدنياً، أو إذا عانينا من فقد والدينا. ولكي نتحسن علينا أن نتقبل الأذى ما دمنا في هذا العالم الساقط (جا ٧:٣-٤).

٣- نحن في حاجة إلى أن نتعامل بشكل صحيح مع مجموعتي المشاعر كلتيهما. وينبغي علينا أن نعترف بخطيتنا ونتركها (الحسد، الغيرة، التهور، الكبرياء، إدانة الآخرين). وعلينا أيضاً أن نأخذ (ألمنا، حزننا، بليتنا، هجرنا، جرحنا، رفضنا) إلى الله والآخرين، حيث يمكننا أن نلقي المحبة والشفاء.

وهذا ما تكلم عنه داود في مزامير الشفاء (انظر مز١٣: ٣٠، ٣١:٩-١٩ و ٣٢، ٣٨، ١٠٢، ١٠٣: ١ - ٥). لقد سكب قلبه أمام الله وشكره من أجل خلاصه (مز ١١٦ : ٥-٩). وعلى غرار ذلك، وبعد أن نتقبل النعمة، يتعين علينا أن نغفر لأولئك الذين ظلمونا فالتحرر من الماضي هو تقبل النعمة وتقديمها.

٤- الإنجيل نعمة، وينبغي أن ننمو فيها، وأي شعور أو سلوك نشعر أننا ندان بسببه، يُعد إشارة على أننا لم نتقبل نعمة الله.

وخلاصة القول هو أننا في حاجة إلى تقبل وجود الخطية فينا ، ولا يتعين أن نخشى ذلك، لأن المسيح مات عنا . لقد جعل الأمر آمناً لنا كي نعترف بخطايانا ولا نخشاها بعد. وبواسطة هذا الإنجيل أعادنا ثانية معاً إليه وإلى الآخرين، كما يقول لنا كاتب رسالة العبرانيين.

"لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، مغتسلة أجسادنا بماء نقي. لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة. غير تاركين اجتماعاتنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون ليوم يقرب" (عب ١٠:٢٢-٢٦).

ولأن الله يتقبل سقوطنا ، فبوسعنا أن نتقبل ذلك نحن أيضاً. ولسنا في حاجة بعد إلى الاختباء، بمقدورنا أن نأخذ سقطتنا كل منا للآخر، وإلى الله، وبواسطة هذه العلاقات الآمنة نجد شفاء يؤدي إلى المحبة والأعمال الصالحة.

## الافتراض الثالث

## " إذا غيرت سلوكي سأنمو روحياً وعاطفياً"

ركنت (ديبرا) سيارتها الصغيرة إلى جوار بيتها، فيما كانت تشعر بغصة لأنها كانت تعرف ما ينتظرها بالداخل: أطفال معاندون ممتعضون، وزوج منتقد. ولم يكن (باري) والأطفال أردياء، لكن لم يكن أحد في العائلة راضياً بحاله.

ومع ذلك، كانت (ديبرا) تعتقد أن الجزء الأكبر من اللوم يقع عليها، لأنها لم تقم بواجباتها كزوجة وأم على نحو طيب في هذه الفترة الأخيرة. وكانت تشعر بتعب وكآبة، لكنها كانت ترغم نفسها على ترك فراشها في الصباح لتستعد للعمل، ولتعد طعام الفطور (لباري) والأطفال. وفي أكثر أوقاتها اكتئاباً كانت تقول لنفسها، ما فائدة الاستمرار في الحياة على هذا النحو؟

وإذ عزمت على طلب المساعدة، سردت قصتها (لشارون)زوجة أحد شيوخ كنيستها، وهي سيدة كانت معروفة بتقواها. واختتمت (ديبرا) قصتها قائلة: "أما أسوأ ما في الموضوع فهو أني لم أعد أشعر بعد بأني الشخصية الإيجابية في العائلة، لم أعد أستطيع أن أعمل أي شئ بنجاح".

كانت المرأة العجوز تؤمن بأنها متعاطفة مع (ديبرا) وهي تستمع لقصتها، ثم قالت لها: إن مشاعرك السلبية هذه جاءت وليدة إهمالك للأعمال التي تدل على اهتمامك بأفراد أسرتك، لأن العواطف دائماً تتبع السلوك.

سألتها (ديبرا): "ولكن ما الذي أستطيع عمله؟"

اعكسي الأمر، إذا ما تصرفت بمحبة، ستشعرين بالحب. ومن ثمّ عليك التصرف بمحبة مع (باري) واعملي بعض الأشياء الخاصة التي يحبها الأطفال. اعملي عملاً نافعاً لكل شخص كل يوم. أكثري من ابتساماتك. ولسوف تدهشين للتغييرات التي ستشعرين بها في قلبك. يقول الكتاب المقدس إنه علينا أن نلبس (الإنسان الجديد)، وهذا معناه السلوك كمؤمنة مُحبة ولسوف تشعرين عندئذ أنك مؤمنة محبة.

وبدا الأمر (لديبرا) خيانة أن تتصرف على نحو يغاير ما تشعر به، لكنها كانت محبطة. وهكذا توجهت تلك الليلة إلى حجرة المعيشة، ورأت (باري) جالساً في كرسيه المريح، وأخذت نفساً عميقاً، وقالت في نفسها إنها ستطبق ما قالته لها (شارون)، ووجهت كلامها لزوجها قائلة بابتهاج "مساء الخير يا حبيبي، إني سأعدّ وجبة من اللحم المفروم بالفلفل لتتناولها أنت والأولاد هذا المساء".

تمتع (باري) والأولاد بالعشاء وبمسلك (ديبرا) الطيب. ولم تكن هناك سوى مشكلة واحدة: مازالت (ديبرا) تشعر باكتئاب. ولم تشعر بتحسن إلا لبضع دقائق، وبعد أن تصرفت هذا السلوك المحب، قالت: "شعرت كما لو أني كنت أسقط في الظلام في نفق عميق". فقد أخبرتني به بعد ذلك بعدة أيام: "بين آونة وأخرى سأقوم بعمل إيجابي، لكن أشعر أنني أحفر بأظافري في جدار النفق. ولن تصمد أظافري مدة طويلة".

## مصيدة السلوك

إن كثيرين من المؤمنين الذين يطلبون العون يبتلون بهذه الفكرة الثالثة التي يُزعم أنها كتابية، لكنها أبعد ما تكون عن ذلك، والتي تقول: "إذا ما غيرت سلوكي، سأنمو روحياً". وهذا معناه أن تغيير السلوك هو السبيل إلى النمو الروحي والعاطفي، وكما قالت صديقة (ديبرا) العجوز: "كلما زاد تصرفنا على نحو سليم، زاد شعورنا بأننا على خير حال".

ومفاد هذا التعليم أن عواطفنا ستتناغم كلما كان سلوكنا أفضل. فعلى سبيل المثال، وإذا شعرت بمحبة تجاه شخص ما، عليك أن تتصرف بحب. ولكي تحارب الكآبة، عليك أن تتصرف بسعادة وأن تكون أفكارك إيجابية. ولكي تجابه مشاعر الغضب، تصرف بعطف من نحو الآخرين. ولكي تتغلب على العادات المدمرة (الأكل المفرط)، سوء استغلال الممتلكات، المشاكل المالية، الإدمانات الجنسية، ما عليك سوى أن ترفض قطعة الحلوى هذه، أو كأس الخمر، أو السروال الجديد، أو تلك المجلة الخليعة.

وهذا الافتراض الزائف، الذي يعلَّم به على نطاق واسع بين المؤمنين كان متأثراً بدرجة كبيرة جداً بالمدرسة السلوكية الفلسفية، والتي تعتقد بأن الأعمال هي كل شئ. وبمرور الوقت، قال أتباع هذه المدرسة إن السلوك بمقدوره أن يغير المشاعر.

## ما هي المشكلة إذن؟

من الطبيعي أن ثمة ظل من الحقيقة في هذا التعليم الزائف والذي يبدو أنه كتابي. أليس من المفروض فينا أن نلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة" (عب ١٠:٢٤)؟ وكيف يمكن أن يشكل القيام بالأعمال الحسنة مشكلة؟

إن المشكلة ليست في القيام بأعمال حسنة، بل في الدور الذي تقوم به هذه الأعمال الحسنة في نمونا الروحي والعاطفي.

***المشكلة (١): إن تغيير سلوكنا فقط يخلط بين الثمار والجذور:***

يشير الكتاب المقدس مراراً وتكراراً إلى أن أعمالنا هي نتيجة تغيير روحي، وليست سببه. فالسلوك الحسن هو العربة لا الحصان. والتغييرات في السلوك–مثل أن يزداد الإنسان في محبته للآخرين، أو في شعوره بالمسئولية تشير إلى أن الله يعمل فينا عمل نعمة داخلي غير مرئي، يغيرنا بحيث نصبح أكثر شبهاً به "من مجد إلى مجد" (٢كو ٣:١٨).

تأمل الطرق التي يريد الله أن يثمر من خلالها فينا: "وأما ثمر الروح فهو محبة" (غل ٥:٢٢)، "لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق" (أف ٥:٩)، "وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم... مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح" (في ١:٩-١١). لقد سأل بولس الله أن يملأ الكولوسيين بمعرفة مشيئة الله ليسلكوا "كما يحق للرب في كل رضى مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله" (كو ١:١٠). ويتأتى السلوك الإيجابي، سواء كان التغلب على علة الإفراط في الأكل، أو العمل في مؤسسات تقديم الطعام للفقراء، نتيجة عمل الله في قلوبنا.

والواقع أن الكتاب المقدس إلى السلوكيات الهدامة ليس باعتبارها سبب السلوك السيئ، بل كنتيجة لحالة القلب الخاطئة. "لأن الجسد يشتهي ضد الروح... وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة. عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه" (غل ٥:١٧ و ١٩-٢١)، وبعبارة أخرى، فإن المشاكل التي في داخلنا تنجم من أعمال الأنانية والأذى.

وما لم تؤد بنا الأعمال الصالحة-أي تغيير سلوكي-إلى نمو روحي وعاطفي، فما الذي يفعل ذلك؟

الإجابة تكمن في هذه الحقيقة وهي أن النمو الروحي والعاطفي لا يحدثان في الحال. ومثلما ننتقل من الناحية البدنية من مرحلة الطفولة، إلى الصبا، إلى المراهقة، وأخيراً إلى مرحلة البلوغ، هكذا ننتقل أيضاً خلال مراحل نمو معينة لعواطفنا: الارتباط بالآخرين، الانفصال عنهم، التمييز بين الصالح والشرير، وأخيراً وصولنا إلى مرحلة البلوغ.

**الارتباط بالآخرين:** إن إيجاد صلة مودة مع الآخرين، هو أعمق وأهم احتياجنا الروحي والعاطفي. والله له ارتباطاته، وقد خلقنا ككائنات لها ارتباطاتها (١ يو ٤:١٦). وحتى ونحن في الأرحام، تجدنا في حاجة إلى التغذية، لكي تكون لحياتنا معنى. والناس الذين يلحق بهم أذى أثناء مرحلة النمو هذه، والذين لم يرتبطوا كمولودين وأطفال، يجدون صعوبة بالغة في الثقة بغيرهم، أو أن تكون لهم صلة قوية بهم، أو الاعتماد عليهم. ونتيجة لذلك، فقد يصبحون محبطين، أو يفرطون في الأكل، ليجدوا عزاءً في الطعام وليس في محبة الآخرين.

**الانفصال عن الآخرين:** إن حاجتنا التنموية الثانية هي الانفصال عن الآخرين لكي نتملك حياتنا. وينبغي أن نتعلم ماذا يعني نحن، وماذا يعني هم. علينا أن نتعلم تمييز ما أعطانا الله مسئوليته، وكذلك ما نحن غير مسئولين عنه. ومبدأ تعلم المسئولية هذا ينطبق على كل الطريق من العناية بالأرض (تك ١:٢٨) إلى القول "لا"، حين يطلب منك صديق أن تقرضه نقوداً أنت في مسيس الحاجة إليها لأمر مشروع. وفي هذه المرحلة التنموية نحتاج إلى أن نتعلم مهارة وضع الحدود حول سمتنا الشخصية الروحية.

وأولئك الذين يلحقهم أذى أثناء هذه المرحلة التنموية، والذين ليس لهم حدود شخصية كافية-كثيراً ما لا يستطيعون أن يقولوا "لا" إلا بصعوبة بالغة. فهم يجدون مشقة في التركيز والتنظيم والسيطرة في حياتهم. فقد يندفعون إلى نوبة غضب، أو يعانون من نوبة ذعر، أو تتملكهم حالة من الإحباط حين يشعرون أنهم قُهروا

أمام كل المشروعات، والناس الذين يشعرون أنهم مسئولون عنهم.

**التميز بين الخير والشر:** إننا بعد أن نتعلم كيف نقول "نعم" للمحبة (الارتباط)، ونقول "لا" (إقامة حدود)، فإن حاجتنا التنموية الثالثة هي حل مشكلة الخير والشر. وفي هذه المرحلة نتعلم أننا والعالم لسنا سود أو بيض. ونتعلم أننا أناس غير كاملين، نعيش مع أناس غير كاملين في عالم غير كامل أيضاً، وبدلاً من التمسك بمثُل مستحيلة بالنسبة لأنفسنا وللآخرين، ننتقل إلى مرحلة الحزن على خسائرنا، ومسامحتنا الآخرين، ومسامحة الآخرين لنا. وقد قال الرب يسوع إنه لم يأت للأصحاء بل للمرضى (مت ٩:١٢). لذلك فحين نتقبل حالة الخطية التي نحن فيها كشئ يجذبنا إلى المسيح، هنا نصبح حكماء. وأولئك الذين أضيروا في هذه المرحلة الثالثة كثيراً ما يناضلون ضد مبدأ الكمال، والإفراط في التفاؤل، والإنكار، والعار. وهم يشعرون أن الحياة ليست عادلة. ويمكن أن تتضمن ثمار هذه النوعية من الأذى الشره، أو الإدمان الجنسي، الذي فيه يصبح الجزء (الردئ) في طبيعة الإنسان منغمساً في الجنس، الأمر الذي يجعله يتصرف بطريقة جنسية.

**أن تصبح بالغاً:** ينتقل الشخص في هذه المرحلة الأخيرة من طفولة عاطفية إلى مرحلة بلوغ عاطفية. فالله يريدنا أن نكون ناضجين وأن نسيطر على ما أعطاه لنا من (مواهب، قيم، مستقبل، زواج، صداقة، ودعوة. .إلخ). ولا نستطيع بعد أن نعتمد على موافقة والدينا، فكبالغين عاطفياً، نحن نقدّر تدخلهم، ولكننا ننهج السبيل الذي أرتأيناه نحن في العالم، وكما قال الرب يسوع إنه ليس لنا سوى أب واحد ولا ينبغي أن ندعو أي أحد "أباً" على الأرض (مت ٢٣:٩)، وأولئك الذين أضيروا أثناء المرحلة التنموية الرابعة هذه، والذين لم ينموا فإما أن تكون لهم مشاكل فيما يختص بالخضوع للسلطة، وإما أنهم يفرطون في الشكوى ويلتزمون بالقانون. وتراهم إما أن يُسائلوا السلطة في كل شئ، وإما أنهم لا يفعلون ذلك إطلاقاً. فهم إما أن يكسروا القواعد، أو يتبعوها حرفياً. ونتيجة مثل هذه الأضرار تتضمن مآزق مع القانون، وكذلك اضطرابات استحواذية لا تقاوم حيث نرى الشخص مشغولاً بصفة ملحة بفكرة غير معقولة (مثل القلق خوفاً من أن يطلق عليه النار، أو يصاب بالسرطان)، وإما أن يتولد فيه دافع لا يقاوم للقيام بعمل غير معقول (مثل غسل اليدين بصفة متكررة).

وهناك أناس كثيرون يلحقهم الأذى إبان المراحل الأربع كلها. فعلى سبيل المثال، قد تتعرض لمتاعب في تكوين علاقات مع الناس. ومن ثمّ تركز على هذه الناحية. ولا تكتشف سوى أنه ليس باستطاعتك أن تضع حدوداً مع الآخرين. وعدم قدرتك هذه تحملك بدورها على أن تتجنب الناس بدلاً من مواجهتهم ومن ثم تزداد عزلتك.

وربما تصبح أيضاً على إدراك تام بأنك تعاني ما يطلق عليه علماء النفس (انفصام جزئي)، يحملك على أن تدين نفسك كل مرة تحقق فيها فشلاً أو خسارة. وهذا لا ينجم عنه سوى أن تزداد عزلة عن الآخرين. وفي

ذات الوقت قد تستسلم لمن هم في السلطة من حولك، إذ تخاف أن تتحداهم، أو تعبر عن رأيك أمامهم. وخوفك من انتقاد رؤسائك لك قد يزيد من ابتعادك عنهم.

والأعمال التدميرية في كل هذه الحالات لا تسبب المشاكل الروحية والعاطفية، بل تتبعها. نعم، نحن مسئولون عما نفعله، لكن يتعين علينا معرفة مصدر أعمالنا قبل أن نقدم على تغييرها. دعنا ننقي "أولاً داخل الكأس والصحفة" كما قال الرب يسوع وحينئذ "يكون خارجها أيضاً نقياً" (مت ٢٣:٢٦).

وعملية التأخير في قيادتك نفسك إلى مرحلة البلوغ العاطفي قد تكون محبطة في البداية. لكن فيما تتعامل مع كل الموضوعات، فإنك إنما تعمّق وتقوّي رُبطك بالشبكة التي تسندك. إنك تقوم بعملك خطوة خطوة، وجنباً إلى جنب مع إله صبور لا يريد منك سوى أن تعمل في يومك ما تقدر عليه فقط (مت ٦:٣٤). والنتيجة زيادة تدريجية في مشاعرك الحبية، وفي ارتباطاتك العاطفية، وفي مواقفك وسلوكياتك المحبة تجاه الآخرين. وهنا سوف تبدأ ثمرتك في التغيير.

والسلوك هو مقياس روحي يعكس التغيير بأكثر مما يسببه . ويعلمنا الكتاب المقدس أن ما نعمله، وكيفية سلوكنا يعكس حقيقتنا. "لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة...من ثمارهم تعرفونهم" (مت ٧:١٨و٢٠). وبعبارة أخرى علينا ملاحظة ثمار حياتنا، أعمالنا، ونقدّر ما إذا كانت جيدة. هنا نكون قد وضعنا يدنا على طريقة لتقييم حالتنا الروحية.

على سبيل المثال، إن السيدة التي تعطي والتي تسمح للآخرين أن يتحكموا في وقتها غالباً ما تبدو مثمرة. والناس يشهدون بأعمالها الحُبية. حينئذ سيكون ثمرها في الحقيقة عن اضطرار (٢ كو ٩:٧). وإذا استمرت في العطاء على مضض، فلسوف يتولد عن ذلك بكل تأكيد كآبة أو سلوك مذعن. وسوف تضعف روحياً وعاطفياً.

وغالباً ما يكون السلوك عن اضطرار هي فضائل خادعة. هذه الأعراض المحزنة تشير إلى أن هناك خطأ ما في الداخل، وأن علينا أن نطلب المساعدة. وياله من تناقض مع الفكرة القائلة بأنه ينبغي علينا أن "نسلك" حسناً كي نصبح أفضل! فالكتاب المقدس يعلمنا العكس من ذلك تماماً.

كيف لنا أن ننمو روحياً وعاطفياً؟ ومثلما أن الخليط الصحيح من ضوء الشمس والماء والهواء والتربة يغذي النبات من خلال بذاره وفروعه وبراعمه، كذلك نحن في حاجة إلى مقومات تساعدنا على النمو. ويقدم الله ثلاثة عناصر تغذي رحلتنا خلال مراحل النمو الأربع المختلفة: النعمة، الحق، والوقت.

**النعمة:** وهي المقوم الأول اللازم للنمو، هي شئ نحصل عليه من الله.. ولا نستحقها، وليس بمقدورنا أن نكسبها. فالله هو الذي يهبها لنا. ولقد خلقنا الله بحيث نكون في حاجة إلى علاقة، وحين قطعت هذه العلاقة في جنة عدن، أعادنا إلى علاقة معه بواسطة النعمة. ويقول الكتاب المقدس: "ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو ٥:١٠).

وعلى الرغم من المشاكل العنيفة التي تسببها المجموعات الصغيرة في المناطق المدنية في جميع أنحاء

البلاد، إلا أنه مما يدعو إلى السخرية أن كثيرين من الشباب يجدون النعمة في هذه المجموعات. ذلك أنهم يقبلون فيها. وربما كانوا طُردوا من البيوت التي نشأوا فيها، أو لعلهم هربوا من بيوتهم، وهم يشعرون أنهم مبعدون. ولتعويض ذلك اختاروا عائلة جديدة، حتى لو كانت عائلة مدمرة ومخرّبة لكنهم يشعرون دائماً أنهم مرتبطون. وكما قالت فتاة في الثالثة عشرة من عمرها عن احتمال تعرضها للقتل في معركة بالأسلحة: على الأقل سأموت مع جماعتي.

وتقول النعمة إنك تنتمي-بغض النظر عمن تكون، أو ماذا تفعل-إلى العائلة. وأنك مهم. والعلاقة الآمنة يمكنها أن تغذي نموك الروحي والعاطفي على حد سواء ،كما أن الغصن لا يستطيع الحياة بدون الكرمة (يو ١٥:٦)، فإنك لن تستطيع الازدهار بدون أن تكون لك صلة وارتباط روحي وعاطفي مع الله ومع شعبه.

**الحق:** إذا كانت النعمة هى قلب النمو، فإن الحق هو هيكله، مبناه. فهو المعلومات التي يجب أن نعرفها لنعيش حياتنا. وقد يدفعنا الحق لنتولى المسئولية في منطقة ما، أو لمواجهة الخطية في منطقة أخرى. وقد يلزمنا الحق أن نتعلم مهارة جديدة، مثل وضع الحدود. وحقائق الكتاب المقدس-على سبيل المثال-تتصل بحاجتنا إلى أن نكون متأهبين لكل عمل صالح (٢تي ٣:١٧).

جاءت (فيليس) إلى العلاج وهى منزعجة لأنها فضلت ابنتها ذات التسع سنوات، على ابنها البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة. فهذا الولد ذو النشاط الزائد، كان يضايقها بصفة مستمرة، وكثيراً ما كان يتحدى سلطتها. واكتشفت (فيليس) أنها كانت تمتعض منه يومياً. وعلى النقيض من ذلك، كانت البنت نافعة متعاونة، وأكثر قبولاً لديها.

ولم يكن الأمر يتعلق بأن (فيليس) لم تفهم أمور ابنها الصبيانية، بل كانت تدرك حاجته إلى مزيد من الضوابط والتوجيهات. كما كانت تعرف أيضاً أنه وأخته ينتميان إلى مرحلتين تنمويتين مختلفتين. ومع ذلك فإنه على الرغم من محاولتها، لكنها لم تستطع أن تحمل نفسها على الشعور بأنها أقرب إلى ابنها.

وذات يوم-وهي في العلاج-أدركت أن ابنها يذكرها بجزء مفقود من شخصيتها. فقد نشأت على أن تكون مذعنة- وهى تشبه إلى درجة كبيرة ابنتها-وكان والداها لا يسمحان بأي خلاف في البيت. وقد أنعش فيها ابنها مشاعر عميقة من كراهية الذات، والتي بدورها عكست كراهيتها لوالديها لنبذهم طبيعتها العدوانية المتحدية بفطرتها.

والحقيقة الكامنة في خلفية مشاعرها قد حررتها. والآن، وإذ هى تعرف منشأ هذه المشاعر، ولماذا يثير ابنها غضبها كثيراً، استطاعت أن تتعامل مع مشاعرها، وتعلمت أن تزيد حبها لابنها. وإضافة إلى ذلك، بدأت تنمي الجزء الجميل من شخصيتها التي دفنتها في طفولتها. ولقد حررها الحق بالفعل (يو ٨:٣٢).

**الوقت:** الوقت هو الحاضنة التي ينتج فيها النعمة والحق ثماراً. والوقت يتيح لنا فرصة لتعلم الحقائق المدروسة التي نحتاجها، دون إدانة. وحين طلب منا الرب يسوع صليبنا يومياً (لو ٩:٢٣)، كان يشير-ضمن أمور أخرى-إلى العملية المستمرة الخاصة بأن نملك حياتنا. والنمو الروحي لا يتحقق فورياً، وهو يشبه (الفرن

العادية) بأكثر مما يشبه (الميكروويف)، من ناحية أنه ببطء وبصفة تدريجية يحمي المكونات ويذيبها معاً كي ينتج شخصاً جديداً.

ولم تغير (فيليس-على سبيل المثال-مشاعرها تجاه ابنها بين عشية وضحاها. فقد استغرقت وقتاً لتعمق فهمها لمخاوفها أن تكون عدوانية، كما أخذت وقتاً لتميز سلوك ابنها من ماضيها، كما تطلب الأمر وقتاً لتعرفه بطريقة جديدة، وقتاً لمسامحة والديها. غير أنها ببطء، وبصفة تدريجية، شرعت تقبل ابنها بمزيد من النعمة وبقليل من الامتعاض.

وهذه العناصر الثلاثة، تتحد في حياتنا كي تجعلنا معافين، كاملين، محبين، عاملين. ولقد جاءتنا النعمة والحق بواسطة الرب يسوع (يو ١:١٧)، ومن بين أغراضهما أن يجعلانا ناضجين.

وعلى غرار (ديبرا) كان (چيف) مكتئباً. فرجل الأعمال هذا، الذي يبلغ من العمر خمساً وثلاثين سنة، لم يستطع أن يركِّز في عمله، ولم تكن لديه طاقة، ولم يكن يستطيع النوم ليلاً. فالشجار مع زوجته أصبح يتكرر كثيراً.

قال أثناء أولى جلسات علاجه: "لا أستطيع الإحساس بأني حي. ولا أستطيع الإحساس بالحزن، ولا أستطيع الإحساس بزوجتي وأولادي، ولكني أريد أن أحس بهم".

شخَّص الطبيب النفسي المؤمن الحالة بأنها اضطراب في العلاقات. وبعبارة أخرى، وجد (چيف) صعوبة في عمل ارتباطات عاطفية. ولذلك، وعند نقطة معينة في حياته، تعلَّم أن يواجه ذلك بأن يكون كفئاً ومسئولاً، ومكتفياً بذاته.

وفي الجلسات الأسبوعية مع طبيبه، وجد (چيف) مكاناً آمناً يستكشف فيه السبب في أن المشاعر والاقتراب من الناس كانا أمراً في غاية الصعوبة بالنسبة له. كما انضم أيضاً إلى دراسة كتابية في كنيسته تتناول موضوع العلاقات، حيث بدأ يتفتح بشكل تدريجي، ويشارك مخاوفه ورغباته، بعمق.

ومن خلال عملية صعبة، ابتدأ (چيف) يدرك حقيقته أنه جاء من عائلة مفككة عاطفياً. وعلى الرغم من أنه كان دائماً يعتقد أن والديه كانا قريبين تماماً، إلا أنه بدأ يدرك أن هذا التقارب ما هو إلا شكل فقط جعله يشعر بالخسارة والغضب.

وقد تعلم (چيف) أن يتحمل مسئولية هذا التفكك. وعلى الرغم من أنه لم يتسبب في ذلك، لكن الأمر كان بمثابة مشكلته هو لا مشكلة والديه، أو زوجته، أو أصدقائه. حيث كان ينعزل مع نفسه في الوقت الذي يتطلب التعزية والمساعدة من الآخرين. وبمعونة من المجموعة المخصصة لمساعدته، أصبح مهتماً بكل الوسائل التي تقربه للآخرين.

وبدأت عناصر النمو الثلاثة تعمل بشكل تدريجي بالنسبة له، النعمة (من خلال طبيبه النفسي والمجموعة التي تعاونه)، الحق (في شكل المعلومات الكتابية التي تعلمها وكيف أنها انطبقت على أفكار أولئك الذين

كانوا يعرفونه)، والوقت (حيث أنه كان يعالج أسبوعياً من ميله إلى الانعزال بدلاً من الاتصال بعائلته وأصحابه).

إن النمو يشكل إجراءً فيه نحتاج إلى مكان آمن نشعر فيه بالمحبة، ومعلومات نافعة عن أنفسنا، ووقتاً للممارسة والإخفاق.

ترى، ما الذي يقوله لنا هذا الرأي المتعلق بالنمو؟ إن الأمر وبكل بساطة هو أن السلوك الحسن، والمتزن، والمحب، والمسئول هو الذي يسير على نهج الله-وهو يتأتى بعد فترات طويلة صعبة من العمل على أسس جذرية.

تأمل هذا السيناريو: "فلفترض أنك أصبت بالحمى وذهبت للطبيب. شخَّص حالتك بأنها بكتيرية، وعوض أن يكتب علاجاً يوصي فيه باستخدام مضاد حيوي، إذا به يتفرس وجهك ثم يقول: "تصرف كما لو أن حرارتك طبيعية، سأعد فحصك بعد أسبوعين". ومثل هذه العلاجات الخاطئة تفرض على المؤمنين حين يقال لهم أن يغيروا ثمرهم-في الوقت اللازم الذي يتم فيه تجاهل الجذر.

***المشكلة (٢): تغيير سلوكنا فقط يجبرنا أولاً على أن نسلك مثل الفريسيين، ثم يدفعنا إلى اليأس:***

لقد طلبت الزوجة العجوز من (ديبرا) التظاهر بأنها تحب الآخرين. ولذلك حاولت (ديبرا) أن تخفي خلافاتها. وإخفاء الامتعاض هذا- الشئ الروحي الذي يتوجب عمله طبقاً لنصيحة صديقة (ديبرا)-يبدو بغيضاً يشبه ما عمله الفريسيون، الأمر الذي جابهه الرب يسوع بأقسى أقواله:

"ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة. أيها الفريسي الأعمى نقِّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً (مت ٢٣:٢٥-٢٦).

وكان الفريسيون يأتون الأمرين معاً، كانوا يسلكون على نحو سليم في كل الظروف، وفي كل المناسبات، وكانوا مدققين للغاية. ومع ذلك، وعلى أساس ما قاله يسوع لهم، والله يهتم بأن تفهم (ديبرا) سبب اكتآبها (حتى تستطيع أن تتخلص منه) بأكثر من اهتمامها بتدقيقها في مدى صحة بعض الأمور التافهة. والذي يستحق بالأكثر هو أن نفحص قلوبنا (مز ١٣٩:٢٣)، لنعرف لماذا نتصرف خطأ؟ والسبب في أننا حزانى، أو علة الأفكار النجسة التي تراودنا. فهو يريد معرفة المشكلة الحقيقية-المشكلة الروحية-ومعالجتها، لأنه يعرف أنه حينئذ وحينئذ فقط سيكون خارج الكأس نقياً.

وبعض الناس بوسعهم أن يتظاهروا بالسلوك الحسن لفترة ما. مثل الممثلين الذين ينتظرون في الكواليس لأداء أدوارهم، فهم يهيئون أنفسهم لتمثيل أدوار السعادة، والإيجابية والسلوك على نحو سليم، وأن يظهروا روحانيين. وهذا أيضاً يتطلب جهوداً مضنية.

أما الناس الذين يستمرون في حياة التظاهر طوال عمرهم كثيراً ما يتحكمون في الآخرين بأن يصبحوا

معلمين لهم، مثلما كانت (شارون) الزوجة الأكبر سناً، تتحكم في (ديبرا). ومثل هذا التحكم يبعد كل من يسيرون على نهج (شارون) عن مشاكلهم الخاصة. ولهذا كانت (ديبرا) تتخذ اتجاهاً آخر. فعلى الرغم من رد (شارون) الذي ركز على السلوك، فقد اتجهت (ديبرا) نحو اليأس.

ونحن عندما لا يتحقق رجاؤنا، يتملكنا اليأس: "الرجاء المؤجل يجعل القلب مريضاً" (أم ١٣: ١٢). وهذا هو ما حدث للبعض حين حاولوا أن يعيشوا حياتهم طبقاً لهذا الافتراض الزائف. فقضاء سنوات طويلة في محاولة عمل الشئ الصحيح، وفي محاولة السلوك على نحو سليم، ولكنها دون إحساس عميق بالارتباط الروحي بالله وبالآخرين، فمثل هذه المحاولات إن عاجلاً أم آجلاً ستفقد قوة الدفع لأن هؤلاء الناس الذين فقدوا الرجاء صاروا محبطين. وكثيراً ما يتركون الكنيسة، زاعمين أن المسيحية "لم تنجح معهم". وهم يشعرون بأنهم فاشلون روحياً، لأنهم لم يستطيعوا أن يتصرفوا كما يليق بمؤمن.

ومع ذلك فإن كلمة مؤمن ذاتها، تعني "مشاكل"، فنحن لم ننل الخلاص إلاّ حين أدركنا مشكلتنا الروحية الرهيبة، وبعد أن اقتنعنا بأننا لا نستطيع أن نحيا حياتنا اعتماداً على أنفسنا بمعزل عن الله. وعلى هذا فيسلك المؤمنون مثل أي شخص آخر، لديه مشكلة. قد ننال المغفرة، ولكننا لسنا كاملين.

ويوضح الفرق الذي أشار إليه الرب يسوع بين صلاة الفريسي وصلاة العشار هذا الأمر، لقد كان الفريسي يصوم ويقدم العشور ويشكر الله على أن سلوكه صحيح. أما العشار فبكل ببساطة كان يلتمس الرحمة بقلب متواضع تائب- "ونزل إلى بيته مبرراً" (لو ١٨: ١٠-١٤). احترز من الذين يبدون أنهم يتصرفون من الناحية الروحية بدرجة الكمال. فقد يجندونك لبرنامج صومهم وعشورهم، دون الرجوع أولاً إلى الله.

***المشكلة (٣): تغيير سلوكنا فقط ينكر قوة الصليب:***

يعد نهج "السلوك الحسن" إهانة لقوة الله المخلّصة التي تقدر على شفائنا. فهو يضع قوة التغيير على عاتقنا، وهو يفترض أنه لنا القدرة على أن نتخلص من قلوبنا المليئة بالأنانية والشهوة والكراهية عن طريق تغيير سلوكنا (انظر الافتراض رقم ١٠).

وتغيير الإنسان لسلوكه بغية تغيير قلبه يدعم نزعة التكبر ويخيل للإنسان أنه كلي القدرة، يعتمد على ذاته، الأمر الذي يبعد الله خارج المشهد. فبدلاً من الله، فإن كل ما لدينا يكون إلهاً عاجزاً يتمنى لنا خيراً في عجزه في الوقت الذي ينظر فيه بسلبية إلى ألمنا وكفاحنا.

لكن الحالة أبعد ما تكون عن ذلك. فالله هو مصدر شفائنا "لأن منه وبه وله كل الأشياء" (رو ١١: ٣٦)، وهو يعمل فينا "هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (في ٢: ١٣). فهو يشكل ويغذي ويصوغ نمونا، وإصلاحنا من الناحية العاطفية.

وهذا التعليم القائل بأنه "إذا ما غيرت سلوكي فحسب، فلسوف أنمو روحياً وعاطفياً"، هو في جوهره، عبادة البشر. وما جاء في (كو ٢: ٢٣) يسمى هذا "عبادة" أو عبادة قوة إرادتنا، وقدرتنا على تقديس أنفسنا. وهو تعليم يعطي ظهره للتواضع والاتكال على الله وعلى كنيسته. ويتجاهل عجزنا، وانكسارنا

وفشلنا. ويعتمد على قوتنا الداخلية وقدرتنا على اختيار ما هو صحيح في كل مرة. وهذه قوة فقدناها بالسقوط.

## إذاً كيف يتعين علينا أن نسلك؟

إذا لم يأت تغيير سلوكك بفروق طويلة الأمد، في نفسك، هل ستقوم بكل بساطة بالرجوع عن ذلك وترك الأمور لله؟ هل يجب عليك أن تصبح شاهداً سلبياً في عملية شفائك الروحي؟ هل يتعين عليك ألا تعمل شيئاً وتتيح لله أن يصلح أحوالك؟. إن هذا المفهوم ليس كتابياً، شأنه في ذلك شأن نهج "السلوك" الذي هو على النقيض منه. فالله يضع قيمة كبيرة على المسئولية الشخصية أي الدور الذي يجب أن نقوم به في نمونا-حيث أن علينا أن نتمم خلاصنا "بخوف ورعدة" (في ٢:١٢).

تذكَّر أن الله يود أن يساعدك على تنمية شعور متزايد بمسئوليتك عن حياتك. ويريدك أن تكون ناضجاً تماماً. فالأطفال هم الذين يحتاجون إلى آخرين يتولون المسئولية عنهم، إلا أن النمو إلى حالة البلوغ من الناحيتين العاطفية والروحية هو أن نصبح وكلاء على مشاعرنا، وأفكارنا، وسلوكنا.

ما الذي بوسعنا أن نعمله إذاً؟ إذا كان كلا الأمرين صحيحاً-إن أعمالنا هي دلالات تشير إلى حالتنا الروحية (وليست أسباباً تحدد حالتنا)، وإننا أيضاً نتحمل مسئولية أن نتحسن-إذاً ما الذي بمقدورنا أن نعمله لمساعدة أنفسنا دون محاولة أن نقوم بعمل الله بدلاً منه؟

يقدم لنا الكتاب المقدس الإجابة. نحدد أغراضنا بأن نلجأ بكل نشاط إلى المغذيات الجيدة. وكما أن الشجرة المغروسة في أرض جيدة يمكنها أن تزدهر، هكذا نستطيع نحن أن نعرض أنفسنا لموارد الشفاء التي أتاحها لنا الله. فالسلوك الوحيد الذي بمقدورنا ممارسته والذي يمكنه أن ينقلنا إلى حالة البلوغ العاطفي والروحي، هو أن ننشِّط أنفسنا ونلجأ إلى المغذيات-أي، إلى الله وشعبه. ومع ذلك فإنه حتى هذا العمل من جانبنا، إنما هو نتيجة عمل الله فينا: "لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني" (يو ٦:٤٤). ومن الصعوبة أن نعترف أننا عاجزون عن تغيير سلوكنا. فالأمر يتطلب تواضعاً جماً أن نأخذ فشلنا، وخزينا، وآلامنا، إلى النوعية الصحيحة من الناس-الذين يتحركون نحونا، ويعزوننا بالتعزية التي سبق أن تعزوا هم بها (٢كو١:٣-٤).

إن مدمن الخمر الذي يحاول التوقف عن شربه باستخدام قوة إرادته والتزامه، إنما هو يضيع وقته. ومن الأفضل له كثيراً أن يستخدم قوة الإرادة هذه في أن يحمل نفسه على الذهاب إلى اجتماع المعاونة التالي. والشخصية المحبطة التي تحاول التصرف بشكل سلبي إنما تحبس نفسها في دائرة من اليأس. فهي في حاجة إلى أن تجد أماكن النعمة والحق حيث يمكن لقلبها المنكسر أن يجد الشفاء. وكما نستخدم سلوكنا كي يدفعنا إلى المحبة والمسئولية عوض أن نحاول إصلاح أنفسنا، فإننا نستخدم أعمالنا لإحداث تغيير حقيقي.

### يمكن أن يكون السلوك مربكاً

وحتى التغيير السلوكي الإيجابي يمكن في الواقع أن يكون تحذيراً على أن الأمور ليست جيدة. والأعمال

السلبية يمكن أن تكون في الواقع دلالة جيدة على النمو. حتى وإن كان من غير الممكن لأي تغيير أن يكون علامة على النمو.

**الغضوب (نوبات من السلوك الحسن)**

جلس (فرانك) على حافة مقعده أثناء أول جلسة علاج نفسي يحضرها، وقد وضع نفسه في صورة اللهفة والتعاون. وما كان يدور بخلدك أن رجلاً طردته زوجته من البيت حتى يتم علاجه نفسياً يكون على هذا النحو من الإيجابية بالنسبة لحصوله على المساعدة. ولا يمكن أن تعتقد أن رجلاً له هذا التاريخ الطويل من نوبات الغضب، ومشاكل أداء العمل، والتأخير المزمن، يكون متلهفاً للحصول على المساعدة على هذا النحو. لكنه كان هكذا بالفعل.

قال لي (فرانك): أخبرني بالبرنامج يادكتور، ولسوف أنفّذ كل ما تقوله لي.

قلت له: حسناً، إن الأمر بسيط جداً. فالبرنامج (يافرانك) هو ألا توافق على أي شئ أقوله، وأن تتمرد عليه. وبعد فترة صمت طويلة سألني قائلاً: "لماذا؟" أجبته: "لأن ذلك سيساعدك على أن تكف عن الكذب، لأن تاريخ حياتك يبين أنك لا تستطيع ألا تتفق مع الآخرين إلا إذا شعرت أنك مرغم على ذلك. فلديك احتياجات هائلة لأن تكون مقبولاً، ومع ذلك تكره أن تستجيب لكي تحظى بالقبول. وإني أقترح أن نرى من أنت حقيقة؟.

وكان (لفرانك) أيضاً تاريخ طويل مع الأطباء النفسيين. وكان يغريهم بأن لديه دوافع قوية، وبعد ذلك يحسِّن من سلوكه إلى حد كبير، ويعزو ذلك إلى براعة الطبيب النفسي. ثم، وبدون سبب واضح "ينتكس" ويفقد عمله، ويدخل في عراك، أو ينهى علاجه النفسي على حين غرة.

إن السلوك الإيجابي الذي تملّك (فرانك) فجأة ليس له علاقة بنموه الروحي. فقد كان يسترضى شخصية من أصحاب السلطان كان يكرهه ويخشى جانبه. وسبق أن اكتشفت قبل ذلك بعدة سنوات أن (فرانك) تعلّم إن يهدئ من غضب والده بنفس الطريقة. فقد كان (فرانك) رجلاً يرضي الناس لا الله (غل ١ : ١٠). ولكن طريقته هذه لم تنجح، لأنها كانت تقوم على أساس الخوف من إغضاب شخص ما، وليس عرفاناً منه بما يلقاه من حب. وتعلّم (فرانك) التضحية بمشاعره الحقيقية لتجنب غضب الآخرين.

ولم يقل فرانك ما يستحق الذكر في بقية تلك الجلسة الأولى، لكن كان لديه الكثير ليقوله في الجلسة الثانية. وقد شرع يذكر الحقيقة من ناحية امتعاضه البالغ لاضطراره الحضور للعيادة، وكيف كان غاضباً لما كان يعتبره لعبة القوة الصارمة التي كانت تمارسها زوجته معه، وأخيراً عن مدي خوفه من أن يسيطر عليه الآخرون.

وغالباً ما تكون النوبات الأولى من السلوك الحسن مبنية على الخوف، ومع ذلك، لا يتأتى أي نمو إلا في

ظل المحبة، والمحبة والخوف لا يمكنهما أن يعيشا في ذات القلب: "لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج لأن الخوف له عذاب" (١يو ٤:١٨). إن قيام (فرانك) بأعمال حسنة لم يكن سوى وسيلة يبتعد بها عن الأذى. ولم يكن في قلبه أي ثمر للمحبة.

## عندما يكون الأسوأ سبباً في الأفضل

ومن الأسباب التي تحملنا على ألاَّ نثق دائماً في التغيير السلوكي هو أن ما يبدو وأنه تراجع، أحياناً ما يكون علامة طيبة، وعلى سبيل المثال، فقد اجتاز (فرانك) مؤخراً فترة كان خلالها أكثر معارضة وتمرداً، وصعب العشرة بأكثر مما كان من قبل. وربما افترض بعض المؤمنين أنه تخلى عن إيمانه، وأنه في حاجة إلى أن يواجه بخطيته.

ومع ذلك كان على (فرانك) أن يجعل خارج الكأس مثل داخله متناغماً (مت ٢٣: ٢٥-٢٧)، حيث كان يظهر الخلافات والأضرار التي كان يخفيها لعدة سنوات. وفيما شرع في تكوين صدقات، استطاع السيطرة على سلوكه. وكثيراً ما تكون الأضرار والنقائص الروحية والعاطفية، مخفية في ظلام داخل قلوبنا، بعيداً عن الصلات التي تتسم بنعمة الله وشعبه. وحين تبدأ هذه الأفكار والذكريات الأليمة السلبية في الظهور في العلاقات، أحياناً يتصرف الناس للمرة الأولى على النحو الذي شعروا به حقيقة طوال عقود.

يتملك الغضب البعض، وآخرون يتحسرون على خسائرهم، كما يشعر الآخرون باتكالهم على الآخرين لأول مرة في حياتهم. ومثل هذه المشاعر قد تكون غير لطيفة بالنسبة للشخص الذي يحس بها، وبالنسبة لأولئك الذين هم من حوله (أو حولها) أيضاً. لكن التعبير عن هذه المشاعر يشير إلى أن الله يأتي إلى ارتباط بمن هم في عزلة. وتوضح قصة الابن الضال وأخيه الأكبر "الصالح" هذا. فبعد أن بدد الابن الأصغر ميراثه في عيش مسرف، شعر بفراغ وأدرك حاجته للعون. ومع ذلك، فإن الابن الأكبر-الابن الصالح-امتلأ حسداً: "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك"، وبدأ يهمز لوالده قائلاً: "وجدياً لم تعطني قط" (لو ١٥:٢٩).

لقد تصرف الابن الأكبر بشكل حسن لأنه كان يخشى فقد ميراثه، وليس لأنه أراد أن يكون ابناً صالحاً. ومع ذلك. فقد تعامل الابن الضال بأمانة مع خطيته وتمرده واستطاع أن يتوب وأن يكون قريباً من أبيه مرة ثانية.

يمكن للفترات الخطيرة والرديئة في حياة بعض الناس أن تقربهم إلى الرب، لأن هؤلاء الأشخاص جاهدوا بأمانة مع الله مثلما فعل يعقوب في (يبوق)،. ولم يرضخوا بدافع الخوف.

## لا يعدُّ عدم التغيير بالضرورة ركوداً:

وحين يحصل أحد على تعضيد عاطفي، فإن هذا قد لا يثمر عن نتائج عاجلة. وتستمر الكآبة وتستمر مشكلة عدم سيطرتهم على ما يأكلون، وزواجهم يتعثر. وهنا كثيراً ما يحدث أن يشارك الأصدقاء ذوي

النوايا الحسنة بقولهم: "إذا كان علاجك النفسي (أو المجموعة التي تعاونك، أو برنامج شفائك الخ) يسير على نحو طيب، فلماذا لم يطرأ عليك أي اختلاف؟ أليس من المفترض أن تكون له نتائج؟ ويبدأ الشخص الذي هو موضع الشفاء في التشكك في العملية، وفي نواياه، أو في الله نفسه.

وهنا أيضاً لا يكون النمو الروحي والعاطفي أمراً فورياً. والله في الكتاب المقدس وبصفة مستمرة يشبّه نضجنا وشفاءنا بالكيفية التي تنمو بها النباتات: وذلك الذي يبتهج بناموس الله يكون "كشجرة مغروسة عند مجاري المياه. التي تعطي ثمرها في أوانه" (مز ١:٣). فما الذي تعنيه "في أوانه"، إنها تعني "في الوقت الصحيح". وإذا ما توافرت المقومات المناسبة للنمو، مثل الكد في العمل، وعمل الله الداخلي، فلسوف تأتون بثمار الروح: محبة فرح سلام...وصلاح (غل ٥:٢٢-٢٣). وهي لا تعني تقديم يوم، ولا تأخير يوم. والثمار التي تكون قبل الأوان تتأتى نتيجة قوة الإرادة، وليس من عند الله.

ولسوف تمرون بأوقات مظلمة، يكون فيها سلوككم لا يزال خارجاً عن السيطرة، أوقات قد تتشككون فيها في الله. لكنه مازال يعمل في شخصكم، حيث يحرككم ويشفيكم ويغيركم من الداخل. ومثل المزارع الذي ينثر البذار ويراها تنبت "وهو لا يعلم كيف" (مر ٤:٢٦-٢٩)، كذلك فأنت لا تعرف دائماً كيف يقوم الله بتغييرك. لكن، عليك مواصلة القيام بدورك، واتركه يتصرف بطريقته مع مقوماته في عمقك من داخل. والتغيير السهل هو تغيير ضحل، وليس نمواً في الشخصية.

إن الوقت الذي لا يشهد تغييراً في حياتك قد يعني ببساطة أن شفاءً عميقاً مهماً وخاصاً يحدث داخلك الآن. وعليك أن تحذر من أولئك الذين قد يفسرون عمل الله البطئ غير المرئي في داخلك. على أنه علامة على عدم وجود أي نمو. واحترز من الوعود بشفاءات سريعة لا تتطلب شيئاً من الاتضاع، والإيمان، والصبر، أو التأخير في الشعور بالرضا، وكلها علامات على النضج الروحي الحقيقي.

أما (ديبرا) والتي تبدأ في تصحيح سلوكها فقد كانت من-حسن الحظ-باحثة. وحين لم يهدأ امتعاضها وغضبها نتيجة أعمالها الصالحة (كما أكدت لها صديقتها) لم تستمر في محاولة عمل نفس الشئ. لكنها لم تستسلم، بل انخرطت في مجموعة مشورة في كنيسة أتاحت لها أن تفهم مشاعرها السلبية بدلاً من تجاهلها. وقد وجدت طبيباً نفسانياً مؤمناً ساعدها على أن تعرف أن التصرف بإيجابية ما هو إلا-تصرف. ووجدت النعمة لتحلل مشاعرها.

ووجد اللحم المفروم بالفلفل طريقه ثانية إلى مائدة (ديبرا) ليس لتخفف ألمها، بل لأنها كانت تحب زوجها وأطفالها.

# الافتراض الرابع

## "عليّ فقط أن أضع كل شيء في يد الرب"

كلف إدمان الخمر (دينيس) مشروعين تجاريين كبيرين وعائلتين. وكان صديقي بعد كل خسارة يعود ويتخذ لنفسه حياة جديدة، لكنه لم يستطع المحافظة عليها. فقد طلق زوجته ولحق الإفلاس بمشروع تجاري كبير كان يديره.

وكثيراً ما تسببت حفلات المرح الصاخب، وتدخلات رجال الشرطة، والسكارى في إحراجه هو وعائلته. فكثيراً ما كان يستيقظ صباحاً ليجد نفسه في أماكن لم يكن يتذكر أنه توجه بسيارته إليها. كانت حياته كئيبة، ولم يجد أصدقاؤه ما يحملهم على الاعتقاد أن بمقدوره أن يتغير في يوم من الأيام.

أما الآن فهو رجل مختلف تماماً. لم يعد مدمناً للخمر، الذي ظل يتناوله لمدة عشرين سنة مضت، فهو رجل أعمال ناجح، وزوج صالح، ووالد محب، وصديق مخلص. وهو يقود خدمة للمدمنين في كنيسته، ومعروف في المجتمع بسرعة استجابته لمواقف كانت تبدو ميئوساً منها. وثمار حياته الحالية رائعة للغاية، بل وما كان هذا تغييراً دينياً قصير الأمد: ذلك أنه حافظ على أسلوب حياته الحاضرة مدة عقدين من الزمن.

وإذ تملكتني الدهشة كيف حقق هذا التغيير في تلك الأيام المبكرة التي لم يظهر فيها أي رجاء، سألته ذات مرة كيف تمكن من التخلص من الإدمان؟

قال بطريقة جافة: "كنت أشترك في اجتماعات جمعية محاربة الإدمان".

إن شفاء دينيس لم يكن شيئاً سقط من السماء. بل إنه عمل بكل جهد لتحقيقه، إذ اكتشف أن الله يطلب منا أن نكون شركاءه في التقديس، لنكون قديسين. وهذا صحيح بصفة خاصة في حالات النمو العاطفي الهامة، والتي يقول الله إنها شركة بينه وبيننا. وإذ لم ير أن يفعل ذلك وحده، فقد وضع نظاماً يعمل معنا بواسطته، كي يجعلنا ناضجين، ولكي يشفينا ويجعلنا على صورة ابنه (رو ٨:٢٩ ، ٢ كو ١٨:٣). وهو يطلب منا أن نكون شركاء نشيطين مسئولين في عملية شفائنا.

لنسمع كيف عبر بولس الرسول عن هذا الأمر: "إذاً يا أحبائي كما أطعتم كل حين-ليس كما في حضوري فقط بل الآن بالأولى جداً في غيابي-تمموا خلاصكم بخوف ورعدة. لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (في ٢:١٢-١٣). "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة" (أف ٢:١٠). أي أننا عاملون مع الله في صنع خلاصنا، ومع أن دوره هو دور أساسي، إلا أن لنا أيضاً دوراً واضحاً لا غنى عنه. نحن وكلاء خلاصنا وتقديسنا.

ومع ذلك فهناك مؤمنون كثيرون يتبنون موقفاً سلبياً تجاه نموهم الروحي والعاطفي، ولا سيما حين يتعلق الموضوع بصراعهم مع آلام عاطفية أو ضعف الشخصية، وبعض مواقف في الحياة تتطلب التغيير، أو تكون هناك أحلام تحتاج إلى تحقيق. ومثل هؤلاء المؤمنين لهم وجهة نظر بالنسبة لعملية شفائهم ونموهم تقول: "دعك من هذا واترك الأمر لله". وهذا الاعتقاد "كل ما أحتاجه هو أن أترك الأمر للرب" يمكن أن يضعف المؤمنين ويجعلهم مستمرين في ضعفهم. وعلى النقيض من ذلك، هناك دور نشط علينا القيام به في نمونا الروحي والعاطفي. وثمة مؤمنون كثيرون عاجزون عن التقدم لأنهم لا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شركاء مع الله في العمل من أجل نموهم.

## ليست حقائق متناقضة بل متماثلة

يبدو الأمر متناقضاً لدى بعض المؤمنين في فهم هذا الأمر ويقولون: "إننا عاجزون عن خلاص نفوسنا، ويتوجب علينا أن نكون شركاء نشيطين في عملية النمو والتغيير. يقول الكتاب المقدس إننا إذا حاولنا أن ننقذ نفوسنا فلسوف نهلكها" (مت ١٦: ٢٥)، ونحن غير قادرين على التغيير بأنفسنا، ونحن بالطبيعة "أمواتا بالذنوب والخطايا" (خطايانا، أف ٢: ١). وبمعنى عميق، إن الله هو الذي يبدأ خلاصنا، كما أنه هو الذي يتممه (في ١: ٦، رو ١١: ٣٦).

وبهذه الحقيقة فقط (إننا لا نستطيع أن نخلص أنفسنا) وبدون الجزء المكمل له (يجب أن نكون شركاء نشيطين في خلاصنا)، فإن المؤمنين المخلّصين سيطلبون من الله أن يشفي اكتئابهم، ويزيل قلقهم ويخلصهم من تطرف حب الامتلاك. ألم يلجأوا إليه كمخلص، إلى ذاك الذي يعطيهم حياة الوفرة؟ وهم يشعرون بالإحباط، والحيرة، والحزن حين لا يقدم لهم الله حياة الوفرة التي طلبوها.

والحق المماثل لعجزنا هو أنه يتعين علينا أن نكافح ونتقدم للأمام عاملين بكل جهد من أجل خلاصنا كي نمسك بما كفله الله لنا. والكتاب المقدس واضح في تفسير الدور النشط الذي يتعين علينا القيام به من أجل نمونا.

"اهتم بهذا. كن فيه لكي يكون تقدمك ظاهراً في كل شئ" (١ تي ٤: ١٥).

"أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (في ٣: ١٤).

لنتذكر إنه إن لم أقم بدوري، لن يتحقق النمو أبداً.

## * فكرتان سلبيتان

يوجد تعليمان (فكرتان) شائعان بالنسبة للشفاء العاطفي.

**أ- تعليم خاص بالمكانة:**

"ما عليك سوى أن تركز على وضعك في المسيح. لقد كفل كل شئ لك. ففيه الكفاية، وإذا كنت تؤمن حقاً بوضعك في المسيح، فلسوف تتخلص من الحالة العاطفية غير المرغوب فيها والتي تعاني منها".

والفكرة الأولى، والتي أسميها "التعليم الخاص بالمكانة" تؤكد على أنه إذا ما عرفنا حقاً ما كفله الله لنا في السماويات، فلسوف نتغير إلى حالة الكمال. ولن يكون علينا أن نتعامل مع جروح الماضي، أو أي آلام أو مآسي أخرى.

إن هذا ما يشوه عملية التقديس. فالله كفل لنا وضعاً أبدياً في السماء "وباركنا بكل بركة روحية" (أف ١: ٣)، ويعلمنا الكتاب المقدس أنه علينا أن نذهب ونمتلك ما أعطاه لنا. وهذا يماثل ما ذكر في العهد القديم. حيث نقرأ أن الله أعطى ضماناً بأرض الموعد، إلا أنه كان لا يزال على الإسرائيليين أن يدخلوا في معارك كي يملكوا ما وعدهم به.

وفيما يلي الطريقة التي وصف بها الله هذه العملية لموسى:

"كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان. فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم. وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم. تملكون الأراضي وتسكنون فيها لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها....وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها" (عد ٣٣: ٥١-٥٣و٥٥).

لقد كفل الله لنا وضعاً نتمتع فيه بالصحة لنصير على شبه المسيح، لكن علينا أن نحارب المعركة معه لنمتلك ذلك الوضع. وإذا لم نفعل ذلك، هنا سيواصل سكان نفوسنا القديمة تعذيبنا. وينبغي أن ننخرط بنشاط في عملية تقديسنا.

إن تعليم المؤمنين القائل بأن كل ما ينبغي عليهم عمله هو أن "يعرفوا وضعهم وأمنهم في المسيح" ينكر مسئوليتهم التي توجب عليهم أن يواجهوا آلامهم والموضوعات التي كانت السبب فيها. ويمنع هذا التعليم الكثيرين من القيام بعمل الأشياء التي يقول الكتاب المقدس عنها إنها واجب عليهم. وهو يبدو تعليماً روحياً، لكن الحقيقة هي أن هؤلاء المؤمنين يتجنبون المسئولية. وقد رأينا أناساً كثيرين عانوا لسنوات طويلة من اضطرابات عاطفية، محاولين الحصول على الشفاء من خلال إدراكهم "كفايتهم في المسيح"، دون القيام بالعمل الشاق المطلوب للتغيير الحقيقي. وحين يبدأون بالفعل القيام بالعمل الشاق، يهاجمهم مؤمنون آخرون ويتهمونهم بأنهم دنيويون من أتباع الحركة الإنسانية (Humanists)، ويعيشوين بمعزل عن الإيمان. وكم لاقى الكثيرون الأذى نتيجة هذا الأمر. وإذ يحاولون-بكل جهد- إدراك أمنهم "في المسيح" تراهم يفشلون في الوصول إلى أي أمن حقيقي، لأنه يتأتى من تعميق علاقاتنا بالله وكنيسته، ومن النمو في الشخصية والقدرات. فهم في حاجة إلى أن يكونوا متأصلين ومتأسسين في المحبة (أف ٣: ١٨). وأن يكونوا "صادقين في المحبة" فينموا في كل شئ إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح. الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أف ٤: ١٥-١٦).

### التعليم القائل "أبعد عينيك عن نفسك"

"كل ما تحتاجه هو أن تبعد عينيك عن نفسك وتركزها على الرب. وكل ما تعمله من التركيز على الذات إنما هو أنانية، ويرجع إلى مبادئ الحركة الإنسانية، ومن الجلي أنه لا طائل من ورائه لأنه عبادة للذات. عليك فقط أن تركز على الرب". ولا يُنصح المؤمنون بأن يضفوا صفة ذاتية على كونهم في المسيح فحسب، بل يقال لهم أيضاً أن يبعدوا عيونهم عن أنفسهم ويركزوها على يسوع. يقول لهم أصدقاؤهم، كما يحذرهم راعيهم قائلاً: "توقفوا عن التفكير في أنفسكم". وهذا التعليم يبدو روحياً حتى إنه يصعب رفضه إلى درجة كبيرة لأن الكتاب المقدس يحذر بالفعل من عبادة الذات.

لكن منع الناس من النظر إلى داخلهم يشوه الكتاب المقدس. ذلك أن الكتاب المقدس في واقع الأمر يقول عكس ذلك. فهو يعلمنا ضرورة النظر إلى الداخل، كما أن الرب يسوع يقول إن النظر إلى أنفسنا هو أول شئ يجب عمله": يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك" (مت ٧:٥).

كان داود يفحص دوافعه وأفكاره في (مز ١٣٩) حين طلب من الله أن يساعده على أن ينظر إلى داخله ويكتشف ما هو خطأ (الآيتين ٢٣-٢٤). وسبق أن اعترف في المزامير الأولى "أن الله يريد الحق في الباطن" (مز ٥١:٦). كما يُعَد الرسول بولس مثالاً آخر على ذلك حين قال: "ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس...لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكِم علينا" (١ كو ١١:٢٨و٣١). ولا تطالب هذه التعاليم بعبادة الذات طبقاً للفلسفة الإنسانية كما يُزعم بل بأن نفحص أنفسنا في إطار من خشية الله.

ويذكر الكتاب المقدس أنه حين يتقابل الناس مع الله، فإنهم سينظرون إلى داخلهم، لكل ما هو خطأ فيهم. ونعمته تعطيهم الإذن، وقداسته ترغمهم على المقارنة حين رأى إشعياء الله، رأى فوراً الحال البائسة التي كان عليها قلبه (إش ٦:١-٥). وقد وصف يعقوب الرسول وبكل وضوح عملية اتضاع أنفسنا أمام الله: "اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة وطهروا قلوبكم ياذوي الرأيين اكتئبوا ونوحوا وابكوا. ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم. اتضعوا قدام الرب يرفعكم" (يع ٤:٨-١٠).

وفيما نتفرس في الله، نلمس ما نحن فيه من خطية وانكسار. وأولئك الذين يعلموننا ألا نفكر في أنفسنا هم في الحقيقة يعلموننا تجنب عملية التطهير والشفاء والتقديس.

كما يعلمنا الكتاب المقدس أن النمو الروحي هو عملية ينخرط فيها الإنسان بنفسه إلى أقصى حد، فعلينا دائماً أن ننظر إلى أنفسنا، من خلال الاعتراف والتطهير والتوبة. وعلى النقيض مما تقوله حركة مناهضة للمشورة، فإن هذه النوعية من فحص الإنسان لأفكاره ودوافعه ليست عملية تمجيد ذات ديننونة إنسانية. فليس لنا أن نمجد ذواتنا، بل أن نتضع قدام الله حتى يستطيع أن يغير نفوسنا لنكون على شبهه.

والحصول على الوعي الذاتي يتضمن الاعتراف بخطايانا، ومعرفة الحق في أعماقنا، وحين نكتشف

نواحي النفس التي يتوجب أن تموت، فعلينا إماتتها، لكن هذا ليس ممكناً دون وعي ذاتي ونظر إلى الداخل.

## اثنتا عشرة خطوة وحيرة أخرى

قال لي (چين): "حاربت اكتئابي والمشكلات المتعلقة بطعامي لعدة سنوات محاولاً التغيير، ولكني صرت إلى الأسوأ لا إلى الأفضل. بعد ذلك ذهبت إلى جماعة الاثنتي عشرة خطوة في كنيستنا، وعرفت أنه يجب عليّ الاعتراف بأني كنت عاجزة عن التغيير، وأنه ليس بمقدوري أن أعمل أي شئ اعتماداً على نفسي. الله هو الذي يغيرني، وقد أتيت إليك، وها أنت تقول لي بأن هناك الكثير مما ينبغي عليّ أن أعمله. وأنا في حيرة من أمري.

أجبتها: "كلا الأمرين صحيح، فأنتِ لا حول لك ولا قوة، كما أن هناك الكثير مما يتوجب عليك القيام به".

لكنني إذا كنت عاجزة عن التغيير فما الذي أستطيع القيام به إذاً. إن هذا الأمر لا معنى له.

وفيما نمت حركة (الاثنتي عشرة) خطوة في الكنيسة، فإن مؤمنين مثل (چين) صاروا في حيرة بالنسبة لما نقدر أن نعمله بالنسبة لعملية تقديسنا. فإذا كنا بلا قوة، كما تعلمنا "الخطوة الأولى"، فما الذي بوسعنا عمله لكي نجعل أنفسنا قديسين؟ وإذا كنا مساكين بالروح كما تقول لنا التطويبات، فما الذي نستطيع كي نبرأ من ألمنا العاطفي والروحي؟ والاعتراف بأنه لا حول لنا ولا قوة يشبه إلى حد كبير قولنا: "دع الأمور، واتركها لله، أليس كذلك؟"

حقاً، إننا وبدون مساعدة الله نعجز عن شفاء آلامنا، وتغيير الطباع المتأصلة فينا. وعمليات الشفاء والتغيير هي عمليات خفية، لا نستطيع التحكم فيها. وكان مرقس الرسول قد كتب قائلاً: "وينام ويقوم ليلاً ونهاراً والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف" (مر ٤:٢٧). فليس بوسعنا أن نفعل شيئاً حيال الشفاء والنمو، ومثل زرع النبات، لكن إذا توافرت المقومات الصحيحة، يتم الموضوع.

ومع ذلك، فإنه وبكلمات أخرى، نستطيع أن نكون بستانيين مهرة. نستطيع أن نحرس قلوبنا، ونتأكد من أننا نخضع أنفسنا للعملية، وأننا نحصل على المغذيات التي وفرها الله، وأن نتحمل عمليات التحرر والتنقية اللذين يقترحهما، وأننا نشرب ماء ونور شمس محبته ونعمته وحقه.

والواقع أنه يوجد اثنا عشر عملاً نستطيع القيام بها في عملية النمو:

١- **لدينا القدرة على الإقرار بمشاكلنا:** هذا ما يسمى "الاعتراف"، وهذا ما يعني ببساطة "التسليم بـ" النمو. ولن نتغير إطلاقاً ما لم نعترف بحقيقة حالتنا. فحين نقرّ بأننا خطاة، هنا فقط نبدأ العمل في التخلص منها. وهنا فقط يكون بوسعنا التوقف عن إيلام الآخرين، وإيجاد العذر لأنفسنا. عندئذ نستطيع أن نطلب المغفرة ونحصل عليها (١يو ١:٩).

٢- **لدينا القدرة على الاعتراف بفشلنا في حل مشاكلنا:** إننا عاجزون عن خلاص نفوسنا. ويتوجب المجئ

إلي مكان نستطيع أن نقول فيه: "لقد فشلت يارب في محاولاتي أن أتغير وأصير إلى أفضل". كما يتوجب الاعتراف بجميع ضعفاتنا.

ويكون سبب الفشل في معظم الأحوال، أننا نحاول التغلب على مشاكلنا بأعمال إرادتنا، أو بطرق أخرى لتحسين الذات. ومع ذلك فإن أية محاولة ترمي إلى حل مشاكلنا نعتمد فيها على أنفسنا ستفشل. كتب بولس الرسول يقول: "فبكل سروري أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح" (٢كو ١٢:٩). توقف عن بذل المزيد من الجهد فلن تجن من وراء ذلك إلا الفشل. وأحياناً يكون عليك بدلاً من ذلك التوقف والانتظار.

**٣- يمكتنا طلب المساعدة من الله والآخرين:** هذا هو جوهر الاتضاع حيث ندرك أنه ليس بوسعنا عمل ذلك بمفردنا، وربما قد لا يكون بوسعنا تغيير توجهنا الجنسي، أو التوقف عن إنفاق المال قسراً، أو عدم الشعور بالكآبة، أو نوقف اضطرابات الأكل، لكن بمقدورنا أن نطلب العون من الله والآخرين. "اسألوا تعطوا" (مت ٧:٧). وكما قال يعقوب الرسول: "إن الله يريد مساعدتنا. لستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون" (يع ٤: ٢٠).

**٤- لدينا القدرة على الاستمرار في البحث:** أن نطلب من الله والآخرين كي يكشفوا لنا ما في نفوسنا، ويمكن لروح الله ولشعب الله أيضاً مساعدتنا لنرى أنفسنا على حقيقتها. لقد طلب داود من الله في (المزمور ١٣٩) أن يريه عيوبه، وطلبه هذا يوضح انكساره وحاجته إلى أن يكون محبوباً، والخطية التي هناك في حاجة إلى غفرانها والبعد عنها. وفي لغة الاثنتي عشرة خطوة، هذا هو "الجرد الأخلاقي" المتواصل. نحن نعطي الله إذناً كي يغير النواحي التي فينا والتي تحتاج إلى تغيير.

**٥- لدينا القدرة عي الابتعاد عن الشر الذي نكتشفه داخل نفوسنا:** ففي التوبة نكتشف النواحي البغيضة والشريرة فينا. وهنا نستطيع القول: "لا أريد أن أنحاز إلى ذلك الشعار، أو ذلك الجزء مني. أريد أن أكون مختلفاً". فعلى سبيل المثال، حين نكون مسيطرين، نستطيع الاعتراف بذلك للآخرين ولله بعدئذ، وفيما نلاحظ كيف أننا نسيطر على الآخرين في علاقاتنا، يصبح باستطاعتنا أن نتوب ونرجع عن ذلك. فالتغيير في الشخصية يتم عندما نعترف بخطيتنا، ونحقق احتياجاتنا الحقيقية، ونتوب عن الشر الذي نجده يأتي بطريقة طبيعية. فلسنا في حاجة إلى تغذية النواحي الشريرة في شخصيتنا بل نستطيع أن نخفف من قبضتنا عليها ونسمح لها بالذهاب.

ولا تعتقد أن هذا أمر هين. فنحن نتمتع بما نخفيه من كراهية ومرارة وحسد. ونحن نتمتع بالشهوة والخداع. ومع ذلك فإدراكنا أن هذه الخطايا تدمر حياتنا يمكن أن يحفزنا على أن نتخلى عن أية متعة فاسدة نحصل عليها من التمسك بهذه الخطايا. وبوسعنا أيضاً أن نسمح لله أن يدبر لنا هذه الحاجة بطريقة صحية عن طريق محبتنا له ولشعبه. والتخلي عن بعض النواحي الشريرة التي فينا، وأن نرتبط بالمحبة فهذا يشبه استبدال صديق بآخر. وهذا أمر بديل لتمسكنا بالنواحي الضعيفة، فهي عملية موت وولادة.

**٦- لدينا القدرة على اكتشاف الاحتياجات التي لم نستوفيها حين نكبر في عائلتنا:** وبعد ذلك نأخذ هذه الاحتياجات إلى عائلة الله، حيث يمكن أن نُستوفي. وقال الله إنه "مسكن المتوحدين في بيت" (مز ٦٨:٦).

ومن خلال عائلة الله، وكنيسته، نستطيع أن نجعل احتياجاتنا تتقابل مع الأعضاء الأخرين. وعلى سبيل المثال إذا كنا قد افتقدنا بعض التغذية الضرورية في طفولتنا، فإننا نستطيع أن نطرح هذه الاحتياجات أمام أعضاء جسد المسيح، لندعم علاقاتنا، فهو يطلب من الأقوياء تقديم هذه الاحتياجات لغيرهم (رو ١٥:١).

وإذا كنا في طفولتنا قد افتقرنا إلى التدريب والتشجيع من الأب، فبمقدورنا أن نلجأ إلى أولئك الذين هم في الجسد لمعاونتنا على أن نتعلم ونضفي الطابع الشخصي على ما لم نحصل عليه أثناء نمونا. وهذا هو بنيان (الجسد) في المحبة (أف ٤:١٣). وليس بإمكاننا أن نتوقع من الله-فوراً وبطريقة خارقة للطبيعة-أن يشفي الأذى الذي ألمَّ بنا من الناس. فهو يشفي من خلال شعبه. ولأن الأذى يلحقنا من العلاقات، فإن الشفاء أيضاً يتوجب أن يأتي من خلال العلاقات. لقد طلب الرب يسوع من شعبه أن يكونوا ذراعيه اللتين يحيط بهما كل منهم الآخر. لكن مشكلتنا هي أننا نادراً ما نطلب.

**٧- لدينا القدرة على أن نسعى وراء أولئك الذين آذيناهم:** وذلك حين تكون الأمور مواتية كي نعتذر لهم، معترفين بخطئنا، طالبين منهم مسامحتنا. وهذا ما يسمى بالمصالحة "فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك. اترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت ٥:٢٣-٢٤).

ويعلمنا الكتاب المقدس أنه لكي يكون لنا سلام مع الله، علينا أن نصنع سلاماً بين بعضنا البعض. ولا نستطيع ادعاء أننا نحب الله ما لم نكن نعمل كل شئ في وسعنا كي نكون في محبة مع الآخرين (١ يو ٤:٢٠-٢١). وثمة ناحية بالغة الأهمية للتحسن تتمثل في تنقية علاقاتنا مع الآخرين، وبذل جهدنا في معاملتهم معاملة طيبة. وهذا هو تنفيذ للوصية العظمى الثانية "تحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢:٣٩).

**٨- لدينا القدرة على مسامحة الذين ألحقوا الأذى بنا:** فبعد أن اعترفنا بخطايانا ضد الله وضد الآخرين، وبعد أن نلنا المغفرة، يمكننا أن نقدم نفس هذه النعمة للآخرين (أف ٤:٣٢).

والواقع أن شفاءنا وخيرنا مرتبطان بمغفرتنا للآخرين ارتباطاً وثيقاً، فنحن في حاجة إلى مسامحة الآخرين، ليس بالإرادة فقط، بل من القلب (مت ١٨:٣٥) ومن كل كياننا أيضاً. والمغفرة عملية عاطفية عميقة نتعامل بواسطتها بكل مشاعرنا. ويتعين علينا أن نكون أمناء بالنسبة لما يصدر عنا من ضرر وغضب، وألاّ نغلق قلوبنا ونصير قساة القلوب. (مز ١٧:١٠، أف ٤:١٩).

**٩- لدينا القدرة على تنمية مواهبنا ووزناتنا التي أعطاها الله لنا:** فقد أعطانا قدرات، ويتوجب علينا استعمالها. فالفرق بين العبد الصالح والأمين، والعبد الشرير والكسلان في (مت ٢٥) هو أن الأول استثمر وزناته، ومقدار ما أنجزه كل عبد لم يكن هو المهم، بل المهم هو ما إذا كان قد استخدم ما تسلمه. لكن العبد الشرير لم يحاول حتى أن يستعمل ما كان معه.

**١٠- لدينا القدرة على مواصلة طلب الله:** وقد وعد الله أننا إذا طلبناه سنجده، وإذا قرعنا سيفتح لنا الباب. وهو يعلمنا أيضاً أن نثابر في الصلاة، وفي طلب الاستجابة التي نريدها منه (يع ٤:٢ ، مت ٧:٧-١١ ، لو ١٨:١-٨).

**١١- لدينا القدرة على طلب الحق والحكمة:** والحق هو إعلان الله في الكتاب المقدس وفي خليقته عن كيفية عمله في الكون الذي خلقه. وبمقدورنا أن نطلب ما يعلّمه في كلمته وأن نكون طلبة ندرس أعمال يديه.

فالحكمة هي معرفة عملية يمكن تطبيقها، ويتم تعلمها من الحياة. ويجب أن ننخرط وبشكل وثيق في الحياة في هذا العالم ونتعلم من خلال الخبرة (عب ٥:١٤).

**١٢- لدينا قدرة متزايدة على اتباع مثل الله في المحبة:** فإن كنا "نحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصيته" (١ يو ٣ : ٢٣) فهنا ننال الشفاء. أما أولئك الذين يتمسكون بالكراهية والانتقام، والأنانية، فلن يشفوا. فالمحبة تربطنا بالآخرين، وتجعل قلوبنا رقيقة، وتقلل من عزلتنا، وتنضج نفوسنا. ومحبتك للآخرين هي أفضل شئ بمقدورك أن تعمله لتشفي من الألم العاطفي.

في أثناء جلسات العلاج التي عملتها (لجين) اكتشفت أنها تعاملت مع الكآبة لعدة سنين. وعلى الرغم من أنها كانت مؤمنة ملتزمة، إلا أنها لم تستطع إطلاقاً التغلب عليها. وسعت لسنوات عديدة أن تجد استجابات روحية لألمها العاطفي. جربت أن تقدمه للرب، وحفظت آيات الكتاب المقدس التي تتحدث عن وضعها في المسيح، وكانت تقضي أوقاتاً في الصلاة والتأملات.

وأخيراً، إذ كانت تشعر بالإثم وفقدان الأمل، قررت أنها فاشلة من الناحية الروحية. وغضبت من الله لما بدا لها أنه غير فعال في معركتها. لقد وضعت كآبتها أمامه لمرات أكثر مما تستطيع تذكرها. فلماذا لم يشفها؟

لقد تعلمت أثناء المشورة، أنه كان أمامها الكثير لتعمله. فلأنها جاءت من عائلة فاسدة جداً، فقد اتبعت (جين) نظام عدم الارتباط بالناس. ولم تسمح لنفسها أن تحتاج إلى أي أحد بشدة، ولم يلمس أحد ألمها إطلاقاً. ونمط العزلة هذا الذي لم يكن من شأنه سوى أن يحدد اكتئابها كل يوم.

وفيما كانت تعمل بجد لتغيير أسلوبها الوقائي بالانتساب إلى جلسات علاج نفسي، فردي وجماعي، بدأت تتحمل مسئولية العمل التي لا يستطيع أحد غيرها أن يعمله في عملية تقديسها. فشرعت تحكي قصتها للآخرين وتتقبل محبتهم وتشجيعهم. ولم تتغير بين عشية وضحاها، بل استغرق ذلك وقتاً طويلاً، وكان عملاً روحياً شاقاً، ولكن ليس روحياً بالمعنى الذي كانت تفهمه في الماضي، أي يقتصر على الصلاة ودراسة الكتاب المقدس فحسب، ولكنها تعلمت أن تبكي على خسائرها، وأن تتقبل العزاء من الآخرين، وأن ترجع عن نموذجها بالنسبة لعلاقاتها بالآخرين، والذي منعها من حب الآخرين. تعلمت أن تسامح أولئك الذين ألحقوا الأذى بها، وأن تتغلب على أسلوبها الدفاعي والذي منعها من التجاوب مع المحبة. ولكي تعمل هذه الأشياء، كان عليها أيضاً أن تصلي وتدرس الكتاب المقدس. ومع ذلك فإن حياة الصلاة بالنسبة لها أخذت أبعاداً جديدة، فقد طلبت من الله أن يريها كيف أنها في حاجة إلى التغيير، وأن يعرفها ما تخفيه في قلبها، طلبت منه أن يعطيها شجاعة لمواجهة صديقاتها وأعضاء عائلتها، المسئولية التي كانت تتجنبها دائماً.

وخلاصة القول فقد بدأت (جين) حقاً تتمم خلاصها "بخوف ورعدة". وتعلمت أنه لا يمكنها أن تعتمد على

الرب فقط كما علمها البعض، بل إنه اعتمد عليها في أن تمتلك ما ادخره لها. وكان عليها أن تواصل حياتها الروحية.

ومع هذه التغييرات، زالت كآبتها، وبعد ذلك قدمت للآخرين العزاء الذي عزاها به الله (٢ كو ١:٤). ولأنها شفيت من جروحها، فقد تمكنت من أن تحب الآخرين، وأن تعرفهم بالحياة الجديدة الوافرة التي أعطاها الله لها. وفي هذه المرة فقط، قامت (جين) بدورها جيداً.

# الافتراض الخامس

# "في يوم ما سأشفى"

كان (سال وفرانسيس) مبتهجين، لأن مجموعة دراسة الكتاب المقدس التي استضافاها ليلة الأربعاء كانت ناجحة. فقد درست المجموعة فقرة من رسالة أفسس تتحدث عن العلاقات، وقد اشترك الأزواج الحاضرون في المناقشة بحماس.

اعتادت (فرانسيس) أن تحتفظ لنفسها بمشاعرها وأفكارها الخاصة. ومع ذلك، فإنها إذ تأثرت بجو المحبة والرضا الذي ساد مجموعة دراسة الكتاب المقدس في تلك الليلة، قررت أن تجازف بإفشاء سر شخصي جداً أثناء طلب الصلاة.

تنفست (فرانسيس) بعمق لبرهة ثم قالت: "كنت أتلقى العلاج لفترة ما، من حالة اكتئاب تملكتني منذ الصغر، ويبدو أن العلاج يحقق نجاحاً. وبوسعي أن أرى يد الله أثناء المشورة. لكن الأمر لا يتسم بالسهولة دائماً لأن المشاعر أليمة للغاية. ولسوف أكون ممتنة جداً للصلاة من أجل نعمة الله في هذه الرحلة".

وذكر آخرون طلباتهم في الصلاة، وبعد أن أدت المجموعة الصلاة، وبعد ذلك وفي وقت تناول المرطبات، وفيما كان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث أثناء خروجهم، طلب (ليونارد) من (فرانسيس) أن يكلمها للحظة على انفراد. ومن ثم انسحبا إلى ركن هادئ.

قال (ليونارد): لا أود أن أبدو متطفلاً، لكني أعتقد أنه قد يكون بوسعي أن أساعدك في طلبك الذي ذكرتيه أثناء الصلاة.

قالت فرانسيس وهي مندهشة: لم أطلب شيئاً سوى أنني صليت. لكني وبكل تأكيد مستعدة لقبول المساعدة.

لقد رأيت هذا يحدث من قبل من أصدقاء لجأوا إلى العلاج النفسي لحل مشاكلهم الروحية. وواصلوا العلاج، جلسة تلو الأخرى لفترات طويلة. ولكنهم لم يتحسنوا إطلاقاً، إنني أتساءل يافرانسيس: "هل جاء الوقت الذي تتوقفين فيه عن المشورة؟ ومتى تتوقعين أن تتوقفي بالفعل عن الاستسلام للاكتئاب؟ لعله من المفيد أن تحددي موعداً نهائياً لهذا الأمر، لنقل على سبيل المثال أنك ستعطين نفسك مدة ثلاثة أسابيع تتوقفين بعدها عن الشعور بالاكتئاب.

لقد شعرت (فرانسيس) بالإهمال. فاتهامات ليونارد غير المباشرة تؤلمها، وقالت في نفسها-وقد تملكها

شعور بالذنب: "إنها ربما لم تكن تفعل الصواب في هذا الأمر، وإلا لكانت قد أنهت الآن جلسات المشورة، وتغلبت على حالة الاكتئاب التي تتملكها.

## متى تكون على ما يرام؟

إن ما قاله (ليونارد)، سبق أن قيل بطرق عديدة من قبل أصدقاء وعائلات مؤمنة كانوا يطلبون العون، وكانوا يتساءلون

- ألم تنته من العلاج النفسي بعد؟
- متى ستكونين بحالة جيدة؟
- أليس الحال يسير أسوأ بدلاً من أن يتحسن؟
- ألم يحن الوقت بعد لتواصلي حياتك دون قلق؟
- ألست في حاجة إلى تحديد موعد نهائي؟
- لماذا لا تفكرين في هدف ما؟

ووراء هذه الأسئلة هذا القول الغريب: "سأستغنى في يوم ما عن الشفاء". والذين يتبنون هذه الفكرة يعتقدون أن النمو الروحي يشبه تغيير لمبة الكهرباء المحروقة. تخلع اللمبة التالفة وتركب الجديدة بدلاً منها. وتكون المشكلة قد حُلّت، إنهم يعتقدون أنه يتوجب معالجة المشاكل العاطفية على هذا النحو. فشفاء حالة اكتئاب ومعالجة مشكلة إنفاق إجباري. إصلاح نوبة قلق. ولكن العملية لها نقطة نهاية واضحة. إن بعض الأطباء النفسيين يساندون وجهة النظر هذه. وفي أي مكتبة، ومن أي مهنيين يعملون بالصحة العقلية بمقدورك أن تعرفي ما بين خمس إلى عشر جلسات علاج المشاكل العاطفية. ومعظمها تفضل طريقة (التحدث إلى النفس)، مثل "ابدئي في التركيز على الأمور الإيجابية، ولسوف تزول الأشياء السلبية مثل الاكتئاب"، أو "تعلم عادات مالية سليمة وبذلك تستطيع أن ترفض نزوات الإنفاق". وحين لا ينجح أسلوب الحديث إلى النفس، يمكن لمن اتبعت هذا الأسلوب أن تبدأ في الشك في نفسها (أي الشك في عملية العلاج) وتبعد نفسها عن عوامل الشفاء التي يكون الرب قد أرسلها.

## لماذا لا يشترط أن يتوقف النمو:

قد يعني لك أن تسأل: "وما المشكلة في ذلك؟"، "لقد سمعت قصصاً رهيبة عن علاجات تتواصل بصفة مستمرة، ويجب أن يتوقف العلاج في بعض الأحيان، أليس كذلك؟

إن هذا صحيح. والواقع أن الكتاب المقدس يعلمنا أن كثيراً مما هو في الحياة يجب أن تكون له نقطة نهاية: "الشهوة الحاصلة تلذّ النفس" (أم ١٣:١٩). "لكل شئ زمان ولكل أمر تحت السموات وقت" (جا ١:٣). وفي كلماته القوية الأخيرة يعلن بولس قيمة الإكمال: "قد جاهدت الجهد الحسن أكملت السعي حفظت

الإيمان. وأخيراً قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً". (٢ تي ٤:٧-٨). ويكمل الله نفسه ما قد بدأه. فقد خلق الكون في فترة زمنية محدودة (تك ٢:١-٣). وأكمل عمله الخاص بمصالحتنا إلى نفسه على الصليب. "قد أكمل" (يو ١٩:٣٠).

ولذلك فإنها حقيقة أنه سواء صلينا، أو درسنا الكتاب المقدس، أو كنا نتلقى علاجاً على يد أحد الأطباء النفسيين، أو انضممنا إلى مجموعة معاونة، فعلينا أن نتوقع نتائج لذلك. فالحياة الشافية التي تغيرت هي علامة المسيحي الناضج، تماماً مثلما أن ثمر الروح يعد علامة على عمل الله فينا (غل ٥:٢٢-٢٤).

ومع ذلك، ففيما نحن نحل بنجاح مشكلات مثل الكآبة، ونوبات القلق، والسلوكيات الإجبارية، إلا أن عملية التقديس تتواصل مدى الحياة. علينا أن نتذرع بالصبر حيال أنفسنا وحيال الآخرين في الوقت الذي تكون المشكلات العاطفية موضع الحل. وينبغي علينا أن نتحلى بالصبر أيضاً في مواجهة ما تتسم به حياتنا بصفة مستمرة من ناحية الخطية وعدم النضج، حتى بعد أن تنتهي الأعراض السيكولوجية. ومع هذا، فإن الذين لا يستطيعون أن يتحملوا بصبر من يكافح في سبيل الشفاء، والذين يسأمون من رؤية صديق تحت العلاج شهراً تلو آخر، والذين يتمنون أن يتمكن قريبهم أن ينهي عملية شفائه ويعاود حياته بشكل طبيعي، يتغافل كل هؤلاء عن حقائق كتابية بالغة الأهمية عن النمو، فحين تعتقد أن شخصاً ما سينهي يوماً علاجه، فإنك تتسبب في عدة مشاكل خطيرة.

### الشفاء والنمو الروحي أمران منفصلان

إن هؤلاء الذين يعلّمون بهذه الأفكار الغريبة يسيئون فهم الشفاء العاطفي، فالشفاء العاطفي ليس هو إزالة اكتئاب أو الشفاء من طبع حاد لأن جذوره أعمق من ذلك بكثير.

وفي أول عظة سجلت للرب يسوع، قرأ من سفر إشعياء: "روح السيد الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية" (لو ٤:١٨، انظر إش ٦١:١-٢). وكلمة الشفاء تعني العثور على ما سبق أن فقده أو استعادته، وهي كلمة تدل على النضال، وعامرة بالعمل. والشفاء-باختصار شديد- يعني أن نستعيد ما فقدناه في السقوط، نستعيد وضعنا كحاملي صورة الله، ووكلائه في الأرض. ومن الناحية العاطفية، الشفاء معناه استرداد السمات الشخصية التي سُلبت منا: القدرة على إقامة ارتباطات عاطفية عميقة، بعد أن كنا عاجزين عن ذلك، وعلى مواجهة الشر في الآخرين بعد أن كنا نخاف من الصراع. وأن نتخلى عن صورة الكمال التي نتخيلها في أنفسنا ونستبدلها بقبول الله بدافع من محبته لنا، رغم عيوبنا.

وبتعبير آخر فإن كلمة "الشفاء" تصف عملية التقديس، وعملية النمو الروحي،، ومهمة استعادة صورة الله فينا، حتى نكون مثله (١ يو ٣:٢). والشفاء مرادف للنضوج وتدخل الله في أحداث حياتنا. ونحن نستعمل كلمة "شفاء" في أوسع معنى-وليس البعد الإكلنيكي والعاطفي فحسب. وليس بمقدورك أن تقسم

النمو إلى "نمو عاطفي" و "نمو روحي". فكل نمو هو نمو روحي إذا ما تضمن العمليات الكتابية الخاصة بالمحبة والمسئولية والمغفرة. وكل نمو هو روحي إذا ما نجم عنه قلب مبتهج، واهتمام بالآخرين، وإحساس أعمق بالمسئولية، والقدرة على وضع حدود للشر. ولقد اهتم يسوع بمحنة المرأة الخاطئة التي أمسكت في الزنا (نمو عاطفي)، كما اهتم بتدريب الاثنى عشر (نمو روحي).

**نحن مجبرون على إكمال مهمة وليس النمو**

كان لي نشاط في الكلية، في مجموعة مؤمنة كانت تجتمع في الحديقة، وهى خدمة تؤكد على المعرفة الكتابية. وتعلمنا قراءة الكتاب المقدس، ودراسته، وحفظه، والتأمل فيه. وقد أدمنت حفظ آيات الكتاب المقدس. حيث إني وجدت في ذلك طريقة عملية لإدخال الحق الإلهي إلى ذهني. ومن ثم كنت في أي مكان أحفظ ما بين آيتين إلى عشر آيات أسبوعياً. وكنت أستهدف حفظ العهد الجديد كله في غضون عدة سنوات. وكان البرنامج واقعياً، بغض النظر عن حقيقة أن جلسات المراجعة كانت تستغرق ساعة كل يوم. أما المشكلة الكبرى فتمثلت في أني بدأت أكره الكتاب المقدس. وكرهت جدول مواعيدي. وأصبحت أخشى فترات المراجعة. ولم أرد أن أعرف إطلاقاً مدى تخلفي.

وإذ كنت أبحث عن إجابات، سألت شخصاً من مجموعتي كيف يواجه مشكلة المحافظة على مواعيده. وسألني عن جدول مواعيدي فأخبرته. فقال لي: "إني لا أتبع هذه الطريقة. لأني أحفظ عدداً من الآيات أقل منك بكثير. وأحاول أن أستفيد منها بأكبر قدر ممكن. فالطريقة التي أنظر بها إلى الموضوع هو أن لي عملاً كافياً لأقوم به بالقليل الذي سبق أن عرفته. وشعرت بأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عني. ولقد ساعدتني هذه النصيحة على أن أعود ثانية لأجد متعة في الكتاب المقدس، وأن أتطلع إلى قضاء وقت في فهمه، وفي أن أستمد منه العون.

ومن الواضح أن حفظ آيات من الكتاب المقدس لم يكن هو الذي أضرني هنا. بل إن رغبتي الداخلية في أن أنهي العملية كانت تجعلني مندفعاً. وكنت أهتم بحفظ الآيات عن ظهر قلب بأكثر من اهتمامي بأن أتغذى بالكلمة.

وهذه هى مشكلتي الثانية مع الافتراض القائل بأني سأنتهي في يوم من الأيام. ذلك أنها فرضية تركز على النظام، وعلى إكمال المهمة، وليس على الرحلة، وكيفية الوصول إلى الجهة المنشودة. وهذا ما يبعد المؤمنين عن محبة الله والآخرين، وتدفعهم بكل لهفة تجاه مهمة الوصول إلى الكمال. ويصبح الوصول هو المطلب الذي يقصم ظهورهم.

فالهدف هو المحبة ذاتها، هل تعرف مؤمنين ممن هم على دراية تامة بالكتاب المقدس، ولكنهم يفتقرون إلى القدرة على المحبة؟ إنهم لم يتعلموا الدرس الوارد في (١ تي ١:٥): "وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء".

والواقع أن المحبة هى عملية إنجاز الهدف كما أنها هى الهدف ذاته، وتعلم الثقة، وأن نوسع قلوبنا، وأن

نتحكم في مقاومتنا للمحبة، كلها تُعد جزءاً من برنامج شفاء الله لنا. وهذا هو السبب في أن الناس الذين يتمسكون بالسؤال: "متى سأنهي هذه المهمة، يفتقرون تماماً إلى فهم الموضوع".

حدث في الستينات أن اهتزت مدينتي لخبر طلاق زوجين بارزين، كان كلاهما في أواخر الخمسينات من عمره. وكان هذا أمراً ليس له معنى. فقد كانا مؤمنين، ربيا ثلاثة أبناء ناجحين، ونجحا في عملهما، بل إنهما كانا قد اشتركا في رحلات تبشيرية. وبدا زواجهما ناجحاً، فما الذي حدث؟

لنتأمل في كيفية تقييم زواجهما، سجل حافل بعملهما في الكنيسة، وأبناء أصبحوا بالغين يتحملون المسئولية، والقدرة على إقامة عمل ناجح. أما الآن فلننظر إلى الكيفية التي لم يقيم الزواج بها. كيف كانا مرتبطين؟ كيف كانت علاقتهما؟ ما الذي يقوله ويحس به كل منهما بالنسبة للآخر حين يكونان وحدهما؟ هذا ما لم يكن يعرفه أحد. وبعبارة أخرى، كان التركيز على الهدف، وليس على المحبة. لقد كانا يفتقران إلى النقطة الجوهرية في الزواج.

وعلى غرار هذا، كانت (مرثا) غاضبة، لأن أختها (مريم) كانت تجلس عند قدمي يسوع، لمجرد أن تكون معه، ومن ثم اشتكت مرثا إلى يسوع قائلة: "يارب أما تبالي بأن أختى قد تركتني أخدم وحدي، فقل لها أن تعينني" (لو ١٠: ٤٠). ولما كان الرب يسوع قد نظر إلى ما هو أبعد من غيرة مرثا، قال لها إن العلاقة الوثيقة هي "النصيب الصالح الذي لن ينزع منها" (لو ١٠: ٤٢). واللحظات التي قضتها (مريم) مع الرب يسوع ستشكل جزءاً دائماً من ذكرياتها التي لا تنسى، كما ستشكل جزءاً من هيكل شخصيتها، ستشكل جزءاً من حقيقة شخصيتها بصفة دائمة.

فالذين ينشغلون في عملية الشفاء يتعلمون أن يحيوا الرحلة لذاتها، يتعلمون التوقف ليشموا الورود، ونحن نتكلم من الناحية الروحية طبعاً.

ولقد شرح لي أحد المرضى قائلاً: "كنت متلهفاً إلى أن أتحسن حتى أتمكن من مواصلة حياتي". لكن قلة صبري حملتني على أن أقاوم الدخول في العملية. وعلى ذلك لم أستطع أن أحل مشكلاتي العاطفية إطلاقاً. لكن حينما أدركت أن توجيهي للهدف هو الذي يبعدني عن الله والآخرين، هنا بدأت الأمور تتغير".

**نحن نفقد المغفرة**

علينا أن نهتم بالاتجاه الذي نحدده لحياتنا. فمثل الملاح الذي يضع خريطة مجرى سفينته بشكل جيد، علينا أن ننظر دائماً إلى اتجاهاتنا ونعدلها. وطوال الحياة نكرر هذه العملية: فحين نبعد عن الهدف، نجري التصحيحات، ونعود ثانية للمجرى الصحيح. وفضلاً عن ذلك، فإنه من المستحيل أن نكون في هذه العملية دون مغفرة.

يوجد الكثيرون من بين أصدقائي من المغرمين بألعاب الڤيديو والذين يلعبون في (الممرات المقنطرة)، وفي الأسواق، وفي البيوت-في أي مكان. واعتدت أن أحاول منافستهم. ولكن الآن أكتفي بالمشاهدة. ولم أستطع أن أفهم الطريقة التي يتفادون بها الألغام، وسفن الفضاء، والمدافع لعدة ساعات. فالتعاون بين عيونهم

وأيديهم كان يذهلني.

قد تتذكر أول مرة اشتركت فيها في ألعاب الڤيديو. ولعل مناوراتك الإليكترونية كانت تفتقر إلى الحنكة، وقد أفرطت في ردود فعلك تجاه العقبات، وكنت بصفة منتظمة تحطم شخصيتك المفعمة بالحياة.

أما إذا ثابرت (على العكس مني)، فإن أعمالك ستصبح أكثر براعة. فلسوف تصوب، وتجري، وتركل، وتطلق النار بدقة أكثر، وتستطيع أن تقفز بثبات على (بحيرة الحمم) وتتجنب القوات المهددة التي تقذف باللهب. فالمراهقون الصغار يتعلمون أن يقودوا السفن. ويفرطوا في عمل التصحيحات بحركات متقلبة، ومع ذلك يهدئون قيادتم على نحو تدريجي، بل إن السائقين المحترفين أنفسهم لا يحتفظون بعجلة القيادة ثابتة دون ما حركة على الإطلاق. فهم بصفة دائمة يقومون بالتصحيح في حركة دائبة.

وهذا هو ما يحدث في النمو الروحي. فنحن نأخذ خطوة، ونقع في غلطة، ونتعلم منها، ثم نتخذ خطوة ببراعة أكثر. وننتقل من الطفولة إلى الصبا إلى مرحلة البلوغ (١ يو ٢:١٢-١٤). نتخبط، ونعترف، ونتوب، ونتعلم من عواقب أعمالنا الوخيمة.

وهنا تصبح المغفرة هي كل شئ. وبالنظر إلى أنه لا دينونة في المسيح يسوع، فلن نتغرب أبداً عن المحبة في جميع تصحيحاتنا المبالغ فيها، وأخطائنا، وخطايانا الفورية.

لنبعد المغفرة عن المشهد ولبضع دقائق. لنفترض أنه ليس ثمة وسادة رحمة تتلقانا حين نسقط، لنفترض أنه حين نخرج عن مسارنا لا نواجه سوى الدينونة والعزلة. لنفترض أنه فيما كنت تؤدي لعبتك بالڤيديو لم تتمكن من تفادي السلاحف القاتلة. وقد أمسكت بك-واندفع فيها تيار كهربي إلى جسمك فطرحك بعيداً عن كرسيك. ربما ستخطط للحركة التالية بكل حرص، وتعطي السلاحف القاتلة ملاذاً واسعاً بدلاً من مهاجمتها لمزيد من النقاط. فلسوف تكون في حالة لا تسمح لك بالمجازفة بغلطة وتلحقك دفعة قوية أخرى من صعقة كهربية، سيكون منحني تعليمك مستوياً. وأي بطل محتمل للڤيديو ستكونه سوف يُحطم. وتكلفة الفشل بكل بساطة، ستكون كبيرة جداً.

والناس الذين قيل لهم أن يتجاهلوا عملية الشفاء، والذين نصحوا بأن يجمعوا شتات حياتهم ويقرروا ببساطة أن يتحسنوا، هؤلاء الناس سُلبت منهم عطية مغفرة الله. فلم تعط لهم فرصة للتجربة والخطأ، والمجازفة والتعليم، ولا توجد أمامهم فرصة النمو القائم على المحبة.

جاءني (چيني) للعلاج من الاكتئاب. وقد عرفت أنه يعاني من صعوبة كبيرة في مواجهة الآخرين، أو أن يكون مباشراً، ويأخذ زمام المبادرة. وبتعبير سيكولوچي، كان چيني يعاني من نزعة تضارب عدوانية. وفي كل مرة يخدعه أحد في العمل، كان يشعر بالغضب، ويفكر في أن يقول شيئاً ما، من ثم تملكه مرض عنيف في معدته. وبعد أن تنتهي حالة الغثيان التي تنتابه، كان القلق لا يزال يتملكه، ومن ثم لا يحاول أن يحل المشكلة مع زميله في العمل.

وفي بيت طفولة (چيني)، اكتشفت أنه في حالة أي عدوان من جانبه كان أبوه السكير يقابله بثورة غضب

عارمة. وبذلك تعلم (جيني) أن يتجاهل الأمور، ويحافظ على السلام، ويمشي على قشر البيض مع والده- ومع العالم-أيضاً.

وعدوان (چيني) لاقى حكماً قاسياً، وألماً. أي أنه يريد أن يقول الحق، كانت حالة الغشيان تمنعه-مثلما كان الأمر بالنسبة لوالده. لقد أدان والده عدوانه، وكان الغشيان يتملكه بعد انصراف والده.

لقد كان (چيني) في حاجة إلى مكان آمن يتدرب فيه على المجازفة، مكان يستطيع فيه أن يقول الحق دون أن يُهاجم. وقد أمضى وقتاً طويلاً يفعل هذا في إحدى المجموعات.

وفي المرة الأولى أخبر عضوة في المجموعة أنه لا يحب مقاطعتها له، تملكه الغشيان كالعادة، وكاد يغادر الحجرة. وقد انقضت نوبات الغشيان، أما المرأة التي واجهها فقد شكرته لأمانته. وكلما زاد تدريب (چيني) على قول الحق، زادت قدرته على مواجهة الأخطاء، وعلى أن يأخذ زمام المبادرة، وأن يكون أكثر صراحة. وانتقل من الإدانة إلى الغفران.

### أصبحنا متكبرين

جاء زوجان إلى مكتبي يتجادلان حول موقف الزوج الانتقادي من زوجته. وتحت ستار الاهتمام الناجم عن التقوى، كان بصفة مستمرة يقلل من شأنها بسبب افتقارها إلى التقدم الروحي. وقد زوت تحت وابل النفاق هذا.

قلت له: "ربما تساعدك زوجتك على الاستماع إلى أقوالك إذا قلت لنا ما هي ضعفاتك الروحية، إذا ما أخرجت الخشبة من عينيك أولاً".

غطى الشحوب وجهه، وقال: "حسناً، في الواقع إنني فوق هذا بكثير. فسيري مع الله يتم على خير حال، وإني أحقق أهدافي الروحية".

قلت له: "إذاً فأنت أسوأ منها حالاً، وإذا كانت مشكلتك الروحية الكبرى، هي مشكلتها الروحية، فإن .مشكلتك الروحية والحال هذه تكون الكبرياء.

لقد كان لدى عميلي انطباع بأن السير مع الله يعني البعد عن المتاعب. وكثيرون على غراره يتصورون أنه بوسعهم الوصول إلى مستوى سحري من النضج معه وسيكون كل شئ على أحسن وجه، وطالما ظلوا في دراسة الكتاب المقدس بشكل كاف، والصلاة، والعبادة، والكرازة بالإنجيل، وعدم ارتكاب خطايا جسيمة. وهذه هي السمات التقليدية للمؤمن. وكانت له صورة خيالية مثالية عن نفسه كمؤمن.

إن المشكلة الوحيدة هي أن الكتاب المقدس لا يعلّم بهذا. وما من أحد منا سيكمل رحلته الروحية في هذه الحياة. فكلنا خطاة، غير ناضجين، وبغض النظر عن التقدم الذي نكون قد حققناه فإننا ما زلنا في حاجة إلى أن نتفق مع بولس الرسول من ناحية أننا جميعاً خطاة، كتب عنهم قائلاً: "الذين أولهم أنا" (١ تي ١:١٥). ولم نصر كاملين (في ٣:١٢)، ولن نكون كذلك حتى نكون مع الله.

وإذا اعتقدنا أننا في يوم ما سنكون كاملين، فلسوف نصبح متكبرين، متكلين على أنفسنا. وننكر أنه لدينا الكثير من الأعمال غير المنجزة، وأننا فقراء معدمون في حاجة إلى أن نصرخ يومياً إلى الله لتساعدنا نعمته على حل مشاكلنا، وليعرف أفكارنا القلقة (مز ١٣٩:٢٣). وأي تعليم يحملنا على الاعتقاد أننا وصلنا إلى مستوى نهائي مرضي من الروحانية، سيؤدي بنا إلى الخروج من حظيرة الله، والدخول في حظيرة الشيطان.

إن هدف النمو الروحي والعاطفي ليس أن نصبح كاملين. بل أن يكون لدينا وعياً عميقاً بأنفسنا، وضعفاتنا، وخطايانا، واحتياجاتنا. إنه فهم أوضح وبشكل متزايد عن مدى احتياجنا إلى أن نهمل "خلاصاً هذا مقداره" (عب ٢:٣).

يقرأ مؤمنون كثيرون وصية الرب يسوع في (مت ٥:٤٨) والتي تحثنا على الكمال، ويحاولون أن يكونوا كاملين. ومع ذلك فإن الكلمة اليونانية "Teleios" المترجمة "كاملين" في كثير من ترجمات الكتب المقدسة، من الأفضل فهمها على أنها تعني "تاماً" أو "ناضجاً". ولقد استخدم الرسول بولس هذه الكلمة حين قال: "فليفتكر هذا جميع الكاملين منا" (البالغين: بحسب ترجمات أخرى لما جاء في فيلبي ٣:١٥). إن الله يريد أناساً بالغين وليس من يدّعون الكمال.

ويريدنا الشيطان أن نفكر مثل الفريسي، لا مثل العشار (لو ١٨:٩-١٤). وإذا اعتقدنا أننا قد وصلنا من الناحية الروحية، فلن نكون بعد تائبين، وجوعى، ومحتاجين، ولسوف نتوقف عن طلب المساعدة. وحين نتوقف عن طلب المساعدة فلسوف لا نحصل عليها (انظر يع ٤:٢). والعجلة التي تحدث صريراً تتوقف عن ذلك، ثم تنهار دون تدخل من الله وإمكاناته.

**نحن نيأس**

وأخيراً، إذا اعتقدنا بأنه سيأتي يوم لن نحتاج فيه إلى الشفاء، فلسوف يتملكنا اليأس إن آجلاً أم عاجلاً. أما إذا كنا أمناء مع أنفسنا، فلسوف ندرك في الواقع فقرنا الروحي. ونعرف أننا لن نصل إطلاقاً إلى أن نكون مثاليين. وبالنظر إلى أن الكتاب المقدس يبدو أنه يطلب منا أن نكون كاملين، هنّا يتملكنا شعور بفقد الرجاء: "الرجاء المماطل يمرض القلب" (أم ١٣:١٢).

فالمؤمنون الذين يدهشون لنكوصهم كثيراً ما ييأسون. فبعد أن حققوا تقدماً كبيراً في مجموعة شفاء ولعدة شهور، شرعوا ثانية يأكلون مجبرين، ويشعرون بالاكتئاب، ويميلون إلى العزلة.

كان لي صديق عانى طوال حياته من عزلة عاطفية، وذهب للعلاج النفسي من الاكتئاب. وفي الوقت الذي كان يركز فيه على عدم قدرته على الاتصال بالآخرين، بدأ -ولأول مرة- يحب الآخرين. وقبل علاجه، كان الناس بالنسبة له مجرد أشياء غامضة. ولقد رحب بالتغيير الذي حدث لقلبه.

بعد ذلك، حدث أن مات أحد أصدقائه الأعزاء في حادث سيارة، وإذ شعر بأنه محطم غضب من الله لسماحه بهذه الحادثة. وما قاله لله كان كلاماً شديداً، الأمر الذي ملأه خوفاً.

وحين سأل طبيبته النفسية المؤمنة عن هذه المشاعر القوية الغاضبة، أخبرته بأن ذلك ربما يكون علامة على أنه لم ينل الخلاص.

وحين أخبرني بهذا قلت له: "ربما يكون الأمر كذلك، أما بالنسبة لي، فإن هذه دلالة على أنك خلصت.، لأنك تشعر بأمان كافٍ، لتعترف إلى الله بما تفكر فيه بالفعل. وأنك مهتم بشكل كاف بعلاقتك به حيث تخبره بذلك.

إن رد فعل طبيبته النفسية يتبناها مؤمنون كثيرون، ممن يرون أن النكوص،. ومشاعر الغضب والفشل، علامات تمثل "فتور في الإيمان"، أو "الخروج عن المسار الصحيح" أو "النزول إلى أسفل". ولا يعرفون أن النكوص يشكل جزءاً من عملية التقديس. وإذا كنت بصدد عمل رسم لعملية التقديس، فلن تستعمل خطاً مستقيماً صاعداً بل خطاً متعرجاً، عامراً بالوديان والتلال.

فالفشل والنكوص من الأمور العادية. أما الاستثناء فهو النجاح المتواصل والافتقار إلى الكفاح. وإذا كان الرسول بولس (بحسب قوله) هو أول الخطاة، وإذا كان الرسول بطرس قد أنكر الرب، وإذا كان قاتلاً وزانياً اسمه داود يُذكر على أنه رجل حسب قلب الله (١صم ١٣:١٤). إذا كانت هذه الأمور حقيقية (وهى حقاً كذلك)، هنا علينا أن نتخلى عن الصورة المثالية عن أنفسنا، ونسمح لنفوسنا الناقصة أن تحظى بالمغفرة والمحبة والنضوج.

**هل هناك هدف؟**

إذاً.. ماذا عن التقدم والأهداف بالنسبة للحياة المسيحية؟ هل قدّر لنا أن نهيم بدون هدف، مع التوقع الباهت بأننا نسعى دون أن نبلغ شيئاً؟

الإجابة بالقطع هى: لا. فنقاط التقدم القابلة للتحديد تعد من علامات طريق النمو الروحي والعاطفي. فالشخص البالغ هو الذي اكتسب مستوى الكفاءة أو الحكمة في المراحل التنموية الأربع: الارتباط (القدرة على أن يحب ويُحب)، والحدود (لديه إحساس واضح بالمسئولية)، تمييز الخير من الشر (القدرة على أن تسامح وتسامح في عالم ساقط)، وأن تصبح بالغاً وتكون قادراً على ممارسة سلطان البالغ في العالم).

وعلامات البلوغ هذه تشير إلى شخص انتقل-بحسب كلمات الرسول بولس-من اللبن إلى اللحم، شخص تعلم أن يحب ويعمل بحكمة) وقطع طريقاً طويلاً (رجلاً كان أم امرأة) في رحلته الروحية.

وفضلاً عن ذلك، فيمكن أن نرى التقدم أيضاً في قلة الأغراض الإكلينكية. فالكآبة، والقلق، والسلوكيات الملزمة تتبع شفاء القلب. وهى تشير إلى حالتنا الروحية والعاطفية.

فالحمى لا تنحسر إلا بشكل تدريجي. ولا يتغير معدل الكولسترول بين عشية وضحاها. والأعراض العاطفية الأليمة لا تتلاشى سوى تدريجياً فيما تتغير حالة الإنسان الروحية.

وينهي الكثيرون العلاج بنجاح. ويتعلمون كيف يقيمون ارتباطات عاطفية. ويقيمون الحدود. ويشرعون في قبول نقائصهم. وتبدأ الأعراض الإكلينيكية في التلاشي، ولا يحتاج الناس بصفة عامة إلي مساعدة الإخصائيين بعد نجاح العلاج. لكن علينا الحذر. فلم تنته النزاعات والمشاكل الداخلية إلى غير رجعة. فطالما نحن موجودون على الأرض، لابد وأن ندخل في صراعات.

وهذا يعني أننا سنحتاج دوماً إلى معونة الله ونعمته، وإلى جسد المسيح، ومجموعات المساندة، وأصدقاء حميمين يعرفوننا ظاهرياً وداخلياً. ونحتاج دائماً إلى أن نحكم على أنفسنا بطريقة صحيحة (رو ١٢:٣). فنحن دائماً في حاجة إلى النمو.

وفيما نصل إلى مرحلة النضج، يجب أن تكون صرختنا إلى الله دائماً. "اللهم ارحمني أنا الخاطئ" وكلما اقتربنا إليه أكثر فأكثر تتكشف لنا حالة الخطية والاحتياج التي نحن فيها، كما تتكشف لنا حقيقة شخصه القدوس. وحين نكتشف خطيتنا وعظمه الله، سوف لا نستطيع إلا السير في اتجاه واحد: أن نخر على ركبتينا كما فعل إشعياء وبطرس (إش ٦:١-٧، لو ٥:٨).

تعلّم ألا تطرح السؤال: "ألم أنته من العلاج بعد؟ بل تعلم أن تسأل: ما هى الخطوة التالية في رحلتي، حيث أصبحت معروفاً لدى الله والآخرين؟ ونقطة النهاية-والرحلة-هى أن تحب الآخرين وأن تكون محبوباً أيضاً.

# الافتراض السادس

# "عليك أن تنسى الماضي"

قالت (چيل) وقد بدا عليها الانزعاج، لا أعرف كيف أبدأ، ذلك أني أخشى من أنه إذا أخبرتك بما حدث ستعتقد أني لا أصلح أن أكون أماً، أو أني لا أحب طفلتي. أجبتها بأني لا أعرف ما الذي عملتيه، لكن بوسعي أن أخبرك بأنك مهتمة للغاية بهذا الموضوع. لماذا لا تحدثيني عن الأمر، وبعد ذلك نرى ما الذي يمكن عمله؟".

وهكذا بدأت (چيل) تروي قصتها، وهي أنه حينما ترتكب ابنتها البالغة من العمر أربع سنوات أي خطأ، كأن تسكب كوب لبن، أو تحدث فوضى، فإنها تفقد سيطرتها على نفسها وتنفجر. وتقوم بمهاجمة ابنتها بالفعل، وتصرخ بصوت رهيب وتردد أشياء مؤذية وتشتم (أماندا) ابنتها. وبعد أن تشعر بالإرهاق، تدرك حقيقة ما كانت تعمله، وتترك الغرفة في الحال، بعد أن يكون الشعور بالإثم قد سيطر عليها.

سألتها قائلاً: "منذ متى وأنت تفعلين ذلك؟ ردت قائلة: "منذ سنة ونصف السنة. وذلك بعد أن تعلمت (أماندا) أن تتحرك وترتكب الأخطاء وتحدث فوضى في البيت، بل أنها في واقع الأمر ليست أخطاء لأنها لا تزال صغيرة جداً، وأنا أعرف أنها بالكاد بدأت تتعلم. لكنني في مثل تلك الحالات، أفقد السيطرة على نفسي تماماً، بل ولا أفكر حتى فيما تعرفه (أماندا) أو فيما لا تعرفه. وأكاد لا أعرف أين أنا.

**وما الذي حاولت عمله حتى الآن؟**

"كنت في معظم الأحوال أحفظ آيات من الكتاب المقدس عن الغضب، وكنت أتوقف عن ذلك في أوقات غضبي. لكن في معظم الأوقات لم أكن أستطيع ذلك. وفي الوقت الذي أعرف فيه أني غاضبة، يكون الأمر قد انتهى".

قد يبدو هذا سؤالاً سخيفاً يا (چيل)، ولكن هل سبق لك أن اختبرت شيئاً من هذا القبيل أثناء طفولتك؟

حسناً، إني...، وهنا لم تستطع أن تكمل عبارتها، وشرعت تبكي بحرقة. ولم تتمكن من الكلام ثانية إلا بعد فترة. وحين استأنفت كلامها تحدثت عن قصص رهيبة بيّنت كيف أن أمها كانت تصرخ في وجهها وكيف كان بيتها فاسداً بالفعل. ولم تعترف (چيل) سوى أنها كانت ترتكب أخطاء بسيطة، ولكن أمها كانت تصرخ بأعلى صوتها أنها غبية، ردية، وتافهة. ومع ذلك، وفيما كانت تتحدث عن الماضي، سرعان ما تمكن منها ألمها وخوفها، وسرعان ما لزمت الصمت ثانية.

كانت عازفة عن الكلام عن ماضيها الأليم، وقد قالت إن ذلك بسبب ما علّمها راعيها بالنسبة لموضوع

النظر إلى الماضي. فالكتاب المقدس يقول إن الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً. وأردفت إني خليقة جديدة. فكيف بمقدور أحداث الماضي أن تتمكن مني؟ يجب عليَّ أن أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. ما عليّ سوى أن أعتمد على الروح القدس ليعطيني قوة، وأن أتوب عن غضبي، وإني على يقين من أن الأمور ستكون على ما يرام.

سألتها: هل حاولت ذلك؟

لقد عرفت من نظرتها أنها حاولت ولكنها لم تنجح. لم تعرف السبب في أن الأذى الذي لحقها في الماضي مازال يسبب لها الألم، ولماذا تكرر ذلك مع ابنتها . لقد شعرت بالإحباط.

لم تكن قصة (جيل) قصة غير عادية. فكثيرون من الكبار يكررون النمط الذي كان عليه آباؤهم بالنسبة لتربيتهم، أو يتأثرون بما سبق لهم أن عانوا منه في طفولتهم. لم تكن امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها قادرة على النوم ليلاً بسبب ذكريات العنف الذي عانت منه وهى طفلة. ولم تكن امرأة سعيدة في زواجها من الناحية الجنسية بسبب ما تعرضت له من اعتداء جنسي في طفولتها. وثمة رجل في الأربعين من عمره كان يعاني من إحباط يشل حركته كلما رأى والديه يتعاملان مع أولاده، لأنه يتذكر كيف ربياه بحيث لا يمكن أن يكون ناضجاً.

وفي كل من هذه الأمثلة رأينا كباراً في ظروف مواتية، يتأثرون بأمور وقعت في الماضي. وعلى الرغم من أنهم حاولوا نسيان الماضي، إلا أن تلك الأحداث الماضية كانت وبإلحاح تنغص عليهم حياتهم الحاضرة.

ومن هذه الحالات، أدرك الناس كيف أن الماضي يضر بحياتهم وهم بالغون. ومع ذلك فإن ما هو أكثر مدعاة للجدل، فإنما يكون حين لا تنجح حياة الإنسان، وهو لا يعرف لذلك سبباً. فتتملكه الكآبة، أو يعاني من نوبات ألم. وهى لا تستطيع التوقف عن الصخب ثم الندم على ذلك. هو ينفق مرتبه بمجرد أن يتسلمه، وهى عاجزة عن تحقيق أهداف بسيطة حددتها لنفسها.

إن أكثر المشاكل شيوعاً هى المشاكل الخاصة بالعلاقات: يُجذب الناس إلى علاقات ردية، أو يكررون بصفة مستديمة نموذج علاقة هدامة، بغض النظر عن جهودهم للفكاك منها. وعلى سبيل المثال، يجدون أنفسهم ملتصقين بأناس فاسدين ويكتشفون أنه ليس بمقدورهم مقاومتهم. أو- وهذا قد يكون أكثر ما يدعو إلى الأسى- يجدون أنفسهم عاجزين عن التجاوب مع أناس أخيار، ويبتعدون عن أولئك الذين يحبونهم. ولا يستطيعون معرفة سبباً لذلك.

وبعضهم يقبلون على العلاج، ويكتشف معالجوهم الصلة بين مشاكلهم وعلاقاتهم الماضية، أو بأذى لحق بهم في الماضي ولم يعالجوه إطلاقاً.

بعد ذلك يقول لهم أصدقاؤهم أو معلموهم من المؤمنين إنه بالنظر إلى أنهم خليقة جديدة في المسيح، فإنه يجب على الماضي ألا يكون له تأثير عليهم. ويتعين عليهم أن ينسوا ما هو وراء ويمتدوا إلى ما هو قدام (في

١٣:٣-١٤).

وكما لو أن هذا لم يكن مربكاً بما فيه الكفاية. اكتشف البعض أن العلاج وليس الإيمان، هو الذي ساعدهم على التعامل مع الماضي، الأمر الذي أدخلهم إلى درجة من الحرية والعزم. وعلى الرم من تخلصهم بشكل متزايد من الألم العاطفي، إلا أنهم مازالوا يواجهون انزعاجاً نتيجة الإثم، ومن شعورهم أنهم أتوا شيئاً غير روحي، ويقولون إنهم على أي حال لم يتكلوا على المسيح في شفائهم، بل هرعوا إلى العلاج-الأمر الذي يدينه بعض معلمي الإنجيل بأنه أمر سيكولوجي يتبع الفلسفة الإنسانية. وهم يشعرون كما لو أن المسيح يخلصهم، ولكن العلاج هو الذي يشفيهم.

ولسوف نكتشف في هذا االفصل الافتراض الزائف الذي يقول: "أنا في حاجة إلى نسيان الماضي". ويقول مؤيدو هذه الفكرة أن الماضي ليست له أهمية، ويجب أن نهتم بما هو قدام . ومع ذلك فإن هذا أسوأ تطبيق للكتاب المقدس، لأن التعامل مع ماضينا أمر كتابي تماماً.

## طبيعة ماضيك:

جاء (جاسون) إلى العلاج، إن زوجته كانت محبطة لابتعاده عاطفياً عن أطفاله. وفيما كنا نستكشف ما الذي جعله أمراً صعباً بالنسبة له أن يرتبط مع أطفاله، سألت (جاسون) عن أبيه. وقد أخبرني أن والده كان رائعاً، وكان دائماً يتطلع إليه.

قلت له: "يبدو لي أن العلاقة بك وأبيك كانت أفضل كثيراً من علاقتك بأطفالك، وإني أتساءل، ما الذي كان خطأ؟

لا أعرف . ربما لذلك علاقة بموته!

ماذا تعني بهذا؟

لقد مات حين كنت في الثالثة عشرة من عمري. وكل ما في الأمر أنه ذات صباح لم يقم أبداً من نومه. ولاحظت أنهم أخذوه من البيت بعد أن غطوه بملاءة. ولم تحدثني أمي إطلاقاً عن هذا الموضوع. لقد رتب خالي كل الأمور المتعلقة بالجنازة، ولكنه لم يتحدث عن ذلك أيضاً. وبعد ذلك بدأ ينخرط في البكاء.

وفيما واصلنا العمل، بدأ يدرك غضبه من الله لفقده والده فجأة، ومن أمه وخاله لعدم قيامهما بمساعدته أثناء فترة حزنه. وفيما تعامل مع خسارته وشعوره بالحزن، الأمر الذي لم يسمح لنفسه بأن يختبره فيما كان مراهقاً، توقف عن ابتعاده عن أطفاله. أذهله تقدمه؟ ومن ثم تساءل قائلاً: "لماذا يؤثر الماضي فيَّ الآن؟

سألته: متي كنت تشعر بالألم لموت والدك؟

الآن، اليوم، وأنا كبير.

إذاً نحن في واقع الحال لا نتكلم عن الماضي إطلاقاً، أليس كذلك؟ إنك تحمل حزنك في نفسك "اليوم".

لقد مات والدك منذ سنوات مضت، لكنك تشعر بالألم اليوم، وعلى وجه التحديد الآن، وهذا هو الحاضر لا الماضي.

أجاب چاسون : أعتقد أن هذا صحيح، فقد كنت أشعر بأني بعيد كل مرة كنت أشرع فيها الاقتراب من الأطفال، لأن اقترابي منهم كان يقربني من مشاعري تجاه أبي.

قلت له: أعتقد أنك على صواب، فالماضي لا يمكن بالفعل أن يؤثر فينا، لكن مشاعرنا الحاضرة عن الماضي تستطيع ذلك.

فنحن كبشر، ونحن نقسم حياتنا إلى ماضي وحاضر ومستقبل. لكن الكتاب المقدس ينظر إلى حياتنا من منظور الأبدية، حيث ليس بها ماض أو مستقبل-حاضر فقط. والأشياء التي نقول عنها إنها (في ماضينا). هي، طبقاً للكتاب المقدس (جزء من حاضرنا) لأنه من منظور الأبدية، ليس هناك سوى حاضر فحسب.

لقد آذانا الناس، ونحن ألحقنا الأذى بالناس أيضاً، لقد قاسينا الظلم، وارتكبنا أشياء خاطئة. وقد نقول: "كل هذه الأمور حدثت في الماضي ولا يمكن أن تتغير". لكن الكتاب المقدس ينقل التركيز من الماضي إلى الحاضر الأبدي: "ما هي حالة نفسك وكل شئ فيها الآن؟ هل خبراتك السابقة تعرضت للنور؟ هل تم غفرانها؟ هل تبت عنها؟ هل عرضت الأذى للمحبة والنور؟ هل حزنا وتركنا الأشياء المؤذية، أم مازلنا متمسكين بها؟ نحن في حاجة إلى أن نرى حياتنا ونفوسنا ليس على أنها ماضٍ أو حاضر، بل أبدية.

وما يطلبه الكتاب المقدس دائماً هو هذا: هل الأشياء التي في نفوسنا-الألم، النماذج، المهارات، الرغبات، المخاوف-تم كشفها لنور نعمة الله وحقه ومغفرته؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن هذه الأشياء قد شفيت وتغيرت. ومع ذلك، إذا لم نعرض الأمور الخاصة بالماضي لنور حق الله، ومحبته، ستبقى في الظلام، وتكون لا تزال حية اليوم، حيث تولد فينا ثمار الظلمة. وإذا انفصلت عن قوة محبة الله ونوره، فإنها تأخذ حياة تخصها.

وعلاقة (چيل) بأمها لم تكن مكشوفة إطلاقاً، ولم تعرض أبداً للنور. وكانت لا تزال تؤلم (چيل) بطريقة لا تعرف الغفران، ولم تتغير علاقتها بأمها من خلال المغفرة-ومن ثم كانت حية تماماً في الحاضر. وحزن (چاسون) على والده لم يتم التعبير عنه إطلاقاً، ولذلك ظل حياً، وظل جزءاً من مشاعره التي كانت تخالجه من يوم إلى يوم حتى وصل إلى مرحلة البلوغ، وأي شئ فينا لم يتم الكشف عنه سيظل له حياة خاصة به في الماضي. ويمكنك التأكد من أنها ستؤثر في علاقاتنا الحاضرة.

فالتعليم القائل بأنه ليس لنا حاجة للقلق فيما يتعلق بتأثير الماضي علينا يعد مدمراً بصفة خاصة وغير كتابي لأنه يمنع إحضار الأشياء التي هي في الظلمة إلى النور لكي تلمسها نعمة الله.

إن سوء تفسير القول الشائع: "انس الماضي" يفسر لنا السبب في أن كثيرين لا يأتون أبداً بمشاعرهم إلى النور.

"لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شئ أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح. وأوجد فيه وليس لي بري الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح البر الذي من الله بالإيمان...ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (في ٣:٧-٩ و ١٣-١٤).

و "ما هو وراء" الرسول بولس، ليست آلامه، أو المواقف التي تتطلب منه أن يسامح شخصاً ما، بل ولا حتى خطاياه القديمة، فالماضي الذي ينساه هو أسلوبه القديم المتعلق بمحاولته أن يحقق البر. وقد خصص الجزء الأول من هذا الأصحاح بأكمله لذكر إنجازاته ليوضح لأهل فيلبي كيف أنه حاول عبثاً أن يرضي الله. ولكنه كما يقول: "لم ينجح". ولذلك فهو يترك النظام القديم خلفه، فلقد وجد إيماناً جديداً.

والواقع أنه، بذكره إنجازاته قبل ذلك في الأصحاح، كان يأتي بها إلى النور، ويعترف بها، ويحزن عليها، ولم ينكر إطلاقاً ما سبق أن عمله.

إذاً، لم يقل الرسول بولس في هذه الفقرة دع الماضي لشأنه، كما فسرها البعض خطأ. بل على النقيض من ذلك، يضع الرسول لنا نموذج عملية إحضار ماضي الإنسان إلى النور والاعتراف به.

إن المعلمين الذين يقولون لك ببساطة أن تنسى الماضي وتنظر إلى الأمام، يتجاهلون، بل ويناقضون الوصية الكتابية البالغة الأهمية. فهذه التوجيهات تكشف لنا السبب في أن التعامل مع الماضي أمر مهم.

## اكشف أعمال الظلمة

إن التوجيه الكتابي الأول هو أن نأتي إلى النور بكل ما هو في الظلمة. وماضينا-بالتعبير الكتابي-هو تاريخنا. والكتاب المقدس لا يهمه متى حدث الشئ، سواء كان ذلك اليوم أو منذ عشر سنوات. بل يهتم فقط بما إذا كنا قد أنكرنا المشكلة ودفعنا بها إلى الظلام، أم أننا عرضناها للنور وتعاملنا معها بالطريقة التي يريدها الله. هل نحن أخفيناها، أم اعترفنا بها وأتينا بها إلى النور؟

إن الاعتراف والإتيان بالأشياء إلى النور، يهيئنا للتغيير. والتغيير هو ما يريده الله: "ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها.....ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور" (أف ٥:١١و١٣).

وبمقدورنا أن نلمس هذا الحق في حياة (چيل). فقد كانت غاضبة جداً من أمها للطريقة التي عاملتها بها، وهذا الغضب لم يؤت به إطلاقاً إلى النور. ألم يقل لها راعيها أن تنسى الماضي، مثلما علّم الرسول بولس؟ ونتيجة لذلك لم تغضب أبداً دون أن تخطئ. وهذا الغضب الذي لم يُحسم سمم علاقتها بابنتها (أف ٤:٢٦-٢٧). وإذ لم تعالج غضبها فقد أعطت الشيطان موطئ قدم في شخصيتها.

وإلى جانب إخفاء مشاعرها والأذى الذي لحق بها في الماضي، كثيراً ما نكون قد أخفينا بواعث جاءت وليدة علاقات ماضية. وعلى سبيل المثال يكون الفتى طموحاً للغاية كي يحظى برضاء أمه. والفتاة تتعامل

مع كل شيء في إطار من المنافسة، وتفكر دوماً في أن تكون على القمة كي تسوي حزازة قديمة مع أحد إخوتها. ومثل هذه البواعث عادة ما تكون لها صلة بعلاقة تنتمي إلى الماضي ولم يتم تسويتها بعد.

وخلاصة القول، فإن الماضي له أهميته لأنه-إلى أن تتم معالجته- يشكل جزءاً مما يطلق عليه الكتاب المقدس (ظلام) النفس. وما لم نكن قد اعترفنا بخطايا الماضي، أو سامحنا الآخرين بالنسبة للخطايا التي ارتكبوها ضدنا، فلسوف تتحكم فينا هذه الخطايا، ويحظى الشيطان بمعقل في حياتنا. وأن نعلّم بأن فحص الماضي أمر خاطئ، فإن هذا يتعارض مع تعليم الكتاب المقدس بأن نعالج الكلمة التي في الداخل. فعلاقات الماضي ومشاعره تحتاج عادة إلى أن نعالجها في الحاضر.

وفضلاً عن ذلك، ما لم ننظر إلى الماضي لن يكون بمقدورنا حقاً أن نغفر. فالمغفرة تتعامل مع الماضي. والمغفرة هي الأسلوب الذي يتعامل به الله لتصحيح الأمور التي أضرتنا. ولكي نعرف من الذي نغفر له، علينا أن نعرف ما لحق بنا، ونحدد الخطية، ونعرف من الذي أذنب.

والأذى والظلم الذي لحق بالناس وهم أطفال، يظهران في نماذج من السلوك والعلاقات، وهي نماذج كثيراً ما تتولد عن عدم المغفرة الكامنة في قلوبهم، وبالنظر إلى أنهم لم يغفروا أبداً لأولئك الذين ألحقوا الأذى بهم، فقد يكونون غاضبين عليهم حتى الآن دون أن يدركوا.

كان (توم) يجادل مع رؤسائه بصفة مستمرة حول موضوعات تافهة. وكان يكبرٍّ أي شيء، وكثيراً ما كان يدفع ثمن ذلك. وحين بدأ يستكشف هذه المشكلة في المشورة، أدرك أنه كان لا يزال يحاول أن يسوي حزازة قديمة مع أبيه. فقد كان أبوه يضطر دائماً لأن تكون له اليد الطولى في النقاش، وكان يسكت (توم) الصغير حينما كانوا يتكلمون. وعلى الرغم من أن (توم) كان يعتقد أنه قد سامح أباه منذ سنوات خلت، إلا أن سلوكه الحاضر يظهر عكس ذلك. وأدرك بصفة تدريجية أنه لم يغفر لأبيه، بل كان لا يزال يحاول أن يجعل كل من هم في مركز السلطة في حياته أن يدفعوا الدين الذي على أبيه.

وفيما أدرك غضبه تجاه أبيه بدأ يتعامل مع هذا الغضب وينساه. أي أنه بدأ يعمل عمل النعمة: "وكونوا ....متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح" (أف ٤ :٣٢). وما أن قبل أباه، إلا ووجد أنه يستطيع أن يتقبل الأشخاص الذين في موقع السلطة بالنسبة له أيضاً.

## اشفوا منكسري القلوب

وثمة مشكلة أخرى تتعلق بالتعليم القائل إنه عليك أن تنسى الماضي، وهي تجاهله لمنكسري القلوب (يشابه إلى حد كبير التعليم القائل بأن المؤمنين لن يواجهوا الآلام، على النحو الذي ناقشناه في الفصل ٢). وكثيراً ما يكرر الكتاب المقدس وصف كيف أن الله في كلمات المرنم "قريب...من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح) (مز ٣٤ :١٨). ويشفي الله-وبصفة أساسية-منكسري القلوب بواسطة كنيسته. ونحن كأعضائها، نعد يديه التي نمس بها آلام بعضنا البعض. ولقد أوصانا أن نحب ونخدم بعضنا البعض بعطف ورحمة، ومعاونة وقوة. ويوصينا العهد الجديد مراراً وتكراراً بأن نخدم بعضنا البعض بالقلب والروح والبدن.

والواقع، أن الله يغضب حين لا يساعد شعبة المتألمين "المريض لم تقووه والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه". وهو لن يقوم بالعمل بدلاً منا فقط (وأجبر الكسير وأعصب الجريح) بل إنه سوف يبيد "السمين والقوي" أي الأقوياء الذين سمّنوا أنفسهم بظلم الضعفاء (حز ٣٤:٤و١٦).

ويمكن للشخص أن يشعر بالألم الآن بسبب جروح قديمة لم يسبق أن لمستها المحبة. ومثل هؤلاء الناس المتروكين أو المتألمين يحملون بين جنباتهم قلوباً منكسرة مظلومة. ومهما قال أي معلم وبطريقة مقنعة إن مثل هذه الآلام تزول بمضي الوقت، إلاأنها لا تزول-لأنها في حاجة إلى أن تُلمس.

وما تشفيها سوى محبة الله من خلال شعبه وروحه. ومنكسرو القلب يحتاجون إلى محبة المؤمنين الآخرين. يقول الكتاب المقدس إن محبتنا بعضنا بعضاً هي إظهار لنعمة الله (١ بط ٤:٨).

والذين لحقهم الأذى من العائلة التي نشأوا فيها يحتاجون إلى محبة وعناية العائلة الجديدة، التي هي عائلة (لو ٨:٢١)، كي تشفي جراحهم القديمة وتعطيهم المحبة التي هم في حاجة إليها.

## لتحزن على خسائرك

إن الانفتاح على الماضي يتم عن طريق الحزن، والذي يعد بدوره عملية نسيان الأشياء التي كنا ذات مرة مرتبطين بها. وهذا الترك يتيح لنا الانفتاح على الحاضر. وخلاصة القول، هو أن الخسارة تفتح الباب أمام حياة جديدة.

والحزن عملية تتم بوعي، عن طريقها نتخلى عمداً عن ارتباطنا بأشخاص، وأهداف، ورغبات، أو نظم دينية لا نستطيع التمسك بها بعد. وارتباطنا بهذه الأشياء التي عفا عليها الزمن، يمنعنا من الارتباط بأشياء جديدة وأفضل أتاحها الله لنا ( ٢كو ٦:١١-١٣).

كانت زوجة لوط من بين اللواتي تمسكن بالماضي، ولم تستطع الارتباط بالأشياء الجديدة. فقد طلب منها الله أن ترحل عن سدوم، ولكن ارتباطاتها كانت قوية بدرجة لم تتمكن معها من أن تتركها كلية. وبدلاً من أن تحزن على خسائرها، وترحل، نظرت إلى الوراء في شوق لحياتها الماضية "فصارت عمود ملح" (تك ١٩:٢٦).

وقد أشار إليها الرب يسوع حين علّم مفهوم فقد الإنسان حياته حيث قال: "اذكروا امرأة لوط. من طلب أن يخلص نفسه يهلكها ومن أهلكها يحييها" (لو ١٧:٣٢-٣٣) فالارتباطات بالحياة القديمة تمنعنا من الحياة الجديدة التي خططها الله لنا.

وبمقدور الأذى والخسائر التي شهدهما ماضينا أن يجعلانا مرتبطين به عاطفياً وروحياً ما لم نحزن عليها، ومن ثم نتخلى عنها. بوسعك أن تكون مرتبطاً بشخص ميت، وبشخص لا تستطيع أن تحظى بمحبته، أو باستحسان شخص لن يعطيها أبداً، وبمقدورك أن ترتبط بخيال يستحيل التحقيق. وأيا كان الأمر، فإن الرابطة العاطفية بشئ ينتمي إلى الماضي يمكنها أن تربك حياتنا الحاضرة. وعادة ما يكون أسلوب الله في التعامل مع

هذا من خلال الحزن أو النسيان. فنحن نتحرر بإدراكنا ما فقدناه، وعندئذ فإن شعورنا بالغضب والحزن، سيتلاشى.

وتتضح القيمة التي يعزوها الكتاب المقدس إلى الحزن فيما يأتي:

"الذهاب إل بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة لأن ذاك نهاية كل إنسان والحي يضعه في قلبه. الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب. قلب الحكماء في بيت النوح وقلب الجهال في بيت الفرح" (جا ٧: ٢-٤).

ومما يدعو إلى الدهشة، أن الحزن بوسعه أن يخرج الإنسان من الألم إلى السعادة. فالحزن يقدر أن يغير القلب، وهذه حقيقة يشهد بها كثيرون ممن شقوا طريقهم عبر الكآبة. ولأنهم شقوا طريقهم رغم حزنهم، فقد زالت كآبتهم.

وحين نشعر بالألم لخسائرنا، يصبح بوسعنا الارتباط بالعناية المتاحة لنا. "طوبى للحزانى. لأنهم يتعزون" (مت ٥: ٤). وكثيرون تتاح لهم العناية. لكنهم يعجزون عن تقبلها لأنهم لم يحزنوا. فالحزن يفتح القلب لدخول حب جديد.

إن أناساً كثيرين جداً قد اختبروا الخسارة في حياتهم، ومع ذلك لم يحزنوا إطلاقاً. على الرغم من حقيقة أنه أمر عادي أن نحزن. ويسجل لنا الكتاب المقدس أمثلة كثيرة عن حزن الله: فقد حزن لفقده خليقة كاملة. وعبر عن ألمه وحزنه على صليب الجلجثة. والرب يسوع اختبر الحزن، وحزن لموت صديقه لعازر. وحين نفقد شيئاً هاماً ولا نحزن، تتمسك قلوبنا بالرابطة القديمة، ونتجمد، ولا نستطيع أن نتحرك إلا فيما تسمح لنا عملية الحزن أن تنسى.

وإذا تجمد قلبنا بالحزن، لا نتمكن من الإحساس بالمشاعر التي أوجدها الله فينا. وكثيرون يختبرون الحزن المتجمد في شكل كآبة. والحزن (الكآبة والغضب) الذي لم يتم التعبير عنه والتخلص منه يؤدى إلى كآبة. (يتحدث سليمان عن حزن مرتبط بقلب سعيد). فهناك حاجة إلى أن يذهب الحزن والغضب إلى مكانٍ ما. وإذا عبرنا عنهما، فلسوف ننساهما ونستطيع التحرك نحو السعادة. لكن الكآبة لا تذهب إلى أي مكان، فهى تبقى مثل كتلة من الطين. كثيراً ما تحتاج إلى أن تنظف بدموع الحزن، ومن ثم تخرج من حياة الإنسان.

وعلى هذا، تجنب التعليم القائل بأنه على الإنسان أن يترك الماضي وراءه، لأن ذلك يعوق الناس عن الحزن. وإذا لم تحزن، فلسوف تتجمد ممسكاً بالأشياء العتيقة في قلبك. وبدلاً من ذلك، عليك أن تعمل مثل الرسول بولس حين حسب "كل الأشياء ...... نفاية" (في ٣:٨)، تحدّثْ عن الماضي. اعترف به. احزن عليه، بحسب ما رسم الله (فقد الدموع بسبب ما). ثُم دَعه يذهب. افقده. وهذا الموت يفتح الباب لقيامة. لا تخشى الحزن، ولا تلتفت لأي شخصٍ يقول لك إن الحزن على الماضي ليس كتابياً لأنه "طوبى للحزانى لأنهم يتعزون" (مت ٥: ٤).

## اعترف وتُب:

حين يتصفح الناس النماذج التي تعلموها في عائلاتهم التي نشأوا فيها -أي عائلاتهم الأصلية- كثيراً ما يتهمون بأنهم يتجنبون مشاكلهم، ويلومون آباءهم على سلوكهم. ويُطرح عليهم السؤال: "لماذا تتجنبون الحياة؟"، "لماذا تصرون على التركيز على أمور لا تملكون تغييرها؟

وإنه لمن المؤكد، أنه من السهولة بمكان أن نلوم الآخرين، في الوقت الذي يتوجب علينا فيه أن نتحمل مسئولية سلوكنا. فبعض الناس قد وضعوا أنفسهم داخل دائرة اللوم. (وقد عرضنا لهذه المشكلة في الافتراض رقم ٤).

ومع ذلك، توجد أسباب كتابية قوية لاستكشاف الماضي، وبصفة خاصة، ماضيك في عائلتك الأصلية. وسبق لنا أن ناقشنا بعض الأسباب: كإخراج الأشياء من الظلام، ومعرفة الذين نحن في حاجة إلى مسامحتهم، ومعرفة من الذين يجب أن نتصالح معهم، وأن نحزن.

وثمة سبب على نفس القدر من الأهمية لفهم الماضي، وهو التوبة- والرجوع عن نماذج تعلمناها في عائلاتنا الأصلية.

ويسجل لنا العهد القديم مثالاً تلو الآخر عن الله وهو يجابه شعبه للسير في طريق آبائهم الردية. ويشير إلى أنهم يكررون الخطية الموروثة، ويدعوهم إلى التوبة. ويعطيهم تبصراً في سلوكهم.

"ولا تكونوا كآبائكم وكإخوتكم الذين خانوا الرب إله آبائهم فجعلهم دهشة كما أنتم ترون. الآن لا تصلبوا رقابكم كآبائكم بل اخضعوا للرب" (٢أخ ٣٠:٧-٨).

"هل تدينهم. هل تدين يا ابن آدم. عرفهم رجاسات آبائهم. وقل لهم: هكذا قال السيد الرب" (حز ٢٠:٤)

لقد طلب الله منهم أن يتأملوا شر آبائهم، وأن يتركوه، ويعودوا إلى سبله.

يخبرنا نحميا أن بني إسرائيل "وقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم" (نح ٩:٢). وعلى غرار ذلك، نختبر نهضة روحية وتوبة إذا عرفنا أية طرق انتهجها آباؤنا ولم تكن مرضية لدى الله، وهي طرق لم يرد لنا أن ننتسب له من خلالها أو أن نعلمها للآخرين. وعندما تصبح هذه النماذج واضحة، هنا فقط نستطيع أن نصفها بأنها شريرة ونرجع عنها.

وعلى النقيض من ذلك، حين ينكر الناس خطايا آبائهم، فلابد أنهم يكررروها. وما لم يعترفوا إطلاقاً بنماذج اتصالاتهم الضارة، بل والشريرة، فإنهم سيواصلون تكرارها بكل غباء، ولسوف يؤذون أولادهم كما لحق بهم الأذى هم أنفسهم.

إذاً فالتبصر والاعتراف، يحطمان سلسلة الخطية المتوارثة ويعطيان رجاءً. ومع ذلك، يشعر كثيرون أنه مقدّر عليهم أن يواصلوا نماذج مختلة الوظيفة لأنهم تعلموا تفسيراً خاطئاً لما جاء في (خروج ٢٠:٥)، حيث

تتكلم هذه الآية عن مواصلة الخطية إلى الجيل الثالث والرابع. ومع ذلك فهذا لا يشكل سوى نصف الحقيقة فقط. لأن الكتاب المقدس يعلّم أيضاً أن الله سيكرم أي فرد في سلسلة أنساب إذا تاب، وأن توبته ستساعده على كسر حلقات هذه السلسلة.

"النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون. فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا (خر ١٨:٢٠-٢٢).

إن الله على استعداد لأن يغفر لأولئك الذين يعترفون بخطاياهم ويتوبون عنها. فسلسلة الخطية التي تتوارثها الأجيال يمكن كسرها.

والتوبة في معظمها هي النظر إلى الماضي لمعرفة ما تعلمته وممن تعلمته، وكيف تكرر ذلك النموذج اليوم. والاعتراف بسبيل عائلي ردئ والتوبة عنه–وهو نموذج شائع–يعد أمراً قوياً فعالاً للحياة الروحية. عليك الاعتراف بأية طرق ردية تعلمتها في سنوات عمرك المبكرة، وتبتعد عنها، وتمتع بالحرية التي تتولد عن السير في نور الله، ولا تكرر النماذج التي تم توارثها في الظلام.

## خطية شخصية

وإذا أوجدنا في هذا الجرد الأخلاقي أننا وحدنا مسئولون ليس عن خطية تتعلق بالأجيال، أو خطية عائلية فقط بل وخطية شخصية أيضاً، هنا نكون في حاجة إلى الاعتراف بتلك الخطية، ونطلب المغفرة، بعد أن نبتعد عنها (١ يو ١:٩). وهذا الاعتراف ليس لله فقط فنحن في حاجة لأن نعترف بعضنا إلى بعض (انظر يع ٥:١٦) كي نشعر بقوة نعمة الله بكاملها. وكثيرون لم يشعروا إطلاقاً بنعمة الله لأنهم لم يعترفوا أبداً بما هم فيه من ظلام لشخص آخر وأحسوا بقبوله. ومن بين طرق شعورنا بقبول الله إنما تكون من خلال محبة شعبه (١ بط ٤:١٠).

وفضلاً عن ذلك، فنحن في حاجة إلى أن نطلب مغفرة من أولئك الذين أسأنا إليهم مع ترضيتهم، وتؤدي عملية ترضيتهم إلى المصالحة والاعتراف بخطيتنا، ومساعدتنا لأولئك الذين ألحقنا الضرر بهم. والاعتراف بخطيتنا ضد الآخرين يجعلهم يشعرون بحال أفضل ويساعدهم على تناسي ما فعلناه بهم.

وهاك ما قاله الرب يسوع في هذا الصدد:

"فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك. فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك. كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق. لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي ويسلمك القاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن. الحق أقول لك: لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير" (مت ٥:٢٣-٢٦).

والله مهتم بطريقة معاملتنا بعضنا بعضاً. ففي عمل الترضية شفاء لنا. وشفاء لأولئك الذين أسأنا إليهم.

## تغيير الماضي

إنه لخطأ كبير أن نعلّم بأنه يتعين علينا نسيان الماضي، وذلك لسبب بسيط وهو أن الماضي سيكون يوماً ما هو حياتنا كلها. فالماضي والحاضر والمستقبل ما هي سوى نواحٍ من نفوسنا تحتاج إلى التصالح مع الله.

وليس بمقدورنا تغيير الماضي. لكن يتوجب علينا أن نغير علاقاتنا الداخلية بأولئك الذين ألحقوا الضرر بنا وذلك بأن نغفر لهم. ويجب أن نتخلى عن طلبنا بأنه ينبغي عليهم تعويضنا بطرية ما. علينا أن نتخلى عن الأحلام الضائعة.

وينبغي أن نحمل آلام الماضي التي لا تزال في قلوبنا إلى أولئك الذين بوسعهم أن يشفوها. ويجب أن نأتي إلى النور بالنماذج التي تعلمناها من والدينا والكبار الآخرين، وأن نعترف بتلك النماذج المدمرة، بل ونرفضها ونتوب عنها، وإذا كنا قد ظلمنا أحداً، علينا الاعتراف بخطيتنا، والاعتذار لأولئك الذين ألحقنا الأذى بهم وترضيتهم

وعلى الرغم من أنه ليس من بين هذه العمليات ما يغير الماضي، إلا أنها مع ذلك تفتديه. والله في سبيله لإصلاح كل شئ خطأ، بما في ذلك ماضينا الشخصي: فهو يتعامل مع الماضي مصالحاً الناس لنفسه، مصلحاً التلف، معيداً بناء ما دمرته الخطية. ولكي يتعامل مع ماضينا، يتعين علينا أن نأتي إليه بكل أجزائنا المحطمة. وهذه هي المعاملة الجوهرية مع الماضي، لأن الله بالنسبة للمسيح "فيه سرُ أن يحل كل الملء. وأن يصالح الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات" (كو ١:١٩-٢٠).

أحضر تاريخك لله، سواء حدث منذ يومين أو منذ عشرين سنة مضت. أحضره إليه وإلي شعبه، أتح لنوره ولنعمته أن يغيراه، واجعل حقه يؤثر فيه، واختبر فعل المصالحة في حياتك كلها.

# الافتراض السابع

## "لو كان الله معي لما احتجت للبشر"

مضى أكثر من عامين على آخر لقاء لي مع "روي"، فلأنه كان يعيش في ولاية أخرى لم نكن نلتقي كثيراً ولذا فقد كان حديثنا سجالاً خلال تناولنا لإفطار هادئ ذات صباح، ولكن قلة اتصالاتنا لم تكن بسبب البعد الجغرافي فحسب، بل كانت هناك خلافات بيننا في حاجة للتسوية.

قبل ذلك بثماني عشر شهراً كان "روي" قد اختفى من على وجه الأرض. كان "روي" رجل أعمال مسيحي ناجح، وهو صديقي منذ سنين عديدة. لقد قيل لي في أحد الإيام إنه كان بخير، وفي اليوم التالي خرج من منزله، وحصل على شقة في مكان منعزل واختفى بالفعل، وطيلة عام بأكمله لم يتصل بأصدقائه أو زملائه. لقد كان يحتفظ بوظيفته وكان يزور أطفاله ولكن لم يره أحد آخر. لم يكن يرد على المكالمات التليفونية، فقد كانت السكرتيرات وأجهزة الرد على المكالمات التليفونية تتولى هذا الأمر نيابة عنه.

كان أصدقاؤه يتساءلون: ماذا جرى "لروي"؟ هل فقد إيمانه؟ هل أصيب بلوثة؟ لم يعد "روي" يتحدث لأحد.

وفي إحدى الليالي وعلى نحو غير متوقع زارني "روي" في منزلي وسألني إن كان ممكناً أن نخرج سوياً، فأعددنا العدة لذلك، ثم سافر "روي" بالطائرة في اليوم التالي.

حكى لي روي على مائدة الافطار قصته، فمنذ حوالي عام كان واقعاً تحت ضغط رهيب في العمل لم يستطع أن يتحمله. لقد حاول أن يتغلب عليه ليستطيع مواجهة الناس. قال لي: "لقد كانت الظروف صعبة، ولقد أدركت أنه إذا كانت صراعاتي قاسية فسوف يتحمل الآخرون ظروفاً أشد قسوة"، وانتابتني نوبات الإحباط. لم يشرك روي معه سوى نفر قليل من الناس. قال له أحدهم: "حاول أن تقتطع وقتاً كافياً وتسترجع علاقتك المقطوعة بالرب. وقال له آخر: " اعمل قائمة بما قمت به من أعمال خيرة، فالاحتمالات تقول إنك لم تعد تضع السير مع الله في المقام الأول. وقال له ثالث: "إن عصا الله وعكازه يعزيانك".

ولذا بدأ روي في قضاء المزيد من الوقت في قراءة الكتاب المقدس والصلاة، ولأن التوتر والقلق كانا يدفعانه للاستيقاظ من النوم في الرابعة صباحاً، فبدأ الاستفادة من هذا الوقت في قضاء فرصة تعبدية، ولكن الإحباط ظل مستمراً، وأصبح محاطاً بيأس قاتل من كل جانب.

وأخيراً تغلب عليه الاكتئاب، ولما فاق ألمه العاطفي كل تصور بدأ يعد مسدسه ويحشوه بالرصاص، فقد

كان يستعد للحل المتاح أمامه، ولكن قبل أن يمضي قدماً في خطته قرر أن يستريح ويهدأ لبضع أسابيع ليحاول أن يعيد ترتيب الأوراق مع الرب. فيقضي وقتاً في الصلاة ويقوم بدراسة ملهمة للكتاب المقدس، فلربما لم يأخذ شيئاً من الله في المحاولات السابقة، ولربما اختلف الأمر هذه المرة.

ولكن ظلت الأمور على ما كانت عليه، لقد صلى روى بتركيز لعدة ساعات على ركبتيه، وقرأ الكتاب المقدس وهو منكب عليه ليطلب الرب، ولكن اكتئابه كان يزداد.

فقلت لروي ذات صباح: "ألا زلت معنا...ما الذي حدث؟"

فقال لي: "لقد حدث أغرب شئ، فبينما كنت مصمماً على أن أمضي قدماً في الخطة لإنهاء حياتي، طرق على باب شقتي جاري ليستعير شيئاً، فأحضرته له وبدأنا نتحدث سوياً.

"لم يكن مسيحياً ولكنه كان مهتماً بي، لقد أعطاني "بيل" الفرصة لأتحدث طويلاً عن ألمي وحياتي وعن ضغوط العمل التي تدفع للجنون وعن صراعاتي الزوجية، وعن أمي البذيئة في ألفاظها وأبي المتغيب عن المنزل، وعن سنوات دراستي وعن أخي الذي تخلى عني، وعن تجديد حياتي وكيف بدأت حياة جديدة، وعن السنوات الطويلة التي كنت أحاول فيها أن أجذب الآخرين للمسيح وكيف تكتلت عليّ المطالب من كل ناحية.

استمع بيل وسألني أسئلة، لم يقدم لي النصيحة وقال لي إنه يعتقد أني اجتزت ظروفاً صعبة حقاً، هذا كل ما في الأمر، وبعد مضي ساعتين وأنا أتحدث إليه سألني إن كنت أحب أن أخرج معه لتناول العشاء، وخرجنا معاً ثم روى لي قصته".

كان روي يبدو شارد الذهن، "كان شيئاً مضحكاً حقاً، فلم يخبرني "بيل" أن أفعل أي شئ، ولم يقل كلمة واحدة عن الله، ومع ذلك فلسبب ما شعرت بتحسن بعد الحديث معه أكثر مما فعلت حين صليت، إني لا أحب أن أقول ذلك ولكن هذا ما حدث بالضبط.

"قابلت بعض أصدقاء "بيل" لقد كانوا على شاكلته-أناساً مكافحين، بعضهم مؤمن والبعض الآخر ليس مؤمناً، ولكن جميعهم كانوا يريدون الاستماع لمشاكل الآخرين، لم يطلب مني أحد أن أهتم به ولا طلب مني نصيحة روحية. واستطعت أن أقول كل ما كنت أشعر به، وقد قبلوا كلامي دون مناقشة.

"لقد شعرت بعقدة الذنب لأني لم أكن متواجداً مع مؤمنين، ولكنني فقدت الرغبة التي كانت تدفعني للانتحار، ومما يدعو للدهشة أني بدأت أرغب في الصلاة ثانية والتي كنت قد توقفت عنها مدة طويلة. هل تصدق ذلك؟ أن تشعر أنك قريب من الله وسط جماعة من غير المؤمنين؟!.

"على أي حال فبعد حوالي عام بدأت أشعر بشئ ما بداخلي، وأدركت أني كنت بحاجة للعودة لعائلتي وأصدقائي واستئناف حياتي من جديد. ولذا فإني في بيتي الآن، ويظن الجميع أني مجنون لأني لا أتحدث كثيراً عما حدث لي، ولكن لسبب ما فإني أكثر استعداد لاستئناف حياتي من جديد".

وانحنى "روى على المائدة وقال لي: "ما الذي يدفعني للحديث عن السبب الذي جعلني أتكلم معك..ولماذا

أشعر بتحسن؟ ولماذا أفادني تعلقي بمجموعة من الناس العاديين؟ أعتقد أن الله كفيل بتحقيق احتياجاتي، ومع ذلك يبدو أنه ليس كذلك. إذن فما هى المشكلة؟ أليس الكتاب المقدس صادقاً؟ أليس الله كفيلاً بتحقيق احتياجاتي؟

## الأعراض المرضية لفكرة "أنا والله فقط":

قبل أن ندعو "روي" بأنه شخص غير مسئول أو قليل الإيمان أو حتى مجنوناً، دعنا نتأمل معضلته، فكثير من المؤمنين يمرون في نفس الموقف ويواجهون المشكلة ويسألون نفس الأسئلة. فبطريقة ما فهذه المشكلة التي كادت تدفع "روى" للجنون أسهل في التعامل معها من الافتراض الزائف الذي شرحناه في الفصل الأول (من الأنانية أن ألبي احتياجاتي)، فأعراض الحالة المرضية الناشئة بسبب فكرة "أنا والله فقط" تسمح لنا بأن نشعر بالحاجة، والمشكلة أنها تمثل فكرة كتابية ناقصة عن كيفية إشباع هذه الحاجات، والأفراد الذين يعلّمون هذه المبادئ المشوهة والخاطئة يقدمون جزءاً فقط من الإجابة. إنها وجهة نظر شبه كتابية عن كيفية حصول الناس على العون.

إن الأعراض المرضية لفكرة "أنا والله فقط" هى: بما أن المسيح يكفيني فأنا والله ضد العالم، وما دام الله يقف في جانبي أستطيع أن أتغلب على مشكلتي، فهو ربان سفينة حياتي وأنا مساعد له في معركة الحياة، فإن كان بجانبي لا أريد شخصاً آخر. وبعبارات لاهوتية فهذه الفكرة الخاطئة مبنية على تعليم كفاية المسيح، فالمفترض أن هذه العقيدة تقدم العون عندما تُفهم كتابياً، فهى مبنية على فقرات موجودة في (كولوسي ٢:٩-١٠)، فإنه فيه (في المسيح) يحل كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوؤن فيه الذي هو رأس كل رياسة وسلطان". إذا فهمنا هذه الفقرات فهماً صحيحاً فمبدأ الكفاية يعلّم أن المسيح يوفر للمؤمن كل حاجاته- الجسدية والروحية والعاطفية.

والمشكلة تنشأ عندما نفهم أن كفاية المسيح هى في المسيح وحده دوناً عن الموارد والخيرات التي يوفرها لنا، إننا نقع في مشاكل عندما نعتقد أن الصلاة والكتاب المقدس كافيان لحفظنا في المسيرة، وعندما نعتقد أن الاكتئاب والوحدة أو القلق يمكن التغلب عليها بقضاء الوقت مع الله فقط. إن هذا التعليم المشوش "إن كان الله معي فلست بحاجة للبشر"، يقول إن الذهاب للناس لإشباع حاجاتنا الروحية والعاطفية خاطئ، فلمن يطلب المعونة من الناس، يقول المنادون بهذا التعليم:

* يعوزك إيمان.
* لديك فكرة محدودة وضيعة عن الله.
* إنك تثق بالبشر بدلاً من الثقة في المخلّص.
* إنك تؤمن بفلسفة إنسانية عالمية.
* إنك في الخطية.

* إنك متكبر.

وأشياء كثيرة من هذا القبيل. إن الناس الذين ينادون بهذا التعليم يقولون إنهم تغلبوا على الاكتئاب والتوتر والفشل في الزواج لأنهم ابتعدوا عن الناس والتجأوا إلى الله.

## إذاً ما هي المشكلة؟ إن الله فيه الكفاية، أليس كذلك؟

أنت تقول الله هو الله وهو يستطيع كل شئ، أليس ذلك صحيحاً؟ ألا يقول الكتاب المقدس إن الله فيه الكفاية؟ ما الخطأ في هذا؟ كيف يمكن أن يؤدي ذلك لمشكلة تدفع للجنون؟

بالتأكيد الله هو الله، وهو يستطيع كل شئ. والمسيح أعلن "عند الله كل شئ مستطاع" (متى ١٩:٢٦)، إنه يحكم الكون (رؤيا ١٩:٦). ومع ذلك، فمع أنه يقدر فهو لا يفعل كل شئ، إنه لا يقود سيارتك إلى الكنيسة، ولا يروي حديقتك، وهو لا يخبر أولادك أنك تحبهم. إن الله يستخدم كل الموارد ليساعدنا في الحياة، وهو يستخدم الملائكة "كأرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عبرانيين ١:١٤). إنه يستخدم شهادة الخليقة ليجذبنا إليه "السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه" (مزمور ١٩:١)، لقد استخدم حماراً ليكلم بلعام (عدد ٢٢) وهو يستخدم البشر.

وبالاختصار، فمحبة الله معلنة بطرق عديدة ومنها هذه الطريقة: فعلى البشر أن يحبوا ويساعدوا بعضهم البعض كخليقة الله (بطرس الأولى ٤:٨-١٠). فالمعلمون الذين ينادون بتعليم "أنا والله فقط" يقولون إن الله وحده هو مصدر النعمة والمحبة التي لا نستحقها، ويقولون إننا لا يصح أن ننظر للبشر بحثاً عن النعمة، ومع ذلك فالكتاب المقدس يقول إن الناس في الواقع وسيلة لتوزيع نعمة الله للآخرين" لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا" (رومية ١٢:٦) "ولكن لكل واحد منا أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح" (أفسس ٤:٧). فإذا كنت لا تتلقى النعمة من شعب الله ففكرتك عن الله ضيقة جداً. إن الله يريد أن يرى المحبة متوفرة في عالمه، هذا ما يهدف إليه وهذا ما يريدنا أن نهدف إليه.

### الله يستخدم البشر لاشباع حاجات الناس

استدعيت لأحد المستشفيات لعلاج الأمراض النفسية لأفحص حالة طارئة للسماح بدخولها المستشفى، ولما وصلت للمكتب قابلت سيدة في حالة هياج شديد في العشرينات من عمرها. وعندما عثروا عليها في منتصف الليل كانت تسير في طريق ريفي شبه عارية وفي حالة من الرعب النفسي، فاستدعت السلطات والديها اللذين قاما باستدعاء أحد الأطباء النفسيين المؤمنين والذي بدوره استدعاني. وعندما بدأت الحديث معها بدأت "روث" تهدأ فسألتها "وماذا كنت تفعلين في الغابة؟". فقالت لي: "كنت في أحد منتجعات "النمو الروحي" فسألتها "ولماذا؟"، قالت "لأكون مع الله لوحدي لأطول فترة ممكنة ولأدوّن ما أتعلمه منه ولأكون بالقرب منه". فسألتها "وكم طول تلك الفترة؟". فقالت "أسبوع"، أظل لوحدي كل يوم في كوخ مع كتابي المقدس ومفكرتي.

فسألتها "ألا تتحدثين، مع أي إنسان؟". فقالت: "ألتقي مرة واحدة في اليوم بمرشدي الروحي لمدة ساعة تقريباً، نسترجع فيها ما تعلمته ثم أعود مره ثانية لكوخي". سألتها "متى أحسست بأن الأمور لم تكن على ما يرام؟". قالت: "ذهبت هناك يوم الاثنين، كان اليوم الأول والثاني على ما يرام، ولكن يوم الخميس شعرت أني لست على ما يرام، في البداية شعرت بالوحدة ثم بدأت أشعر أني خائفة حقاً، وفي يوم الجمعة اعتقدت أن كائنات مخيفة تهاجمني، فجريت إلى خارج الكوخ في منتصف الليل لأهرب.

سألتها: "وماذا قال لك مرشدك الروحي بشأن الأيام السيئة قبل الانهيار العصبي؟. سكتت "روث" للحظة ثم قالت: "قال إني أقاوم روح الله، لقد كان يعتقد أن قضاء بضعة أيام أخرى قد يفيد".

إن الوحدة مع الله هنا ليست هي المسئولة عما حدث، ولكن "روث" ذهبت للمنتجع بسبب حالة لم يتم تشخيصها وهي خوف مرضي أدى لنوع من الاضطراب تفاقم بسبب العزلة الشديدة وهجرها للناس، وقد ظهرت هذه الأعراض عندما أصبحت معزولة عن الناس، ومع ذلك فعندما أخبرت مرشدها الروحي بحالتها كانت إجابته أن تعزل نفسها أكثر فأكثر.

هذه الطريقة لمعالجة المشاكل الروحية يتم تدريسها على نطاق واسع في الأوساط المسيحية. وهي تذكرني بقواعد علم الهندسة: (١) إذا لم تنجح في أداء مهمتك استخدم مطرقة. (٢) وإذا لم تفلح كذلك استخدم مطرقة أكبر. والمرشد الروحي لروث كان يستخدم معها مطرقة أكبر مما كان سيجلب أوخم العواقب.

هذه هي أول مشكلة تنتج بسبب الفكرة القائلة "إذا كان الله معي فلست بحاجة للبشر". إنها تنكر أن الله يستخدم البشر كأصابعه.

ومع ذلك فالله دائماً يستخدم الناس. إننا نرى الناس يشبعون حاجات الآخرين في كل أسفار الكتاب المقدس. فالله نظر لجنة عدن وأعلن أنه ليس جيداً أن يكون آدم وحده بلا رفيق بشري (تكوين ٢:١٨)، ويقول الحكيم "اثنان خير من واحد...لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه" (جامعة ٤:٩-١٠). وفي كل الشواهد في فقرات العهد الجديد عن الكنيسة نجد الإشارة للفظ "بعضكم البعض" (رومية ١٢:١٠ ، ١٣:٨ ، ١٤:١٣، كورنثوس الأولى ١٢:٢٥ ، ١٦:٢٠. غلاطية ٥:١٣، أفسس ٤:٢٥و٣٢) التي تشير لنفس الفكرة: فالله يشبع احتياجاتنا عن طريق الآخرين من البشر.

### "فكلانا معاً، وليس واحد منا"

هل أنت غير مستريح لفكرة أن الله يستخدم البشر؟ هل يشعرك ذلك أن الله لا يفعل شيئاً بطريق غير مباشر عن طريق شخصه أو كلمته، وأنه يلقي بالناس في طريقنا مصادفة لمجرد أن يكونوا ممثلين له؟

ليس هو واقع الحال، إن الله لا يُحد عن طريق البشر، ولكنه متداخل معنا بطريقة سامية وشخصية أيضاً. إنه يستخدم الناس في بعض الأشياء، ويتدخل هو مباشرة في أشياء أخرى.

في ندوة عن هذا الموضوع سأل أحد الزملاء المجدين المولعين بالدراسة هذا السؤال: "إذاً ما هي النسبة

المئوية لحاجاتنا التي يلبيها الله وتلك التي يلبيها الناس؟"

فأجبنا: "مائة بالمائة عن طريق الاثنين معاً". وكما سوف نرى فإن يد الله فعلاً وراء كل شئ.

**الأعين والأيدي:** لقد رتب الله أن يحتاج كل منا للآخر في اتضاع حتى نستطيع أن ننتسب جميعنا لله كخليقته وهو خالقنا، فعندما نعتقد أننا لا نحتاج لما يقدمه لنا المؤمنون الآخرون عاطفياً روروحياً، فإن جسد المسيح يتوقف عن أن يؤدي عمله كما ينبغي: ولا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لي إليك أو الرأس أيضاً للرجلين لا حاجة لي إليكما" (كورنثوس الأولى ١٢:٢١). إن احتياج كل منا لمواهب الآخر وعونه وحكمته ومحبته هو النمط الكتابي للنضوج.

توجد أربعة ميادين عاطفية وروحية رئيسية يلتقي فيها الله بالناس لإشباع حاجاتهم: النمو والتعزية والحكمة والإصلاح.

**١- النمو:** معظم المسيحيين الذين نعرفهم يريدون النمو روحياً، فما أن يجذبنا الآب للخلاص في المسيح حتى تشتاق قلوبنا للنضوج حتى نصبح أقرب ما نكون لما قصده الله من حياتنا-على صورة الله (تكوين ١:٢٧). وهذا يحدث عن طريق معونة كل منا للآخر، كأعضاء في جسد المسيح (أفسس ١:٢٢-٢٣)، فبذلك نساعد بعضنا بعضاً على النمو. ليس أحد فينا كاملاً، فلدينا أزماتنا وصراعاتنا في أوقات مختلفة والمتعلقة بأمور مختلفة. وبهذه الطريقة فإذا احتاج أحد منا لشئ تقدم له المساعدة. ويشرح بولس ذلك بالقول:

"صادقين في المحبة ننمو في كل شئ إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح. الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤:١٥-١٦).

"لبنيانه في المحبة" أي "لنمو الجسد"، فباستخدام الموارد المتاحة التي وفرها الله علينا أن نلعب دوراً حيوياً في النمو الروحي للآخرين، فالحياة في المسيح هى الحياة في جسد المسيح وكنيسته.

على مدى سنين عديدة، قد انتميت لعدة كنائس رأيت فيها هذا المبدأ فعالاً، فالأعضاء يساعدون بعضهم بعضاً عند ولادة أطفالهم ويساعدون بعضهم البعض عند دفن موتاهم، وعندما يمرض شخص ما أو يحتاج لمعونة مالية أو مساندة عاطفية كان يستدعي عائلته الروحية، كان كل عضو يؤدي عمله وكانت الكنيسة تنمو على مر السنين.

**٢-التعزية:** هذه حاجة أساسية روحية وعاطفية. إننا نحتاج لشخص يخفف ألمنا، ويهدئ من روعنا في حالة الحزن. أحد الكلمات العبرية لكلمة "تعزية" هى (Naham) وهى متضمنة في فكرة "التنفس بعمق":

ولكي نفهم هذا انظر إلى أم تهدئ طفلاً خائفاً، إنها تضمه إلى صدرها بالقرب من قلبها، فالطفل يمكنه أن يستمع دقات قلب أمه وتنفسها المنتظم العميق، وبعد وقت قليل يقل خوفه ويستجيب للسلاسة والبساطة التي تؤدي بها أجهزة جسد أمه عملها. إن التعزية تشيع فينا إحساساً بالأمان والانضباط. إن التعزية تأتي

من الله وحده "فلتصر رحمتك لتعزيني" (مزمور ١١٩:٧٦). "لأن الرب قد عزى شعبه وعلى بائسيه يترحم" (إشعياء ٤٩:١٣). والروح القدس يعزي: فقد بنيت الكنيسة الأولى واستمرت "بتعزية الروح القدس" (أعمال ٩:٣١).

إن صديق "روى" قال الصدق عندما اقتبس مزمور ٢٣ "عصاك وعكازك يعزيانني"، ومع ذلك لم يتخذ الخطوة التالية ويسأله: "هل يمكن أن أقدم لك المساعدة؟". "إن الناس متداخلون في عملية التعزية هذه، فعندما اعتقد يعقوب أن ابنه المحبوب يوسف قد مات "قام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه، فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية" (تكوين ٣٧:٣٥). هذه الفقرة الهامة تظهر لنا القوة الشافية لتعزية البشر، إن يعقوب رفض تعزية أبنائه لأنه كان يعرف أنها يمكن أن تخفف من حزنه الشديد، وفضل أن يستمر في أحزانه لأنه أراد أن يظل مرتبطاً بابنه الميت. ينصح بعض المؤمنين أصدقاءهم هذه النصيحة عندما يختبرون الخسارة "ثقوا بالله" ومع ذلك فهؤلاء المؤمنون يحكمون على أصدقائهم بالحزن الدائم مدى الحياة، فالذين فقدوا عزيزاً عليهم يحتاجون لمواساة حقيقية وليس مجرد كلام لا يقدم التعزية الحقيقية. وعندما يخطئ أحد أعضاء الكنيسة ثم يعاقب على خطئه لا يصح أن نتركه لوحده (ونقول لأنفسنا "هذه التجربة لصالحة")، فبدلاً من ذلك "تسامحونه بالحري وتعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط" (كورنثوس الثانية ٢:٧). يجب أن نقدم المواساة حتى إن كان يستحق المعاناة. لقد كان لبولس فرح كثير بسبب محبة فليمون (فليمون ٧). وعندما شعر بولس بالاكتئاب قال: "لكن الله الذي يعزي المتضعين عزانا بمجئ تيطس" (كورنثوس الثانية ٧:٦). ودعا أيوب أصدقاءه الميالين للوعظ "معزون متعبون" (أيوب ١٦:٢)، وقد حل محلهم في النهاية أصدقاء آخرون الذين "عزوه عن كل الشر الذي جلبه الرب عليه" (أيوب ٤٢:١١). فهناك نوعان من تعزية الناس: تعزية مريحة، وتعزية متعبة، ومن المفيد أن ندرس التعزية التي قدمها أصدقاء أيوب له حتى نتفاداها في مرات قادمة.

فإذا ذهبت لله فقط طلباً للتعزية فإنك بذلك تحد من المساعدة التي يمكن أن يقدمها الله لك، فإذا لم نستطع أن نستخدم أصابع الله (البشر) فنحن نقيد يديه.

**٣- الحكمة:** في كلية اللاهوت كنا ندخل في مناقشات لا تنتهي بخصوص انتماءاتنا المختلفة في العقيدة، وكنا نتحاور ونحلل لساعات عديدة. وخلال إحدى هذه المناقشات الحادة أخطأ أحد الزملاء بتأكيده أنه لا ينتمي لأي فريق على الإطلاق، وقال إنه كتابي فقط. فالتفتنا حوله نقاطعه بصيحات الاستهزاء والاستهجان بلا هوادة لكونه مدّعياً ومتعالياً، فقال على الفور "إن كل علماء الكتاب المقدس على مدى الألفي عام الأخيرة، غير موضوعيين. إني أفهم كلمة الله بدون مساعدتهم". علينا أن نكون ناضجين في فهم الكتاب المقدس، وعلينا أن نصبو إلى أن نفصّل كلمة الحق بالاستقامة (تيموثاوس الثانية ٢:١٥)، ولكننا بحاجة لمساعدة الآخرين لنفهم الكلمة.

تذكر رد الخصي الحبشي على فيلبس الذي كان قد رآه يقرأ سفر إشعياء، وسأل الخصي إن كان يفهم ما يقرأ، فأجاب الخصي "كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد" (أعمال ٨:٣١)، ماذا كان يحدث لو أن فيلبس قال:

"حسناً، عليك أن تتكل على الله لتفهم هذه الكلمات. أراك على خير" ثم انصرف. إن جميعنا ببساطة بحاجة للحكمة-فن المعيشة-سواء كان الأمر يتعلق بفهم الكتاب المقدس أو فهم تعقيدات الحياة الزوجية أو الإلمام بكل ما يتعلق بالاكتئاب، والناس هم أفضل الموارد التي أتاحها لنا اللله لاكتساب هذا الفن.

سوف تستمع للمعلمين المهيجين يقولون: "لا تستمع للناس بحثاً عن إجابات على أسئلتك-خذها مباشرة من الله". ولكن هل ترى التناقض المتضمن في أقوالهم؟ "لا تستمع إلى ما أقوله أنا لأني إنسان بشري"، ولذا عليك أن تستشير "متخصصين" في أي ميدان تحتاج فيه للحكمة سواء تعلق الأمر بالمستقبل المهني أو بالأمور المالية أو اضطرابات القلق أو إرادة الله. دع الله يتحدث من خلال أولئك الذين ساروا معه. وتعلّم منهم.

٤- **الإصلاح:** جميعنا بحاجة للإصلاح بطريقة أو بأخرى، فنحن خطاة مذنبون أو أخطأ الناس في حقنا، ولأنه لم يستطع أن يهرب أحد من نتائج الخطية فنحن نعاني العطب الروحي والعاطفي، فنحن لا ندع الآخرين يحبوننا. ولا نستطيع أن نقول لا، ولا نعرف كيف نتصل بالناس. ونحن غير قادرين على أن نكون حازمين في قراراتنا، إننا بحاجة للعون حتى نكون منظمين ولنقبل ضعفاتنا، ونقاوم أولئك الذين يسيئون معاملتنا. إن الجوانب المكسورة والتالفة وغير الناضجة في شخصياتنا بحاجة للإصلاح. وكما قلنا في الفصل الخامس إن الإسترداد هو التقديس. إن الله يفدي تلك الأجزاء المفقودة من نفوسنا التي لحقها الأذى، إنه يأتي بتلك الأجزاء إلى نور نعمته وحقه.

والقيام بهذا الإصلاح كما يعتقد كثيرون خطأ، هو عمل الله نفسه وبنفسه دون تدخل أي واحد أو أي شئ، وكل ما نحتاجه حقاً كما يقولون أن نعمل ما يقوله الكتاب المقدس. ومع ذلك فالكتاب المقدس يقول مراراً وتكراراً إننا يجب أن نبحث عن الناس ليساعدوننا على استرداد الصحة الروحية والعاطفية. إن المعنى الأصلي للكلمة العبرية (hazaq) (إصلاح) هو "المساعدة على تقوية الأيدي والأذرع"، فالصورة هنا تعني الأيدي القوية تسند الضعيفة.

لي إحدى الصديقات وصلت لمرحلة متقدمة من العمر، وكانت ضعيفة وهزيلة وغير قادرة حتى على الإمساك بشوكتها لتأكل، وفي أوقات تناول الطعام أضع أحياناً يدي حول يديها لأضع الشوكة في فمها، وقد ساعد هذا العمل (hazaq) على جعلنا أكثر قرباً كل منا نحو الآخر.

إن هذه الصفة في أيوب كأب هى التي رآها أليفاز فيه وامتدحها بالقول: "ها أنت قد أرشدت كثيرين وشددت أيادي مرتخية. قد أقام كلامك العاثر وثبت الركب المرتعشة" (أيوب ٤:٣-٤). لقد سر لأن أيوب قام بهذه المساعدة (Hazaq) (مع أن أاليفاز لم يكلف خاطره أن يقدم لصديقه أي مساعدة hazaq في المقابل) ويوناثان ساعد (hazaqed) داود في المحنة: لقد "شدد يده بالله" (صموئيل الأول ٢٣:١٦)، فعن طريق يوناثان تلقى داود محبة الله.

إن الكتاب المقدس لا يملي طريقة معينة بها يمكن أن يلبي الله حاجة معينة- عن طريق مباشر أو من خلال الناس. ومع ذلك فلا يمكننا أن ندّعي أن الله قام بعمل من أعمال رحمته نحو بعض الناس لأنهم قاموا بعمل

أظهروا فيه الرحمة لأناس آخرين. فالله أرسل تيطس لبولس (كورنثوس الثانية ٦:٧)، وهكذا أحب الله العالم حتى أرسل ابنه، دع الله يلمسك بأي طريقة يرغبها وعن طريق أي أناس يختارهم.

## لا تقلل من شأن التجسد

لقد كانت لحظة قاسية بالنسبة لكارول، لقد مات أبوها مؤخراً بعد مرض طويل، وكان موته متوقعاً ولكن ما لم يكن متوقعاً أنها بدأت تكتشف كل ما يتعلق بعلاقتها معه.

منذ مدة طويلة كانت "كارول" تحكي لي قصصاً عن أي صنف من الرجال كان والدها. فدوناً عن باقي الرجال كان محباً عطوفاً قوياً مسانداً، لقد كانت تقيِّم الرجال بمقياس واحد-مقياس والدها. كانت هناك مشكلة واحدة فقط: لقد تركها أبوها هى وأمها عندما كانت تبلغ عامين من العمر، ويتصل بها فقط في أوقات متفرقة خلال حياتها. ولذا فقد رسمت في مخيلتها صورة كاملة لوالدها. لقد زينت وجملت صورته لتحمي نفسها من ألم وخسارة فقدانها لوالدها في المنزل. وبعد موته الجسدي فقط استطاعت أن تقبل موت العلاقة التي كانت بينها وبين والدها منذ سنين عديدة. لقد بدأت ترى والدها على حقيقته، رجلاً مهموماً منهمكاً في شئونه الخاصة دون أن يفسح لها أي وقت. لقد كانت تعاني من خسارة كبيرة-لقد فقدت الرجل الذي لم يكن موجوداً في حياتها أبداً.

لم يكن "لكارول" والد تتصل به، والد يمسك بها ويلعب معها ويأخذها لتتمشى معه، ولعدم وجود صورة لأب حقيقي، نسجت صورة غير واقعية له وقارنت أي رجل تتواعد معه بهذا الأب المثالي في خيالها. وحقيقة أنه كان "لكارول" أب في مكان ما لم يكن كافياً لإنقاذها من مشاعر الهجر والفقدان. لقد كانت بحاجة لأب في بيتها، أب في الجسد، أب من لحم ودم. وهكذا يعكس الحاجة التي وضعها الله في قلوب البشر: فبالإضافة لحقيقة وجود الله في حياتنا فنحن بحاجة لله في الجسد-الله المتجسد-المسيح.

فالعالم المبهج الذي يقول: "إذا كان الله معك فأنت لست بحاجة للبشر" يدفعنا بعيداً عن الإنسان يسوع المسيح، إنه يقلل من شأن التجسد، وهو التعليم المسيحي الأساسي.

**ديانة ملموسة:** معظم الديانات تشرح لنا بالتفصيل كيف نصل إلى الله، فعليك القيام بطقوس معينة وعليك أن تكون مطيعاً للوصايا وأن تحيا أفضل حياة يمكن أن تحياها. أما في المسيحية فنحن لا نبحث عن الله، أو الطريق إلى الله لأنه قد وصل إلينا بالفعل، لقد سلك طريقاً نحونا، فالله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم" (كورنثوس الثانية ١٩:٥). لقد رأى الله أننا كنا في كرب عظيم وأننا لن نستطيع أن نتصل به في قداسته، ولذا فقد قام بالمهمة لأجلنا: لقد دفع المسيح ثمن خطايانا على الصليب في الإيمان المسيحي، صار الله إنساناً بالفعل، هذا ما يعنيه التجسد، لقد صار الله جسداً لأجلنا.

وإذ صار إنساناً فقد عمَّد وأكَّد بشريتنا، إنه جعلها شيئاً مقبولاً، فنحن لسنا بحاجة أن نقلل من بشريتنا أو نضخمها لنكون روحيين، بل على النقيض فلكي تكون روحياً عليك أن تصبح أكثر أنسانية. وإذ صار الله إنساناً فقد بين أنه يفهم آلامنا، لقد كان هناك "لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل

مجرب في كل شئ ومثلنا بلا خطية" (عبرانيين ٤ :١٥).

لقد أصبح أكثر بشرية مما يستطيع أن يتخيله أي واحد فينا لأن الله "جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (كورنثوس الثانية ٥ :٢١). إن معجزة المسيحية الكتابية أن الله الإنسان قد ربط نفسه بخطيتنا حتى دفع ثمناً لها. لقد حمل عنا خطيتنا وتحمل العقاب الذي كنا نستحقه، وهكذا عن طريق تبادل عجيب قد مكننا من أن نقبل بره ونصطلح مع الله.

فإذا كان الجسد والعظام والدم-والخطية-كلها أشياء مرتبطة بكوننا بشر وهي هامة جداً لله للدرجة التي جعلته يصبح إنساناً، إذن فكوننا بشر ليس سيئاً إلى هذا الحد. وبالإضافة لذلك فنحن نستطيع أن نتعلم عن المحبة من الطرق العديدة التي بها أحب الله الإنسان الناس. لقد علمهم وشفاهم ووضع يديه عليهم وبكى معهم وزارهم في بيوتهم وطلب من ثلاثة منهم أن يساندوه في ألمه في جثسيماني "نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي" (متى ٢٦ :٣٨).

هكذا لبى احتياجات الناس عندما كان على الأرض-بالشفقة والحنان والحب. إن تجسد المسيح يظهر سخف فكرة أنك لست بحاجة للناس، فالله نفسه احتاج للناس عندما ظهر في الجسد وصار إنساناً. هذا ما يجعل تعاليم الكفاية ليس فيها الكفاية. والمنادون بهذا التعليم ينادون بمسيح إله قطعاً ولكنه ليس بشراً بما فيه الكفاية-على خلاف التعليم الكتابي أن المسيح إله كامل وإنسان كامل، ولذا تراهم يقصرون موارد المسيح ووسائله على تدخل الله المباشر. إنهم يعلّمون بمسيح غير كاف وليس مسيح الكتاب المقدس.

**التعاليم الغنوسية:** وراء هذه التعاليم المذهب الغنوسي-وهو فلسفة قديمة كانت تنادي بأن معرفة الأمور الروحية شئ جوهري. ولذلك فالمادة-كنقيض للروح-شر، وبمعنى آخر فالجسد طالح والروح صالح، وهدف الغنوسي إذن أن يتنكر لجسده وأن يصبح روحانياً. ولذلك فقد كان من المنطقي أن الغنوسيين عاملوا أجسادهم المادية بقسوة، فكانوا يلجأون لتشويه أجسادهم وحرمانها وعزلها ليساعدهم ذلك على عزل أجسادهم عن أرواحهم. وما هو رأيهم في المسيح؟ يقولون إنه روح تماماً وليس فيه أي صبغة بشرية.

ويفتتح الرسول يوحنا رسالته الأولى مفنداً هذه الهرطقة فيقول: "الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة".

ما يريد أن يؤكده الرسول أن المسيح أيضاً كان إنساناً يدعى يسوع، عاش، وتنفس، ولمسنا، ومات لأجلنا. وبنفس الطريقة أحبنا، فعلينا أن نحب الآخرين. إن المسيح الروحي بشري حتى النخاع.

ولهذا السبب، فتعبير "جسد المسيح" هام بنوع خاص، ففي الفقرات الواردة في رومية ١٢، كورنثوس الأولى ١٢، وأفسس ٤ نقرأ أن الكنيسة تعمل وفقاً لما كان جسد يسوع سوف يفعله لو كان لا يزال معنا بالجسد. فعلينا أن نحب بعضنا ونحمل أثقال الآخرين ويساند كل منا الآخر، إننا أصابعه.

**معرفة الله:** إننا نتعلم ماهية صفات الله من علاقاتنا البشرية. ولهذا السبب يقول الكتاب المقدس: "إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لا من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي

لم يبصره" (يوحنا الأولى ٤ : ٢٠ ) ، فالناس الذين تفككت أواصر العلاقة فيما بينهم وتفرق شملهم يجدون صعوبة أكثر في معرفة الله والقرب منه. ونحن نرى ذلك بصفة دائمة في الممارسة العملية وبخاصة بين المؤمنين الذين لا يحسون بأي اقتراب من الله بعد سنوات من ممارسة الغنوسية عملياً واعتناق تعاليم الكفاية، ولكن بعد الاتصال بالمؤمنين يبدأون في التدرج بالإحساس بالله أكثر. إنهم يتعلمون المبادئ الروحية فقط عندما يراعون العلاقات التي تربطهم بالآخرين.

**الأطفال وأطراف العلاقة الزوجية:**

يستحيل على المعلمين الذين ينادون بالمبدأ القائل "أنا والله فقط" أن يعيشوا وفقاً لما ينادون به. فلو أنني لا أتلقى عطفاً وحناناً سوى من الله مباشرة فأن أواسي الآخرين وأساعدهم يعني أن أجعلهم يرتكبون الخطية، لأنني بذلك أعلمهم أن يعتمدوا على الناس بدلاً من الاعتماد على الله. إن مثل هذا الأب سوف يضطر أن يقف عند سرير طفلته التي تصيح ويخبرها أن تجد عزاءها في الله ثم يمضي لحال سبيله. إن مثل هذا الزوج الذي لا يقبّل زوجته أو يمسك بيديها-بل يخبرها أن المسيح أحبها وهذا يكفي. إن هذا التعليم لا يصمد في الاختبار العملي في الحياة الواقعية، إن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها ممارسة هذا التعليم أن تبقى بعيداً عن الناس وتنصحهم بالالتجاء إلى الله. ومع ذلك فهذا بالضبط ما يحذرنا منه الرسول يعقوب حين يقول: "إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي. فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة" (يعقوب ٢ : ١٥-١٦ ).

إن المؤمنين الذين يعيشون وفقاً لما يعتقدونه "أنا والله فقط" فإنهم يتمنون للناس حظاً حسناً، على أمل أن الله سوف يتكفل بكل أعوازهم ويحل جميع مشاكلهم، فإنهم يتجنبون مساعدتهم حتى يثق المحتاجون في المسيح أكثر من ذي قبل. ولكن هذه العقيدة إيمان ميت حسبما يقول يعقوب ( ١٧:٢ ) ويجب أن يدفن.

## محبة الله تظهر عن طريق شخص غير مؤمن

إن المأساة الحقيقية في حياة روي كما أوضحها لي أثناء تناول الإفطار لا تكمن في معاناته في فترة الطفولة (وقد كانت أليمة) أو في الانهيار العصبي (الذي كان بسبب صدمة نفسية). إن المأساة الحقيقية أنه لم يكن هناك شخص مؤمن يتصل به، فاضطر الله أن يأتي له بشخص غير مؤمن . لا شك أن هذا الظرف كان بسبب مقاومة للمسيحيين الذين حوله، ومع ذلك فمن واقع الاختبار الذي حكاه لي أن معظم المسيحيين لم يكونوا ببساطة أصابع الله المعينة المساعدة بل كانوا ممن يشيرون بالأصبع للتنديد بأفعال الآخرين.

لقد قصد الله أن نحتاجه ويحتاج كل منا الآخر، إننا بحاجة لله ولكلمته، وبحاجة لبعضنا البعض.

كتب الرسول يوحنا في رسالته الثانية قائلاً: "إذ كان لي كثير لأكتب إليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأني أرجو أن آتي إليكم وأتكلم فماً لفم لكي يكون فرحنا كاملاً" (رسالة يوحنا الثانية ١٢ ).

أكمل فرحك، تكلم مع الآخرين الذين يحبونك وجهاً لوجه.

# الافتراض الثامن

# "الالتزامات جيدة"

نشأت معتاداً على قراءة الكتاب المقدس كل يوم بدافع الحب، لذلك وكان عندي كتابي المقدس الخاص بي، ومنذ الصف الرابع والخامس الابتدائي حتى وصلت للمدرسة الثانوية وأنا أقرأ الكتاب المقدس كل ليلة.

ولما ذهبت للكلية التزمت أمام الله وأكدت تعهداتي وانضممت لجماعة دينية تدعي "جماعة التلمذة للمسيح"، كان من شروط الانضمام إليها أن تتعهد بالالتزام بتكريس وقت هادئ للتأمل وقراءة الكتاب المقدس. وكانت الجماعة تسألني كل أسبوع: هل أنت تستمر في المواظبة على فترة التأمل الهادئ؟ وبدأت أخشى هذا السؤال.

وعندما لم أكن أقرأ الكتاب المقدس وأصلي كل يوم كنت أشعر بالذنب. إن قراءة الكتاب المقدس كانت شيئاً محبباً بالنسبة لي، ولكن عندما أصبح مطلباً له نتائج سلبية-وعندما شعرت أن عليَّ الالتزام بعمل ذلك وإلا صرت مداناً-لم أعد أرغب في المداومة على ذلك الالتزام. وانتقلت من عالم تسوده الرغبة في أداء شئ محبب إلى عالم تحكمه الالتزامات المفروضة. في هذا الفصل سوف نتأمل في هذا المعتقد الخاطئ والذي يمكنه أن يدفعك للجنون "الالتزامات جيدة"، وسوف نفكر في حقيقة مشاعرنا فيما يتعلق بالالتزامات التي نعتقد أننا يجب أن نقوم بتنفيذها.

إن كلمة "يجب" تعبر عن الالتزام والإجبار والواجب، إنها توحي بأنه ليس أمامنا خيارات مطروحة، وأننا إذا عملنا شيئاً غير المفروض علينا أن نعمله فنحن أشرار أو مدانون.

والقول بأن الالتزامات التي تجعلنا نشعر أننا أشرار أو مدانون ليست جيدة فهذا موقف يصعب الدفاع عنه، لأن معظمنا لدينا إحساس بالواجب.

فنحن يجب أن نعد طعام العشاء لعائلاتنا، ويجب أن نذهب للعمل في الموعد المحدد، ويجب ألا نفرط في الأكل، ويجب أن نتوقف عن الإنفاق بأكثر مما تحمله الميزانية. والواجبات تغزو أيضاً حياتنا الروحية، فنحن يجب أن نخصص وقتاً لدراسة الكتاب المقدس ونخدم في مجلس الإدارة ونحب جارنا كثير الكلام. والمشكلة تنشأ حينما نفعل أشياء لكي يقال إننا أناس طيبون وليس بسبب البركات التي سوف نحصل عليها بسببها. المشكلة هى عمل أشياء بدافع الاضطرار وليس بدافع الحب الحقيقي.

إن هدفنا كمسيحيين أن نحب الرب إلهنا من كل قلوبنا ومن كل أنفسنا ومن كل فكرنا وأن نحب قريبنا كأنفسنا (متى ٢٢: ٣٧-٤٠). ونحن لا يمكن أن نحب ما لم نكن أحراراً في ألا نحب-ونرى نتائج كلا الاختيارين. والفكرة المتضمنة هى الحرية، فالفكرة المسيحية التقليدية عن الحرية هى أننا متحررون من

ممارسات طقسية معينة خاصة بناموس موسى: فنحن لسنا مضطرين أن نتبع الكثير من وصايا العهد القديم لأن المسيح قد تمم تلك الوصايا في العهد الجديد، ومع ذلك فالحرية المسيحية الحقيقية أكثر من مجرد التحرر من القوانين. إنها الحرية أن نختار طريق الحياة والحرية من الخوف والذنب والإدانة عندما نختار الاختيار الخاطئ، إنها الحرية أن تختار المحبة بدلاً من تجنب الذنب.

إن الحرية تأتي عن طريق النعمة، فعندما نفشل أن نتمم شيئاً لا نقدر عليه أو عندما نفعل شيئاً ما كان يجب أن نعمله فنحن أحرار حقاً من الدينونة عن طريق نعمة الله. إننا لم نعد مضطرين أن نفعل شيئاً، ومع ذلك فلماذا يرفض بعض المسيحيين أن يؤمنوا أنهم أحرار؟ ما هي نتائج هذا التفكير؟ وأخيراً ما هو فرح الحرية الحقيقية بنوع خاص؟

## لماذا نعتقد أننا لسنا أحراراً

إن الكتاب المقدس عادة يشير للجنس البشري كعبيد، إنهم خاضعون تماماً لإرادة شخص آخر يمتلكهم، وعليهم أن يطيعوا-سواء كان السيد شخصاً أو تأثيراً أو عادة. إننا عبيد للخطية. قال بولس: "لست أفعل ما أريده، بل ما أبغضه إياه أفعل" (رومية ٧:١٥)، نحن نادراً ما نستمتع بحياتنا المدمرة التي نحياها "ولكننا مبيعين تحت الخطية" (عدد ١٤). فنحن نغضب من أزواجنا وزوجاتنا، ونفرط في الطعام والشراب، ونبذر أموالنا، ونؤجل عمل اليوم إلى الغد، وننتقد جيراننا. ومهما حاولنا جاهدين نجد أننا مضطرون لأن نتفق مع الرسول بولس. فالخير الذي نريده لا نفعله، ونمارس عمل الشر الذي نبغضه. لماذا لا نفعل الأشياء التي فيها خيرنا، وهذا يجعل حياتنا أفضل؟

لأننا بالطبيعة لسنا أحراراً، نحن عبيد لناموس الخطية والموت، وطالما نحن تحت الناموس فإننا سوف نفشل، مهما حاولنا ومهما كانت بواعثنا خيرة.

والشخص الذي يثق في المسيح كمخلص ينتقل من تحت ناموس الدينونة. فهو يعني في المسيح أن الله عندما ينظر إليه فهو يرى بر يسوع، فهو غير مذنب شرعاً (كورنثوس الثانية ٥:٢١). ومهما عمل فهو لا يحمل الذنب شرعاً وليس تحت الدينونة لأن المسيح حمل عنه الذنب مرة إلى الأبد. إن عاقبة الخطية بالنسبة للمسيحي ليست الدينونة أو العقاب من الله. إن المسيحي كامل في نظر الله لأنه ينظر إليه في المسيح.

ومع ذلك فبالتجربة نحن يمكن أن نكون تحت الناموس، فيمكننا أن نشعر ونتصرف كما لو كنا سوف نفقد المحبة إذا أخطأنا. وعاطفياً نحن لا زلنا تحت الناموس، فنحن نشعر أننا إذا لم نفعل ما ينبغي فنحن أشرار أو مداتون وأننا نستحق العقاب. فنحن لا زلنا تحت الناموس إذا كنا نمارس الشعور بالذنب والغضب وفقدان المحبة، عندما لا نفعل ما ينبغي.

## متى نكون تحت الناموس

هناك أربع نتائج رئيسية لكوننا تحت الناموس:

**الناموس يجلب الغضب**

الكتاب يقول إن "الناموس ينشئ غضباً" (رومية ٤ : ١٥).

أولاً: غضب الله. فالله يغضب للإساءة الموجهة ضده عندما نغضب لإيقاع الأذى بنا من أحد الأطراف. فإذا كنا تحت أوامر ونواهي الناموس إذن فنحن نتوقع أن الله يغضب منا.

ثانياً: نحن نغضب من الله ، فنحن نبغضه ونبغض قوانينه ونريد أن نبتعد عنه بعيداً.

ثالثاً: نحن نغضب من أنفسنا ، فالغضب هو الثمرة الطبيعية للناموس.

كانت مشكلة "ماري" هي وزنها منذ أن بلغت الخامسة والعشرين من العمر، وفي سن الأربعين ازداد وزنها مئات الأرطال، ثم فقدت عدداً كبيراً من الأرطال أيضاً. وقد جربت كل أنواع الأطعمة التي يمكن أن تتخيلها في محاولة للوصول إلى الحد المعقول. كانت تشعر بتحسن عندما ينقص وزنها، وتغضب عندما كانت تقلل من كمية الأطعمة دون جدوى. وكانت عندما تغضب تسب نفسها بمختلف الألفاظ البذيئة. فقد أنشأ الناموس بالنسبة لها-النتائج العاطفية لفشلها-غضباً أكثر مما جلب نقصاً دائماً في الوزن.

**هل نحن تحت دينونة؟**

عندما نكون تحت الناموس نكون في حالة من الذنب والدينونة معرضين للشعور بالذنب عندما نفشل. نشعر أننا مذنبون وأردياء ومدانون إذا لم نفعل ما يجب.

ومع ذلك فالدينونة والذنب ليست بدائل أمام المسيحي، ولكن الحزن الإلهي كذلك (كورنثوس الثانية ٧:٨-١١)، إن الحزن الإلهي هو الحزن الناشئ بسبب إحساسك بأنك أسأت لله أو لشخص آخر، إنه يتركز نحو الخارج لإحساسك بأنك أسأت للآخرين. والحزن الإلهي يحدث فينا تغييراً، ولكن حزن العالم هو إحساس سيئ، إنه يتركز نحو الداخل، نحو أنفسنا (الحزن الإلهي يختلف عن الشعور بالذنب أو حزن العالم، وسوف نشرحه بالتفصيل في الفصل التالي).

لأن "روب" كان يعاني من مشكلة تحقيق أهدافه المالية للعائلة كان يشعر بالذنب، لقد عمل خططاً ولكنه لم يلتزم أبداً بها، ولذا انتابه إحساس رديء، ولكنه لم يتغير، لقد غمرته مشاعر سيئة أصابته بالشلل، ولم يستطع أن يعرف كيف يمكنه أن يتحسن إلا بعد أن تعامل مع مشاعر السخط واستطاع أن يشعر بالندم الحقيقي لإحساسه بالمسئولية عن كل فشل أصابه، ولذا إذا انتاب أحد شعور سيئ أو إحساس بالذنب لما ينبغي أن يفعله فهو واقع تحت الناموس عاطفياً واختبارياً. وإذا شعر أحد بالحزن أو الندم بسبب ما آل إليه فسوف يدفعه ذلك لطلب التغيير، إنه يتحرك بدافع الحب. إنه سوف يرغب في أن يقبل شيئاً أفضل لنفسه وللشخص الذي يحبه. إن الشعور بالذنب هو "حزن العالم" (كورنثوس الثانية ٧ : ١٠) أما الشعور بالندم فهو حزن إلهي ومفتاح التغيير الحقيقي، إنه ليس مبنياً على الغضب من الذات بل على الحب للآخرين.

ونسيان مشاعر حزن العالم أو مشاعر الذنب أمر صعب للغاية بالنسبة لمعظم المسيحيين لمجرد السماع عنه، فكم وكم بالحري ممارسته، فمع أنهم يعتقدون أن الشعور بالذنب مفيد إلا أن الكتاب المقدس يعلم عكس ذلك بوضوح. صحيح إننا يجب أن نشعر بالأسف عندما نفشل فهذا يدفعنا للتغيير، ولكننا لا يجب أن نشعر أبداً بالذنب والإدانة، لقد تحررنا منهما حتى يمكننا ألا نشغل عقولنا بالحالة السيئة لنقائصنا وعدم وجود عنصر المحبة في سلوكنا.

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يعبر عنها بهذه الطريقة: "فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عبرانيين ٩:١٤)، لقد تم تطهيرنا بدمه مرة واحدة فوجد فداء أبدياً (عدد ١٢). ولذا فنحن أحرار من الذنب لنخدم بدافع المحبة.

### الانعزال عن المحبة

من النتائج الأخرى للعيشة تحت الناموس عاطفياً أن ننفصل عن المحبة. إن الناموس عدو لنا، فناموس الله يقول ببساطة، "النفس التي تخطئ هي تموت" (حزقيال ١٨:٤)، والموت هو الانفصال عن الله. وبمعنى آخر فإن تكون تحت الناموس فهذا يعني أن الله لا يحبنا ولا ينشئ علاقة معنا إذا لم نسلك حسبما ينبغي. إذا لم نفعل ما يجب، يقول الناموس، إن الله لن يحبنا.

ولكن الإنجيل يقول إن الله يحبنا سواء عملنا ما يجب أم لا، بل أنه يقول إن الله أحبنا "إذ ونحن بعد أعداء" حتى من قبل أن نهتم بأن نفعل ما ينبغي (روميه ٥:١٠).

لقد تغيرت حياة "جيم" عندما أدرك هذه الحقيقة. لقد كان يحاول جاهداً لسنين عديدة أن يتحرر من أسر سلوك جنسي قاهر، وأخيراً أحضر جيم إلى المستشفى بسبب شعوره بالاكتئاب بعد أن ضبط وهو يتحرش بعاهرة، لقد شعر أنه مكروه تماماً ومدان، وبينما كان يحكي قصته للجماعة توقع منهم أيضاً أن يدينوه بسبب هذا السلوك المعيب والفشل الذريع. ولكنه ذهل عندما وجد أن هذه الجماعة الصغيرة والتي كانت تضم أناساً أقلعوا عن الإدمان قد قبلوه على علاته، لم يحجبوا حبهم عنه لفشله، لقد واجهوه بحقيقة ما فعله وكيف أنه أساء لزوجته وعائلته ولكنهم أبقوا على حبهم له، وقد أثبت قبولهم له أنه العنصر الأساسي المفقود في حياته، وقد ساعده على أن يخرج من تحت عباءة الناموس ويقهر سلوكه المعيب، فاكتشافه أنه لن يكون مكروهاً لفشله غيَّر قلبه.

إذا شعرنا أننا غير محبوبين عندما لا نفعل ما ينبغى عمله، فهذا يعنى أننا لا زلنا تحت الناموس. ومع ذلك فالعهد الجديد يعلمنا أنه لا شئ يفصلنا عن محبة المسيح- إننا نُحب كما نحن، لقد "صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون»(رومية ٥:٢).

وهذا يعنى أن محبة ونعمة الله شئ يمكن أن نقيم فيه ولا يمكن أن ننتقل منه مهما كنا أو مهما فعلنا.

لا يجب أن نشعر أبداً أننا عندما نفشل فى تحقيق التوقعات المطلوبة منا فإننا بذلك نعرض أنفسنا لخطر

فقدان محبة الله من نحونا، طبعاً للخطية نتائج أخرى يجب أن نواجهها، ولكن الانفصال عن محبة الله ليس واحداً من هذه النتائج.

## ازدياد الخطية

إن حقيقة أن الخطية تزداد عندما نكون تحت الناموس هى أحد العواقب المربكة والمدمرة. عندما نواجه شيئاً نريد أن نفعله نقول لأنفسنا إننا يجب أن نفعل هذا الشئ، ومع ذلك فالكتاب يقول إنه عندما تصبح الواجبات ناموساً فإننا سوف نخطئ أكثر، وتعليم بولس فى الرسالة إلى رومية واضح فيما يتعلق بذلك.

«أما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية»(رومية ٥: ٢٠). «فوجدت الوصية التى للحياة هى نفسها لى للموت لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى بها وقتلتنى(رومية ٧: ١٠-١١). وبمعنى آخر، فبولس يعلم أنه إذا شعرنا أن الالتزامات المفروضة علينا هى قوانين لها نتائج شرعية، فإننا سوف نخطئ أكثر وليس أقل. فالناموس سوف ينشئ فينا الرغبة لكى نرتكب المزيد من الخطايا (رومية ٧:٥). وبمعنى آخر، فبولس بحسب المنطق فهذا يبدو مضاداً، كما هو مفروض أن يحدث فعلاً. ليس صحيحاً أنه كلما أخبرنا أنفسنا أننا لا يجب أن نفعل هذا أو ذاك كلمنا أصبحنا أكثر طاعة؟

إذا شعرنا أننا يجب أن نفعل أشياء معينة لأن العقاب ينتظرنا إذا لم نفعلها، فنحن لم «نمت للناموس»(رومية ٧:٤) والناموس سوف يسود علينا، وبمعنى آخر فنفس الوسيلة التى بها نحاول أن نتغير سوف تنتج فشلاً.

إننا لا نقول إن المثل العليا التى تخبرنا ما نفعله سيئة، على النقيض من ذلك فهى صالحة. ولكن إذا اعتقدنا أننا مدانون إذا لم نسلك وفقاً للمثل العليا، فنحن لا زلنا تحت الناموس بالمعنى الشرعي والعاطفي وسوف تزداد الخطية.

## لا ننتفع شيئاً

أي شئ نفعله نشعر أنه من الواجب علينا عمله أو أنه من المفروض علينا أن نعمله ليس بذي فائدة، فدافعنا لعمل هذا الشئ ليس هو الحب. ومع ذلك فالدافع وراء كل الوصايا وكل الواجبات هو الحب. إن الواجبات لها مكانها بالطبع في خطة المحبة: إنها مثل عليا تخبرنا كيف يمكن أن نحب الله والآخرين أكثر، ولكن إذا سلكنا بطريقة معينة لأننا "يجب" أن نسلك هكذا بدلاً من أن نرغب ونريد أن نفعل ذلك، فهذا لا يفيدنا في شئ، فالباعث على عمل شئ ما هو أهم شئ في نظر الله، فإذا كان باعثنا هو الإجبار أو الشعور بالالتزام-واجب-فهو ليس من المحبة (كورنثوس الثانية ٩:٧). وبولس لا يقبل حتى الهدية ما لم تكن تلقائية وليست على سبيل الاضطرار (فليمون ١٢-١٤).

"إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن. وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً وإن أطعمت كل أموالي وإن سلمت جسدي حتى أحترق ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً" (كورنثوس الأولى ١٣: ١-٣).

قد نضحي بأشياء ينبغي أن نضحي بها، ولكن تلك الأعمال تكون بلا معنى ما لم نعط بدافع الحب، فإذا كنا نفعل الشئ لأننا نعتقد أننا ينبغي أن نعمله-لأننا نشعر أننا غير مقبولين لو لم نعمله-إذن فيستحسن أن نوفر طاقتنا. وبسبب هذه النتائج فالتحرر من هذه الالتزامات أمر حيوي. فعندما نتحرر يمكننا أن نحب بحرية، وإن كنا مستعبدين لتلك الواجبات بسبب الشعور بالذنب أو الخوف فنحن لسنا على استعداد للمحبة. علينا أولاً أن نتحرر، فالعبيد لا يحبون لكن الأبناء يحبون.

## الحرية لكي نعيش

إن هذا يبدو أشبه بترخيص لعمل شئ ما، فإذا لم نكن مدانين بسبب ما نفعله أو بسبب هويتنا فلماذا نتعب أنفسنا في محاولة أن نعمل الصلاح؟ لو أن لدينا حرية كاملة فلماذا لا نفعل ما يحلو لنا؟ إنه اعتراض طبيعي على النعمة، فربما تشعر أنك تعترض على الحرية الكاملة التي تحدثنا عنها قبلاً، فكلنا لدينا إحساس قوي بالالتزام بالشرعية القانونية الذي لا يسمح لنا ببساطة أن نؤمن بما يعلمه الكتاب المقدس عن النعمة. فنحن لا نقبل أن تكون النعمة مجانية وكاملة وأننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً لنضيفه إليها بأي طريقة. والكتاب المقدس توقع رد الفعل هذا. يجيبنا بولس هكذا "فماذا نقول. أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة. حاشا. نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها" (رومية ٦:١-٢). إن رد الفعل الكتابي للحرية الكاملة هو الرفض أن نعيش في الخطية مرة أخرى، فمن السخف أن نتحرر ثم نرغب العودة إلى السجن مرة أخرى، في عدد ٤ يقول الرسول بولس "فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة".

لأول مرة تكون لدينا الفرصة لنتحرر من حياة الخطية لنحيا حياة جديدة. لقد خلصنا مما نحن فيه بالطبيعة-الإثم والشر والطمع والحسد والقتل والخصام والمكر والحقد والنميمة وبغض الله والتعظم والادعاء وعدم الطاعة وعدم الحنو وعدم الإيمان وعدم الرحمة وقساوة القلب (رومية ١:٢٩-٣٠). ومن يريد حياة كهذه؟ ومع ذلك فهناك صوت قلق داخلنا يتساءل"ولكن إذا كانت الالتزامات الأخلاقية والواجبات لا تجعلنا منضبطين، فما الذي ينفع؟

إجابة الكتاب المقدس ثلاثية: أولاً-إن محبتنا لله سوف تجعلنا كذلك، فعلاقتنا وصداقتنا به لها التأثير العظيم والفاعلية التي تدفعنا لنكون مثله، وألا نوجه له الإساءة "لطف الله إنما يقتادك للتوبة" (رومية ٢:٤). فنحن لا نريد أن نسئ ونحزن شخصاً نحبه (أفسس ٤:٣٠).

ثانيا: إن محبتنا وعلاقتنا الحميمة التي تربطنا معاً كمؤمنين في جسد المسيح سوف تجعلنا منضبطين، فعندما نحب الآخرين ونرتبط بهم فنحن لا نريد أن نسئ إليهم، ومحبتنا لهم تحصرنا، وكما يقول الكتاب "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أيضاً بهم" (متى ٧:١٢). فهذه العلاقات كفيلة بأن تجعلنا منضبطين. وعندما نخطئ فالآخرون الذين نحبهم والذين يحبوننا سوف يأتون إلينا في محبة ليخبروننا أننا أخطأنا.

ثالثاً: فإننا سوف نعيش حياة بائسة إذا عشنا في الخطية (هذا إذا أنكرنا ذلك)، فنحن عادة نعرف أن طرقنا ليست مرضية، ونمل من الأنماط السلوكية التي تسبب لنا المشاكل في العلاقات وتعود بنا القهقري في الحياة، وعندما ندرك أخيراً أن المشكلة الحقيقية فينا وليست في غيرنا ننضم إلى الرسول بولس في المطالبة بحياة جديدة، فإما أن نختبر الحياة الجديدة، أو نموت على أي حال. فعمل ما ينبغي لا يقلقنا كثيراً، فنحن نركز بدلاً من ذلك على البؤس الذي نعانيه عندما نفشل ي الحياة المسيحية ونفكر في الألم الذي نسببه لأحبائنا. والكتاب المقدس لا يقدم حلاً وسطاً بين هذين الخيارين الحياة أو الموت، فكل منهما حقيقة لا ريب فيها. فالحياة تعني الأمانة والمحبة والمسئولية والصفح والإنجاز وما شابه ذلك، والموت يعني الخداع والانفصال عن الله واللامبالاة وإدانة الآخرين بدون وجه حق وعدم الإنجاز. إن بولس يعبر عن ذلك بالقول: "فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح. لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام" (رومية ٨:٥-٦).

## البحث عن الحياة

عند هذه النقطة يدخل المسيحيون حياة العمق، إنهم مسيحيون مدة طويلة من الزمن ولكنهم جامدون، فقد حاولوا مراراً تغيير نمط سلوكهم وشخصياتهم دون جدوى. فما هو السبب الرئيسي لهذا الفشل؟ لقد كانوا يعيشون وفقاً للوصايا وكان باعثهم هو الخوف والشعور بالذنب والإحساس بأنه ارتكب أشياء معيبة، ومع ذلك يأتي وقت يختبر فيه بعض المسيحيين الحزن الحقيقي، ففي هذه اللحظة يبحثون عن التغيير ليس لأنهم يعرفون ما ينبغي عمله بل لأنهم يبغضون الرياء والشهوة أو عبادة الأصنام في حياتهم، إنهم يشعرون بالاكتئاب عندما يفكرون في ما ينقصهم.

هذه هي بداية ما يدعوه المسيح "المساكين بالروح" مما يقربهم من النعمة بطريقة أعمق عن ذي قبل، إنهم يكتشفون أن عليهم قبول حقيقة أنه بالرغم أنهم لا يستطيعون تغيير حياتهم من تلقاء أنفسهم، فهم على ما يرام في نظر الله، وأنه يرغب في مساعدتهم بالرغم من سوء حالتهم وفشلهم وعجزهم. ثم يبدأون في السماح للآخرين بأن يعرفونهم على حقيقتهم (يعقوب ٥:١٦). ثم يبدأون في التخلي عن التفكير في الذنب ودوامة محاولات الجهود الذاتية لتحسين الصورة ثم يقتربون من نبع الحب المقدم لهم من الله والآخرين. ثم يواجهون مشاكلهم مواجهة شاملة، وهنا يبدأ التغيير. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الشفاء.

إن الباعث الحقيقي الذي يجلب التغيير أن يبغض الإنسان حياته (لوقا ١٤:٢٦) ثم يجوع ويعطش لشئ أفضل "طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون" (متى ٥:٦)، وهذا مخالف تماماً عن الشعور بالذنب الذي يأتي عن طريق محاولة عمل ما يجب عمله بدافع الخوف والذنب. إن الإحساس بالذنب يقول: "إنني في حالة مريعة" والحب يقول "أريد أن أعيش".

## الالتزامات كنماذج

هل الالتزامات صالحة؟ هل تساعدنا؟ إن إجابة الكتاب المقدس بالإيجاب (رومية ٣:٣١)، إن الطريقة

التي يريدنا الكتاب المقدس أن ننظر بها إلى الالتزامات مختلفة تماماً عن الطريقة التي ننظر بها نحن عادة إليها.

فمن الناحية الكتابية فالالتزامات هي ما نحن بحاجة لعمله لكي نحيا، الالتزامات هي الناموس الكامل مرشدنا في الحياة، إنها حقيقة، إن عمل ما ينبغي عمله يأتي بنتيجة معينة كالحياة والصلاح. والكتاب المقدس لا يقول "ينبغي عمل ذلك وإلا فإنك إنسان سيئ" إنه يقول إنك يجب أن تفعل ذلك وإلا فسوف تعاني وتخسر" (كورنثوس الأولى ٣:١٥).

وأخيراً بدأت أفهم ذلك في الكلية، لقد عرفت أني إذا أردت أن أعيش بطريقة تجلب الحياة والصلاح فأنا محتاج لقراءة الكتاب المقدس والصلاة. إن ذلك يساعدني في تكوين علاقة مع الله، تلك العلاقة التي طالما كنت أرغب فيها، ولكني تعلمت أيضاً أني لن أفقد محبة المجتمع المسيحي إذا لم أقرأ كتابي المقدس وأصلي كل يوم.

إن الالتزامات جيدة بمعنى أنها نماذج يمكن بها أن نقيّم الطريقة التي نسلك بها. فوصايا الله ترشدنا في طريق الحياة الأبدية، إنها النور الذي يضئ سبيلنا، فإذا أردنا أن نعيش فناموس الله هو الطريق نحو الحياة، وكما يقول داود: "اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك" و "دربني في سبيل وصاياك لأني به سررت" (مزمور ١١٩:١٨-٣٥). وفي خطة الله فالناموس يقصد به أن يكون المقياس الذي به تقيِّم أنفسنا.

إن الوصايا تساعدنا لنعرف الجوانب المحتاجة للنمو والجوانب المحتاجة للتغيير في حياتنا، ولكن عندما نكتشف الفارق بين حقيقتنا وما نصبو إليه من تغيير فإننا نذهب إلى الله ليساعدنا في الوصول للمستوى الذي نريده. إننا لا نهرب بعيداً عنه مع إحساسنا بالذنب لأننا لم نصل للمستوي الروحي المطلوب، ونحن نختبئ ونشعر بعيوبنا لأننا لا نفعل ما ينبغي. إن الناموس لا يحاكمنا بطريقة قانونية ولكنه يرشدنا بطريقة المحبة. إنه يخبرنا ما نحن بحاجة إليه.

## المشكلة الحقيقية (والحل)

عندما نفعل أشياء لأننا نعتقد أننا يجب أن نعملها أو نقع تحت دينونة، فنحن نحاول أن نفعل ما هو صواب. ولكن عمل الصواب ليس هو الحل المسيحي، لأن ارتكاب الخطأ ليس هو المشكلة، إن ارتكاب الخطأ عرض فقط من أعراض المشكلة، المشكلة الحقيقية هي الانفصال عن الله وعن بعضنا البعض.

لقد ولدنا ونحن بعيدون عن الله لأننا منفصلون عنه وأعداء له (رومية ٥:١٠)، إننا أعداؤه (رومية ٨:٧)، فنحن معزولون عنه وليس لنا علاقة معه. فعندما نعيش منفصلين عن الله فنحن نشبه الموتى الذين يحاولون أن يعودوا للحياة. فالكتاب المقدس يقول إن الموت ليس هو نهاية الحياة، ولكنه الانفصال عن الله مصدر كل حياة. والخلاص بيسوع المسيح يحل هذه المشكلة، فالمسيح يأتي بنا ثانية لنكون في علاقة مع الله. لقد صولحنا مع الله (رومية ٥:١٠، كورنثوس الثانية ٥:١٨-٢١). لقد عادت لنا الحياة ثانية وأصبحنا نحمل ثمار الحياة بدلاً من ثمار الموت. وجوهر الخلاص هو الانتقال من حياة بلا علاقة مع الله إلى علاقة معه،

من كوننا معزولين عنه وتحت ناموس الخطية والموت إلى كوننا ورثة متمتعين بنعمته.

إن القوانين التشريعية ضدنا تخبرنا ما الذي يجب أن نكون عليه وما الذي يجب أن نعمله، ومتى نكون مدانين لأننا لم نفعل هذا أو ذاك. وحتى لو كان سلوكنا مهذباً وعثرنا في بضع خطايا قليلة (وهذا لا يحدث إطلاقاً) فنحن لا زلنا مدانون ومجرمون (يعقوب ٢: ١٠)، فلا شئ من الدينونة على الذين نالوا الخلاص (رومية ٨: ١).

## حياة الحرية

ما شكل الحياة بعيداً عن الوصايا، وبعيداً عن الناموس بالنسبة للعلاقة مع الله؟ دعنا نلقي نظرة على جانبين منها: العلاقات والأداء.

**الحب والعلاقات:**

في جانب العلاقات فكوننا بعيدين عن الناموس يعني أننا أحرار أن نحب. إننا لسنا مضطرين أن نحب الله أو أي شخص آخر (يشوع ٢٤: ١٥). إننا أحرار أن نحب من نريده، ولكن عند النظر في مرآة ناموس الله، ندرك أننا إذا لم نحبه فحياتنا ستكون فارغة، ونبدأ في أن نرى أن الحياة بدون علاقات مشبعة عديمة الجدوى وبلا معنى ويمكن أن تسبب الأذى للآخرين.

إن التحرر من الناموس يعني أن أرى فشلي في الحب كمشكلة خطيرة، كسرطان يسري في روحي، فلا أتذلل مع شعوري بالذنب لأن عندي سرطان، إني لست مداناً لأن عندي مرض السرطان، ولكني أراه كمشكلة خطيرة أحتاج بسببه لعلاج فوري وإلا سوف أموت فأصبح حزيناً ومهموماً بحالتي. إن التحرر من الناموس يعني أن لا أضع الآخرين تحت الناموس، فهم أحرار. أنا لا أدينهم أو أغضب منهم أو لا أبادلهم الحب إذا لم يحبوني بالطريقة التي أريدها. ولذا فكثير من الزيجات شرعية تحت الناموس. فإذا فشل طرف فالطرف الآخر يحكم ويدين ويسحب بساط الحب من تحت قدم الطرف الآخر. إن الطرفين يسلكان بموجب جوهر الناموس. وهو ينتج الموت دائماً، في هذه الحالة، موت العلاقة بين الطرفين. ما الذي يحدث داخلك عندما لا تبادلك زوجتك الحب بنفس الطريقة التي تريدها؟ في نظرك هل هى سيئة؟ إنك تعيش تحت ناموس الوصايا عندما تقول في نفسك "إنها يجب أن تعاملني بطريقة معينة وإلا فهى سيئة".

هذا الموقف تعسفي وأناني ولن يؤدي لاتخاذ قرار منصف. عندما نحب الناس فنحن نعطيهم الحرية المطلقة كما يفعل الله. نحن نقبلهم كما يفعل الله. إنهم ليسوا مضطرين أن يحبوننا، فعندما يفشلون في أن يحبوننا، أو يفضلون ألا يحبوننا فلا يصح ألا نحبهم، يمكننا أن نواجههم ونجعلهم يدركون فشلهم، ويمكننا أن نعبر عن حزننا لاختيارهم، وأحياناً قد نضطر لأن نطلب أن تحل بهم عواقب وخيمة لسوء اختيارهم ولكننا لا ندينهم إطلاقاً.

**الأداء:**

عندما نقيِّم أداءنا فنحن ننظر إلى ما يجب أن نعمله، ولكننا لا ندين أنفسنا، وعندما نفشل فنحن

أصحاب الفشل. وبالنعمة فنحن لسنا بحاجة أن نقف موقف الدفاع لأننا لسنا مدانين. إن الإحساس بالذنب يقول: "عليَّ أن أكون مختلفاً وإذا لم أكن كذلك إذن فأنا سيئ". وبالنعمة تقول: "إنني أرى المستوى وأنا لست على المستوى المطلوب، إنني في مأزق، إنني بحاجة للتغيير إذا كان لابد لي أن أعيش وأحصل على ما أريده. إذا أردت الحصول على نتائج معينة فأنا بحاجة للتغيير"، وهذا أمر يختلف عن التغيير لنتجنب أن نكون سيئين. عندما نعيش بعيداً عن الناموس نبدأ في التطلع إلى مستوى طاعتنا ووكالتنا، فإذا رأينا أنهما أقل من المستوى المطلوب في تقييم واقعي لهما نشعر بالأسى، إننا ندرك أنه ليس هكذا أردنا أن نكون ونبدأ في البحث عن معونة الله لطلب التغيير، وبعبارة أخرى فنحن نجوع ونعطش للبر. ونشعر بدافع للتغيير لأننا نريد حياة مختلفة لأنفسنا ولأحبائنا وبدافع حبنا لله. إن التوبة تأتي بالنتيجة المرجوة إذا كان باعثها الرغبة في الحصول على شئ مختلف، شئ أفضل مما عندنا. والتوبة لمجرد إزاحة الالتزامات من على كواهلنا تفشل دائماً، بل على النقيض فالصلاة وقراءة الكتاب المقدس اللذان يهدفان للبحث عن الله دائماً يصلان للنتيجة المرجوة. قارن طفلين يأخذ كل منهما دروساً في البيانو، واحد يمارس العزف على البيانو لأن والديه يخبرانه أنه يجب أن يفعل ذلك ويشعرانه بالتقصير إذا لم يفعل ذلك، فعندما يترك هذا الطفل المنزل فإنه ينسى كل شئ عن الموسيقى. والطالبة الأخرى تمارس العزف لأنها تريد أن تصبح عازفة بيانو في الحفلات الموسيقية. إن والديها لا يستطيعان منعها من ممارسة التدريب على العزف. إن هذا النوع من الحوافز دائم، وكل عازف عظيم لديه هذا الحافز التلقائي.

## "الاضطرار" مقابل "الرغبة"

إن التحرر من الناموس يعني التغيير من الاضطرار إلى "الرغبة"، وهذا لا يعني أننا نشعر دائماً كما لو كنا نريد أن نفعل ما هو صواب، ولكنه يعني عادة أننا نريد البر. إن يسوع لم يكن يريد أن يذهب للصليب، ولكنه أراد الحصول على ما يمكن التوصل إليه عن طريق الصليب: خلاصنا. وبنفس الطريقة فقد لا نريد أن نقوم بكل ما تفرضه علينا الطاعة من مهام ولكننا نريد المحصلة النهائية لأفعالنا، تلك هي "الرغبة" الحقيقية. إنني أريد المحصلة النهائية "ولذلك فسوف أفعل ما لست أريد أن أفعله في هذه اللحظة الحالية. إن النضوج يتوقع إشباعاً آجلاً. إن الالتزامات تريدنا أن نكون "مضطرين"، فنحن يجب أن نعمل هذا الشئ أو ذاك، وإلا فنحن أردياء، فليس أمامنا خيار. إن الوصايا بالتعامل معها بتلك الطريقة سوف تفشل دائماً. تحرر من الالتزامات فتبدأ الحياة، سوف تكون حراً في أن ترغب في الله وفي حياة الله.

# الافتراض التاسع

# "الشعور بالذنب والخجل مفيدان لي"

"ما فائدة الشعور بالذنب؟". إن عنوان العظة في مجلة الكنيسة لفت نظر "راندي وڤيكي" وهما يجلسان في المقعد، ونظر كل منهما للآخر، ثم هزّا كتفيهما وهما يلتفتان للراعي لسماع عظة الصباح. لقد داوم الزوجان على حضور هذه الكنيسة المخصصة لدراسة الكتاب المقدس في الغرب الأوسط الأمريكي منذ أن انتقل راندي إلى وظيفته الجديدة هناك من الساحل الغربي الأمريكي منذ ثلاثة أشهر، وقد شجعتهما حرارة لقاء الأعضاء في تلك الكنيسة، وكان راعي الكنيسة "جلين" يعلن رسالة الكتاب بطريقة مريحة موضوعية، لقد بدا أنهما وجدا الكنيسة المناسبة بعد رحلتهما الطويلة عبر البلاد من الغرب.

وصباح هذا الأحد أوضح الراعي جلين هذه الفكرة بكل جلاء حين قال: "احذر من الأفكار البشرية المتعلقة بالذنب"، "فالإحساس بالذنب يحدث لأننا مذنبون حقاً. اصغ إليّ جيداً، إن الله يعطينا هذا الإحساس حتى نعرف عندما نخطئ الهدف. فإن أحسست بالذنب فأنت مذنب". تململ كل من راندي وفيكي في المقعد، لم يكونا معتادين على سماع هذه الأفكار من الإنجيل، ومع ذلك فربما يكون هذا صوت الله إليهما. واستمر الراعي يعظ قائلاً: "إن الذنب يحل مشكلة حبنا لأنفسنا الزائد عن الحد، فبدلاً من التركيز على أنفسنا والاعتقاد بأننا أناس مدهشون، فالذنب يوجهنا نحو الجانب المظلم من شخصياتنا، إنه ينبهنا إلى حقيقة نفوسنا لنراها كما هي. إن التركيز على الذنب لا يجعلنا نرتكب الذنوب، ولكنه بدلاً من ذلك يجعلنا أكثر شعوراً بالمسئولية. إن الروح القدس يتكلم إلينا من خلال هذا الشعور. لقد علّم يسوع عن تبكيت الروح القدس في إنجيل يوحنا ١٦:٨ "ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة". فلا تطفئوا الروح القدس.

وبعد أن رجع راندي وڤيكي إلى البيت بعد الكنيسة ظلا يفكران، قال هو "ياعزيزتي إني أشعر أني أردأ حالاً بعد العظة عنه قبلها"، فأومأت ڤيكي بالموافقة وهى تقول: "نفس الشئ بالنسبة لي. ولكن هذا يعني أننا بحاجة أن نعالج مشكلتنا معاً".

فقال لها راندي: "لم أكن أعلم أن لكل منا مشكلة سوى منذ خمس عشرة دقيقة مضت".

## نحن خطاة ولكن

ولكنك قد تسأل "وما الخطأ في ذلك؟. "إننا بحاجة إلى الإحساس بالندم أمام الرب، ألا تعلمنا المزامير ذلك، على الأقل ما جاء في مزمور ٥١:١٧؟. نحن لا يمكننا أن ننكر أن الإحساس بالذنب أمر كتابي.

وبالإضافة لذلك فمن الأمور الشائعة أن نشعر أننا في حال أردأ بعد مقابلتنا للرب. فقد جرب هذا الشعور كل من النبي إشعياء والرسول بطرس (إشعياء ٦:١-٧، ولوقا ٥:٨). إن إدراك خطيتنا يخبرنا بحاجتنا لغفران الله.

ورسالة الراعي جلين تبدو مسيحية ولكن جزءاً كبيراً منها ليس كتابياً، إنها تحمل المسيحيين بالخجل والذنب وهذا لم يكن قصد الله أبداً.

## أين الخطأ

إن هذه العبارة الخاطئة تقول إن الذنب والخجل مفيدان لنا، ونافعان لنمونا الروحي. إن الذنب والخجل يساعداننا بكشف خطيتنا السابقة أمامنا-وهما يمنعاننا أيضاً من أن نخطئ ثانية.

هذا الافتراض الزائف فعّال بصفة خاصة عند أولئك الذين يحترمون الكتاب المقدس، لأن الكتاب المقدس يمكن تحوير معانيه بمكر ليعلم وسائل الذنب والخجل. والعائلات على سبيل المثال عادة تستخدم هذه الوسائل للسيطرة على الأطفال.

كان أستاذي في كلية اللاهوت يقول: "إن الناموس أسهل موضوع في العالم يمكن أن تعظ به" و "النعمة أصعب الموضوعات في الوعظ". فليس صعباً على الإطلاق أن تعلم أن:

١- الكتاب المقدس يقول إننا يجب أن نطيع الله.

٢- ونحن لا نفعل ذلك.

٣- ونحن يجب أن نفعل ذلك.

إن مئات الآيات الكتابية يتم الوعظ بها بهذه الطريقة، والمشكلة الوحيدة هي أنها لا تصلح لنمو المسيحيين روحياً. فمعظم المسيحيين يعرفون من قبل أنهم لا يعملون وفقاً لتعاليم الكتاب المقدس، وهذه الحقيقة لم تستطع أن تحررهم.

إن عظة الواعظ "جلين" مثل على لاهوت الذنب والخجل والذي يسري مسراه في حياتنا لهذه الطريقة:

* "إنك أتلفت الحفلة بالنسبة لنا جميعاً بسلوكك هذا. إني أخجل من مواجهة أصدقائي".

* "كيف أن تكون أنانياً للدرجة التي ترفض فيها أن تسلفني نقودك؟".

* "بعد كل ما عملته لأجلك، لا تستطيع حتى أن تأتي للبيت يوم عيد الميلاد".

* "عار عليك أن تقول لها هذا الكلام".

* "إنك يجب أن تزورهم حقاً، فهم والداك".

* "كل هؤلاء الناس بحاجة لمساعدتك ثم تتركهم لتقضي العطلة؟".

* "ما المفروض أن أعمله إذا لم تستطع أن تذهب؟".

* "كان يجب عليك تنظيف بقايا الأكل من قبل".

أعتقد إن الفكرة مفهومة، فالمتحدث عادة يريد منك شيئاً وهو غاضب لأنك لم توفر له هذا الشئ.

إن رسالة الذنب هى ببساطة الطريقة التي تجعلك تغير رأيك. وكثير من المسيحيين لا يدركون حمل الذنوب الموضوع عليهم في هذه الرسائل. ولمحاولة حل عقدة ذنوبهم فهم يتحدثون إلى أنفسهم بهذه الطريقة:

١- "إني أشعر بالذنب (بسبب ضميري وبسبب شخص يحملني بالذنب أو لكليهما)".

٢- "إني أفترض أني أخطأت".

٣- "لو اعترفت بخطاياي فسوف يغفر الله لي هذه الخطايا (يوحنا الأول ١:٩)".

٤- "إني أعترف وأشعر أني أقل ذنباً".

٥- "سوف أواصل مسيرة حياتي حتى المرة القادمة التي يشعرني فيها شخص آخر بالذنب".

إن المشكلة أننا يمكن أن نشعر بالذنب دون أن نكون مذنبين حقاً. وما جاء في (١ يوحنا ١:٩) ليس حماماً للتخلص من الشعور بالذنب، إنه حمام للتطهير من الخطية، إننا لا نعترف لكي نتخلص من الذنب، ولكن لكي يغفر الله الخطية، ولاسترداد العلاقة معه، هناك خلط كبير فيما يتعلق بما يقوله الكتاب فعلاً عن الذنب والخجل.

## الإدانة الداخلية للذنب والخجل

دعنا نكتشف الأفكار المتعلقة بالذنب والخجل أولاً ثم نزيل الخلط المحيط بهما.

**الذنب:**

للذنب معنيان: حالة ارتكاب الخطأ (إنه مذنب بسرقة جهاز الاستريو). وشعور مؤلم بتأنيب الضمير الناتج من الاعتقاد أننا ارتكبنا خطأ. (لقد شعر بالذنب لأنه لم يحتفل بعيد الميلاد مع الأسرة). فالكتاب المقدس يشير دائماً من ناحية للذنب كحالة وليس كشعور. فليس هناك في الكتاب المقدس وصف للشعور بالذنب. فالكتاب المقدس يصف حالة فعلية لارتكاب الذنب "قد أثمت بدمك الذي سفكت" (حزقيال ٢٢:٤) "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣:٢٣). وكما يعلن القاضي أن متهماً ما مذنب، فالله أعلن أننا مذنبون شرعاً وقانوناً. لقد أخطأنا الطريق نحو البر ونحتاج للحل الذي رتبه الله لنا، الصليب، فحسب الاتهام الرسمي فنحن مذنبون لكسر الناموس. ومن ناحية أخرى فالشعور بالذنب-كشئ على النقيض من حالة الذنب-ناتج أساساً من تأنيب ضمائرنا التي تخبرنا أننا أردياء. إن مشاعر الذنب مؤلمة وتجعلنا دائماً

ننتقد وندين أنفسنا أكثر. إن مشاعر الذنب نابعة عادة من إحساس بأن أعمالنا قد تسببت في إلحاق الأذى بشخص ما. فقد نشعر بالذنب فيما يتعلق بحاجتنا للاتصال ببعض الناس وضياع وقتهم أو قد نشعر بالذنب لأننا تسببنا في إحباط بعض الناس أو قطعنا علاقتنا بهم.

بعض الناس يشعرون بالذنب للتخلي عن بعض الناس أثناء الظروف الصعبة التي يجتازونها أو أثناء فترات الضعف التي تنتابهم. جاءت "أوليڤيا" مثلاً لتستشيرني فيما يختص بإحساس عميق بالذنب قد انتابها لأنها تسببت في شعور زوجها بالإحباط. لقد كان موسيقياً موهوباً، ولكنها لم تكن كذلك. وطيلة سنين عديدة لم يتوان عن تذكيرها بأن قصورها قد حد من الطاقة الكامنة فيه، لقد نسى تماماً لماذا تزوجها في المقام الأول، لقد بدا عليه أنه ما أبداً لاحظ خصالها الرائعة. إن إحساس أوليڤيا بالمسئولية كان مبالغاً فيه للدرجة التي أدت بها للإحساس بأنها قد أضرت بزوجها حقاً.

آخرون يشعرون بالذنب عندما يظهرون موهبة أو مقدرة أكثر من شخص آخر. وآخرون غيرهم يشعرون بالذنب لمجرد وجودهم على ظهر هذا الكوكب وشغلهم حيزا عليه. ليس هناك نهاية للأشياء التي يمكن أن تشعرنا بالذنب.

**الخجل:**

الخجل شعور أليم يجعلنا نشعر بفقدان احترام الآخرين بسبب سلوكنا المعيب، ومع أن الإحساس بالخجل مشابه للإحساس بالذنب إلا أن الإحساس بالخجل له تعريف أشمل في الكتاب المقدس: إنه يعني الحالة والشعور في نفس الوقت. إن الخجل يمكن أن يكون حالة تجعل الآخرين يحتقروننا (أراد يوسف أن يطلق خطيبته الحبلى، مريم، سراً ليتجنب أن يشهرها)، إن الخجل إحساس بالعيب، حالة تجعلنا ندين أنفسنا من الداخل.

وبعض الناس يفرقون بين الكلمتين بالقول إن الشعور بالذنب هو إدانة أنفسنا لما نعمله، بينما الخجل هو لومنا على ماهيتنا، فأنت تشعر بالذنب لأنك تصرخ في طفلك، وتشعر بالخجل لأنك أب سيئ.

وما يهمنا بنوع خاص حقيقة هو أن الشعور بالذنب والخجل كلاهما يصفان حالة من الإدانة أو توجيه اللوم من الداخل، شعور طاغ بالعيب في أنفسنا مبعثه الضمير. وهذه المشاعر قد تكون معتدلة أو متطرفة لحد إيلامنا.

إن الذنب والخجل ينشآن من مصدرين مختلفين. فمثلاً يكون الشعور بالذنب إدراك لحالتنا المدانة-حقيقة أننا مولودون تحت الناموس ومعزولون عن النعمة (رومية ١:٢٠ ، ٢:١٤-١٥)، ويأتي بعض الخجل من الإحساس برداءة وضعنا كما حدث عندما "اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء" (كورنثوس الأولى ١:٢٧).

هذه الأنواع من الذنب والخجل هى ببساطة استجاباتنا العاطفية لحقيقة سقوطنا، إنها مفيدة لنا لأنها تخبرنا أننا بحاجة ملحة للنعمة، وهى محفزة لنا للبحث عن المساعدة والغفران.

ومع ذلك فالذنب والخجل اللذان نركز عليهما في هذا الفصل نابعان من مصدر مختلف، إنهما مشتقان من عمليات تأهلينا الاجتماعي المبكر، والضمير يعمل بمثابة مشرف داخلي لرؤية وتقييم الجيد والسيئ من سلوكنا، فعندما يوافق الضمير نشعر بالارتياح، وعندما لا يوافق نشعر بالذنب والخجل. هذه الآلية التي مبعثها الضمير والبيئة هي سبب المشكلة التي تواجهنا في نمونا الروحي.

## لماذا كانت رسالة "جلين" الواعظ خاطئة؟

أهلاً "بنداء أين الخطأ؟" في رسالة الأحد التي سمعها راندي وفيكي. توجد الأخطاء اللاهوتية الرئيسية في الافتراض القائل إن: "الإحساس بالذنب والخجل مفيدان لي". والآن وبعد أن فهمنا طبيعة كل منهما دعنا نلقي نظرة كتابية على رسالة الراعي "جلين".

### الراعي "جلين" قد ألّه الضمير:

ادّعى الراعي جلين أن الشعور بالذنب علامة على أنك مذنب، وقال: "إن مشاعر الذنب هي الضوء الأحمر العاطفي الذي يخبرك أنك قد أخطأت، وأن الله يتحدث من خلال الشعور بالذنب والخجل، ولذا فلنستمع إليهما." كان "كين" مثال حي على هذا النوع من التفكير، فهو رجل محترف على درجة عالية من نقد الذات، وقد دخل المستشفى بسبب اكتئاب شديد. كان "كين" يحب الناس، ولكن إحساسه الطاغي بالمسئولية قد ساهم بإحساسه بعقدة ذنب مستعصية.

وقد لاحظت وصول عقدة كين للذروة في جلسة العلاج النفسي ذات صباح، لقد ظل الفريق الطبي صامتين طيلة العشرين دقيقة الأولى، وأخذ بعض الأعضاء يفكرون ملياً في العمل الذي تم خلال جلسات الفريق السابقة. وكان البعض الآخر يجلس صامتاً لعدم المقدرة على البدء في الحديث أمام المجموعة، ونظراً لبعض العلاجات التي كان يتلقاها "كين" فقد حضر متأخراً لبضع دقائق، ثم جلس ونظر إليه البعض وابتسموا له، وجلس فريق العلاج الطبي صامتين لمزيد من الوقت، وبدأ "كين" يشعر بالقلق تدريجياً، لاحظته يتململ قلقاً في مقعده وهو يفرك كلتي يديه معاً ويتصبب منه العرق. وأخيراً لم يستطع تحمل المزيد من ذلك الشعور ثم صاح فجأة "إني آسف! إني آسف!".

فسأله أعضاء الفريق الطبي !ما الذي يدعوك لتقديم الاعتذار؟". فقال وعلى وجهه إمارات الخجل: "لقد تسببت في إحباط الفريق. إني أعرف السبب في صمت أعضاء الفريق، لقد عطلتكم جميعاً بتأخيري والآن لا يريد أحد أن يتكلم، إني آسف حقاً!"

لقد كان ضمير "كين" يعاقبه للتأخير، لقد افترض أن حكم ضميره صحيح، وافترض أنه عطل جلسة الفريق الطبي، ولكنه لم يتسبب في ذلك.

إن عدداً كبيراً من المؤمنين مستعبدون لضمير يؤرقهم كما حدث مع "كين"، ولكننا لسنا مضطرين لذلك. دعنا نلقي نظرة كتابية على الضمير.

أول شئ نلاحظه أن ضميرنا هو أحد نواتج السقوط، فلم يكن للبشر دائماً ضمير، فآدم وحواء لم يكن لديهما ضمير لأنهما لم يكونا بحاجة إليه، لقد كانت بينهما وبين الله علاقة مباشرة غير متقطعة. وبالإضافة لذلك فلم يكن مطلوباً منهما التعامل مع الموضوعات الأخلاقية، فمسائل الخير والشر كانت قاصرة على الله وليس على البشر، فقد كان الله يعرف أنه إذا كانت لدينا معرفة الخير والشر فسوف نحوّل العلاقة التي تربطنا بالله إلى علاقة قائمة على قواعد وقوانين، وسوف تتحول تلك العلاقة من علاقة أساسها الحب إلى علاقة تقوم على المسائل الشرعية، فأن تصبح خيّراً وصالحاً أهم من أن تكون ذا صلة بالله.

ولهذا السبب فالشجرة الوحيدة التي منع آدم وحواء من الأكل منها كانت شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢:٩-١٧)، وعندما أكلا منها قال الله "هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر" (تكوين ٣:٢٢). لقد أصبح لدى آدم وحواء معرفة الخير والشر ولكن بدون قوة شخصية الله للتعامل معهما. لقد أبعدا عن الجنة.

وكان هذا الإبعاد عملاً من أعمال الرحمة فعلاً، لقد طرد الله أول زوجين حتى يستطيع فيما بعد أن يحل مشكلة الخطية عن طريق ابنه ولا لكانا قد ظلا مختبئين إلى الأبد بعيداً عن وجه الله في الجنة، ولظل الجنس البشري يتحمل المشقات حتى النهاية بعيداً عن جنة عدن، بعيداً عن المصالحة الكاملة مع الله.

عند هذا المنعطف بدأ الضمير، لقد نشأ كنتاج لافتقادنا العلاقة مع الله، كما بدأنا نستجيب لناموس الخطية والموت الداخلي (رومية ٨:٢). لقد كان نوعاً من التدريب على التمييز بين الخير والشر، لقد أصبح الضمير "معياراً" نحكم به على الصالح والطالح من أفكارنا وأعمالنا ومشاعرنا. إن ضميرنا ليس نائباً عن الله، إنه جزء لا يتجزء من العالم الساقط، الواقع تحت حكم الدينونة، وهذا الحكم الداخلي يجمع ما بين الناموس الذي نقشه الله على قلوبنا (رومية ٢:١٥) وعمليات التكيف الاجتماعي المبكر التي مررنا بها، ولكنه ليس كاملاً.

فمثلاً، بعض الناس الذين لديهم قيم صارمة مثقلة بالذنب سوف يشعرون بثقل وطأة الذنوب في حين أنهم أبرياء. وعلى النقيض من ذلك، فبعض الذين ليس لديهم حاسة الصواب والخطأ لا يشعرون بالندم في حين ينبغي أن يشعروا بذلك. ويصف الكتاب المقدس ثلاثة أنواع من الضمير: الضمير الضعيف، والضمير الموسوم والضمير الناضج.

**الضمير الضعيف (أو غير الناضج):** إن الضمير الضعيف هو ضمير شديد الصرامة، فهو قاض داخلي شديد العقاب يجد الذنب في كل مكان، وهو يتحمل المسئولية أكثر مما قصدها الله كما فعل "كين".

يصف بولس الضمير الضعيف هكذا "أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن. فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس" (كورنثوس الأولى ٨:٧)، وبمعنى آخر فالضمير الضعيف أو غير الناضج يمنع وينتقد ويتهم بلا وجه حق.

**الضمير الموسوم:** إن الضمير الموسوم على النقيض من الضمير الضعيف، فالشخص صاحب الضمير

الموسوم لديه إحساس ضعيف بالندم، فالشخصية السيكوباتية لها ضمير موسوم، فهو لا يستطيع أن يشعر بالشفقة لآلام الآخرين، إنه يعيش وفقاً لقانون الغابة: أن يأكل أو يؤكل. أولئك الذين لهم ضمائر موسومة قد أتوا عادة من عائلات عانوا فيها من ظلم بيّن لدرجة أنهم يعيشون في حالة من الثورة الدائمة أو أنهم قد جاءوا من عائلات لا يربط نسيج الحب بين قلوب أفرادها ، فالناس عندما تصبح بلا ارتباطات أو قيود تصبح آلهة صغيرة في أعين أنفسهم.

إن ذوي الضمائر الموسومة يتحكمون في الآخرين أو يتلاعبون بهم، ويكتب بولس لتيموثاوس ضد الكذبة المرائين الذين أصبحت ضمائرهم موسومة، فيقول عنهم "في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم. مانعين عن الزواج وآمرين أن يُمتنع عن أطعمة قد خلقها الله" (تيموثاوس الأولى ٤: ٢و٣).

**الضمير الناضج:** إن الضمير الناضج يصبح بمرور الوقت قادراً على إصدار أحكام قريبة من قيم الكتاب المقدس، فعندما يتحدث الكتاب المقدس عن "ضمير صالح" (أعمال ٢٤: ١٦، عبرانيين ١٣: ١٨، بطرس الأولى ٣: ١٦) ، فهو يعني شخصاً يستخدم رقيباً داخلياً مدرباً كتابياً يعمل كمنذر أو مرشد، وأن يكون لك ضمير صالح لا يعني أنك كامل بل يعني أن ضميرك يعينك على إصدار أحكام كتابية على تصرفاتك. ولأن ضمائرنا مخلوقة على صورة الله كجزء لا يتجزأ من السقوط فهي تتغير وتنمو بنمونا ، فإذ ندرب الضمير على النضوج يمكننا أن نثق فيه أكثر، ولكنه قابل للخطأ بالتأكيد ، ومعادلة الضمير بالله يعني مساواة رئيس أحد المذاهب العقائدية بيسوع المسيح.

**الراعي "جلين" خلط بين مشاعر الذنب والحزن الإلهي:**

والخطأ الثاني فيما يتعلق بما قاله راعي "ڤيكي وراندي" هو أننا بحاجة للتركيز على الذنب. إن إحساسنا بالخطأ ضروري بالتأكيد للتوبة. ولكن الراعي "جلين" كان يصف شيئاً مختلفاً عن ذلك.

إن مشاعر الذنب تركز على سوء حالتنا ، إنها تركز على مشاعرنا بعدم أهليتنا وعلى ما نستحقه من عقاب، إنها منغلقة على الذات وليست منفتحة على الآخرين. فالذنب لا يدفعنا للتحرك نحو إنشاء علاقات مع الآخرين بل على الانغلاق على أنفسنا.

والحزن الإلهي رد فعل أفضل تجاه إحساسنا بخطايانا:

"الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكي لا تتخسروا منا في شئ لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة. وأما حزن العالم فينشئ موتاً. فإنه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله كم أنشأ فيكم من الاجتهاد بل من الاحتجاج بل من الغيظ بل من الخوف بل من الشوق بل من الغيرة بل من الانتقام. في كل شئ أظهرتم أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الأمر" (كورنثوس الثانية ٧: ٩-١١).

هنا يعلّم بولس الفرق بين الحزن الإلهي (الندم) وحزن العالم (الشعور بالذنب)، فالحزن الإلهي متعاطف

مع الآخرين يركز على الأذى الذي تسببنا فيه لشخص نحبه، ونشعر بالعيب لأننا نحس بألم الشخص الذي آذيناه.

إننا هدامون، فنحن نغضب الله ونسئ له: لقد أساءوا إليَّ بقلبهم الزاني الذي حاد عني" (حزقيال ٦:٩)، ونحن نسئ لبعضنا البعض: "فمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم في طرقهم اغتصاب وسحق" (رومية ٣:١٤-١٦).

إن الندم الإلهي يبحث عن الشفاء، ولتعويض الذين أسأنا إليهم. فمن أهدافه المصالحة وإصلاح ذات البين، ولكن على النقيض من ذلك، فالشعور بالذنب يبحث عن تبرير الذات، إنه يحاول أن يتخلص من المشاعر السيئة.

إن يهوذا قد أظهر حزن العالم أو الشعور بالذنب، فعندما شعر بالندم حاول أن يرد الثلاثين من فضة إلى الكهنة والشيوخ، لقد كان أكثر اهتماماً بأفعاله السيئة عنه باستعادة علاقته بيسوع. وكان من نتيجة حزن العالم هذا أنه قتل نفسه (متى ٢٧:٣-٥).

ففي المرة القادمة عندما نخطئ الهدف، فتش عن استجابتك العاطفية، فإن كانت تركز على العيوب التي فيك، فعواطفك هي حزن العالم، ولكن إذا كانت استجابتك تركز على محبة قريبك كنفسك فعلى الأرجح فهي الحزن الإلهي.

فعلى خلاف الحزن الإلهي فالشعور بالذنب يحجب عنا شيئين ثمينين:

**أولاً: فالشعور بالذنب يمنع المحبة:** فالمشغولون من قبل الشعور بذنبهم قد يبدو عليهم أنهم ودودون، ولكن عندما تحاول أن تتحدث معهم تراهم مستغرقين في آلامهم الشخصية، وهم يعملون جاهدين للتخلص من مشاعر الذنب بأكثر مما يعملون للإحساس بآلام الآخرين.

فعندما يقول زوج لزوجته (كما فعل أحد الأزواج الذي أعرفه): "إني ما زلت زوجاً لك لأني لا أستطيع تحمل وزر تركي لك". فمن الواضح أنها لا تستطيع أن تتجاوب معه، فمثل هذا الزوج أكثر انهماكاً بعدم إيقاع الأذى بنفسه من إعزاز زوجته وتقديرها.

إن الناس الذين تحركهم دوافع الشعور بالذنب يخافون من الوقوع في الحب، فهم يقدمون أنفسهم عن اضطرار لا بسرور (كورنثوس الثانية ٩:٧). إنهم يعملون أشياء محببة لتجنب الإحساس بالذنب لا لأنهم يريدون عمل ذلك.

تأمل السيناريو الآتي للأحداث: أنت تعمل خططاً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في رحلة مع صديقة عزيزة. فقبل الرحلة بأسبوعين تتصل بصديقتك لتؤكد خططك، فتقول لك هذه الصديقة: "لا تقلق-لن أنسى هذه الرحلة. فلو نسيت لكرهت نفسي، فمسئوليتي أمام أصدقائي شئ هام جداً بالنسبة لي، فأنا لا أحب أن أخذلهم".

إن تعليقاتها لا تؤكد أنك صديق مرغوب فيه، فهي أكثر اهتماماً بتجنب الإحساس بالذنب أكثر بقضاء الوقت معك، ومع ذلك فهذا هو الاتجاه الذي يدور في رأس الكثيرين من الأفراد الذين يشعرون بالذنب كثيراً. فالمحبة ليس لها مكان في قلوبهم. فالأفعال التي يكون دوافعها الرغبة تختنق تحت دخان الأفعال الاضطرارية.

**ثانياً: الشعور بالذنب يمنع النمو الروحي والعاطفي:** إن الناس لا تتقدم تقدماً عاطفياً حقيقياً ما لم يتغلبوا على مشاعر الذنب. وهناك عدة أسباب لذلك:

١- إن الناس الذين يشعرون كثيراً بالذنب يخافون من إظهار نفوسهم على حقيقتها لأنهم يخافون المزيد من الإدانة، ولذا فإنهم يظهرون بخلاف ما يبطنون، ويدفنون نفوسهم الجريحة داخل ذواتهم، وهذا أمر شائع في الأوساط المسيحية حيث تدرس رسالة الشعور بالذنب: فالإنسانة المقهورة والمكتئبة تبدأ في الظهور بمظهر الإنسانة السعيدة حتى تجعل مساعديها سعداء. وبعد فترة قصيرة مع ذلك تنهار-وهي عملية يفسرها المساعدون بأنها "ارتداد" أو "نكوص"، وفي الواقع، فإن نفسها الجريحة قد ظلت مخفية وقد تضخمت المشكلة داخلها كالسرطان.

٢- إن الناس الذي يشعرون بالذنب كثيراً هم تحت الناموس عاطفياً: هم ليسوا صادقين فيما يختص بضعفاتهم لأنهم يخشون أن يفقدوا الحب، فهم يخشون أن الاعتراف بالفشل سوف يجلب الإدانة والانفصال عن الله والآخرين. والناس الذين يصابون بالإحباط دائماً في محاولاتهم ليكونوا كاملين يبدأون في الهياج من الداخل. إنهم لا يستطيعون الوفاء بالناموس ولا يستطيعون إرضاء ضمائرهم المتعبة، إنه غير ذي جدوى. إن ثمار هذه المحاولات هي الغضب (رومية ٤:١٥).

٣- الذين يشعرون بالذنب أكثر اهتماماً بأن يكونوا بخير وأحرار من الخطية (وهو شئ مستحيل في حد ذاته) من اهتمامهم بالتقدم الروحي. إنهم يركزون على الأسئلة: هل أنا بخير؟ هل أنا خاطئ؟ هل أنا سيئ؟ بدلاً من الأسئلة: هل أنا وثيق الصلة بالآخرين؟ هل أنا صادق؟ هل أنا أتعلم من أخطائي؟. وعندما نركز على أن نكون بخير نتحرك في دائرة الاستغراق في الذات والإكراه على الالتزام بالقوانين، ونبتعد عن القرب من الآخرين والألفة والعلاقة مع الله والآخرين. فأنت لا تقترب كثيراً من شخص تعتقد أنه ممسك بمضرب كرة البيسبول فوق رأسك.

**الراعي "جلين" خلط بين التبكيت والشعور بالذنب:**

بعد أن تركت الكنيسة ذات صباح استرقت السمع لحوار بين صديقين. قال أحدهما "لقد شعرت حقاً بتبكيت الروح أثناء العظة"، و "أنا أشعر الآن بأني مذنب للدرجة أني أعتقد أن هذا صوت الله".

إن هذا التعليق شبيه بالمشكلة الثالثة في الرسالة التي سمعها راندي وفيكي صباح يوم أحد، فمع أن راعيهما استشهد بما جاء في (يوحنا ١٦:٨) كإشارة للشعور بالذنب، إلا أنه لم يفهم الفرق بين عمل الله وعملنا نحن. عندما قال يسوع إن الروح القدس سوف يبكت العالم على خطية، كان يصف دور الروح القدس في الخلاص، ولكنه لا يملي علينا استجابتنا، فالإحساس بالذنب والحزن الإلهي والعصيان أو اللامبالاة ليست منه، إنها أشياء نابعة منا نحن.

فالشخص الذي ذهب إلى الكنيسة وكان تعليقه هو الذي استرقت السمع له، كان من المفروض عليه أن يقول: "عليَّ أن أفكر إذا كان الشعور بالذنب الذي أحس به هو استجابة لله أو لوالدتي التي تنتقدني كثيراً".

## هل الشعور بالذنب دائماً جيد؟

هناك شئ جيد فيما يتعلق بمشاعر الذنب: إنها قد تكون علامة على النمو الروحي، فعدد كبير من الذين يشفون من مشاكل عاطفية تنتابهم نوبات من الشعور بالذنب. فتركهم لطرقهم الرديئة القديمة والتصاقهم بالأفكار الجديدة والناس ينشط ضمائرهم المتحكمة فيهم والتي تبدأ تمطرهم برسائل قائلة لهم: "إنكم أردياء" في محاولة منها لوقف ثورة الحرية الكتابية. إن مثل هذه الضمائر تلغي حريتك. إن الضمير اللوام يريد أن يجعلك عبداً لوصايته، إنه يريدك أن تلتزم بفكرته عن الصلاح وليس بفكرة الكتاب المقدس عنه.

فإذا كنت تتماثل للشفاء وتبدأ في التجاوب مع حاجاتك الروحية في الانتماء للآخرين والمسئولية والصفح-وفي نفس الوقت تجد هجوماً لا هوادة فيه من ضميرك-فلتفرح! فأنت تفعل ما هو صواب. إذن فلتبحث عن الأصدقاء الذين سوف يقدمون لك يد المساعدة في التعامل مع مشاعرك.

## ما الذي يمكن أن تعمله؟

إن كانت دوافعك هي الشعور بالذنب أو الخجل فلا يمكن أن تكون مدفوعاً أيضاً بالمحبة، فالضمير الصارم، والضمير الذي يشعرك بالذنب ليس من الله. اطلب من الله أن يساعدك لتجد الناس الذين يمكن أن يأخذوك من حالة الشعور بالذنب والخجل إلى المحبة واتبع هذه الخطوات:

١- اعترف بالذنب-فقد يكون قد نشأ فيك نتيجة علاقاتك الشديدة الصرامة ولكنها الآن مشكلتك، ويمكنك عمل شئ بخصوصها.

٢- انضم إلى جماعة تقدم لك العون، جماعة تهتم أكثر بعلاقاتك أكثر من تجسيد خطاياك، جماعة تفهم أن "لطف الله إنما يقتادك للتوبة" (رومية ٢:٤).

٣- ابحث عن المكان الذي تعلمت فيه رسائل الشعور بالذنب.

٤- لتدرك سر غضبك.

٥- فلتعفو عن من تحكموا فيك.

٦- تعلم معلومات جديدة لتعيد تعليم ضميرك من الكتاب المقدس ومن كتب أخرى.

٧- ادمج أصواتاً جديدة من جماعتك المؤيدة لك، فالشعور بالذنب لا يمكن القضاء عليه بمجرد إعادة تدريب عقلك. إنك بحاجة أن تستبدل أصواتاً مرحبة بك بأصوات كثيرة الانتقاد لك.

٨- لا تقاوم الحزن. دع الآخرين يواسوك ويحبوك أثناء شعورك بالحزن "وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه. لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شئ" (يوحنا الأولى ٣:١٩-٢٠).

# الافتراض العاشر

# "لو كانت اختياراتي صحيحة لنَمَوت روحياً"

إذ كانت "لورا" تسمع إلى العظة في صباح الأحد كانت تزداد اكتئاباً. ولأنها كانت يائسة نظراً لجوانب كثيرة في حياتها جاءت إلى الكنيسة تبحث عن الأمل. ها هي لورا البالغة من العمر أحد وثلاثين عاماً تعاود الانغماس في علاقة رومانسية أخرى مؤذية لها، لقد كانت لورا عاجزة عن الصمود أمام فتاها الذي كان يستغلها بطريقة حقيرة ويسيطر على حياتها. وفي كل مرة كانت تصمم على مواجهته لإيقافه عند حده كانت قواها تخور وتتراجع. وفضلاً عن ذلك كانت تنام معه مع أنها كانت تشعر بالخجل لذلك، لقد قيل لها مراراً كثيرة إن الرجال الذين يدفعونها لمخالفة القيم ليسوا هم الرجال الذين يمكن أن تعتمد عليهم لإقامة صرح علاقة طويلة الأمد. ولكنها لم تكن تستشعر في نفسها قوة الإرادة لتقول لا.

وكانت لورا ضعيفة الإرادة في نواحي أخرى أيضاً في حياتها، فكلاعبة تسير وفق نظام معين في الأكل حاولت مراراً وتكراراً أن تتبع هذا النظام وأن تمارس التمرينات الرياضية، ولكنها لم تستطع أن تكمل ما بدأته، ولم تكن تستطع تحمل والدتها التي كانت لا تزال تحاول أن تتحكم في حياتها . لقد كانت تعلم أنها يجب أن تعيش حياتها، ولكن لم يكن عندها قوة الإرادة لتقاوم احتكار والدتها لها.

في صباح ذلك الأحد ذهبت لورا إلى الكنيسة وهي في شوق للحصول على بعض العون. وأنهى الخادم عظته بالقول: "الأمر يتوقف على الاختيارات. إن الناس تختار أن تفعل ما يريدون أن يعملوه، فإذا أردت أن تخدم الله حقاً وأن تحيا حياة روحية فسوف تفعل ذلك، سوف تكف عن فعل الخطية وتختار الاختيارات الصحيحة، وبإرادتك سوف تختار طرق الله وتفضلها على طرقك. اخرج من هنا اليوم واختر الاختيارات الصحيحة".

هنا شعرت لورا بألم دفين في قلبها، لقد سمعت كل ذلك من قبل وحاولت أن تختار الاختيارات الصحيحة سنين عديدة، ولكن مهما حاولت لم تكن تجد في نفسها قوة الإرادة لتختار ما كانت تعرف أنه الصواب، فإذا كان ذلك كل ما يمكن أن يقدمه الله لها فهي إذن بلا أمل. خرجت من الكنيسة وقادت سيارتها في يأس نحو منزل صديقها، فهو على الأقل سوف يؤنس وحدتها.

قال مقدم برنامج "محاربة الإدمان": "كل ما عليك أن تقول لا"، إن المشرفين على البرنامج كانوا يعتقدون أن مجرد أن تقول لا فيه الإجابة الشافية على مشكلة الإدمان. وآمن آخرون غيرهم بنفس الفلسفة فيما يختص بمشكلاتهم، كالغضب والشهوة والاكتئاب والإدمان. إنهم يقولون إذا كان لدينا مشكلات فنحن ببساطة نختار

اختيارات خاطئة، وما نحتاجه لتصحيح الموقف كما يقولون أن نفهم ما هى الاختيارات الصحيحة ثم نتخذها. فإذا آمنت بذلك بحق فالحياة تصبح بسيطة حقاً، كل ما نحتاج أن نعرفه هو ما هو الحق ثم نتبعه. فالمعرفة وقوة الإرادة هما مفتاحا النمو الروحي، وسبب النمو الروحي إذن هو القيام بالاختيارات الصحيحة.

إن هذا الكلام يبدو مسيحياً، فالكتاب المقدس لديه الكثير ليقوله عن الاختيار، فيسوع شجع بني إسرائيل على الاختيار الصحيح: "وإن ساء في أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون إن كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين في عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم،وأما أنا وبيتي فنعبد الرب" (يشوع ٢٤:١٥).

ليس لدينا أي اعتراض بالتأكيد فيما يختص بما عمله يشوع حين أتاح للشعب فرصة الاختيار، فنحن بحاجة لنختار من نعبد، وهذا الاختيار له مدلول أبدي. إن المشكلة التي رأيناها في الافتراض الثامن أن الحياة الروحية ليست بهذه البساطة. فالنمو الروحي أو التقديس لا يكتمل في اليوم الذي فيه نختار الله. نعم يمكننا أن نختارالله، ولكن يمكننا في نفس اللحظة أن "ندمر" اختيارنا بصفة دائمة. أي أننا نختار عكس ما تعهدنا أن نفعله.

وهذا يحدث بصفة متكررة في الحياة اليومية، فأنت تختار أن تسير وفقاً لنظام معين في الأكل، ولكن بعد مضي ثلاثة شهور تجد نفسك أثقل وزناً. وأنت تختار أن تهدأ لبعض الوقت، ولكنك تشعر بالاهتياج عندما تتجاهل زوجتك الجزء الأخير من مزحتك، وأنت تختار وقتاً مناسباً لتصلي فيه ولكنك لا تستطيع الاستيقاظ مبكراً من النوم. فالنصيحة القائلة "قل لا فقط" قد فشلت لأن التعليم القائل إن قوة الإرادة هى الحل تعليم بشري وليس كتابياً. إن قوة الإرادة تفشل ومع أفضل النيات نختار شيئاً محدداً (كعمل من أعمال الإرادة) ثم نفعل العكس، وبدلاً من أن نقول لا، نجرب ما فعله الرسول بولس حين قال: "لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل" (رومية ٧:١٥).

لذا فهذا التعليم الخاطئ يقول: "لو قمت بالاختيارات الصحيحة سوف أنمو روحياً"، وإذا كان القيام بالاختيارات الصحيحة هو رجاؤنا الوحيد إذن فنحن بلا رجاء حقيقي، فاختبار بولس واختبارنا يكشف عجزنا عن أن نقول لا.

## لماذا تفشل الاختيارات؟

لماذا تفشل الاختيارات الصحيحة التي نقوم بها؟ إنه يبدو روحياً ومسيحياً، فلماذا لا يعد أمر كتابي أن نختار طريقنا نحو الصحة؟ لماذا لا نستطيع أن ننمو بإرادتنا؟

يعلّم كثير من المسيحيين أننا إذا استطعنا أن نغير سلوكنا فسوف تتغير مشاعرنا تبعاً لذلك، فيقولون لنا إننا إذا تصرفنا بحب تجاه من نكرههم نبدأ نحبهم حباً حقيقياً. اختر ما هو صحيح-سواء كنت تحبه أولاً- وعندئذ وحتماً سوف تبدأ في أن ترغب ذلك الشئ الصحيح. أحياناً يحدث هذا، ومع ذلك فما يحدث كثيراً ألا يستمر الالتزام المبدئي للشخص أن يفعل ما هو صواب، ثم يبدأ في التراجع أو النكوص عن هذا الالتزام

حتى يعود إلى النقطة التي بدأ منها-أو أردأ من ذلك. والنكوص عادة يحدث فيما يعرف بأنه سلوك اضطراري، فلو اعتاد شخص أن يتصرف تصرفاً معيناً من ناحية الجنس أو الإفراط في الطعام أو إدمان المخدرات أو الإفراط في الشراب قد يختار أن يكف عن ذلك، ولكنه حتماً سوف يعود لنفس الحلقة الشريرة- بالرغم من تعهداته بالتوقف عن تلك الأفعال أمام الله ونفسه والآخرين.

دخل (أيك) وهو راعي لإحدى الكنائس في الدائرة الشريرة للعلاقات الجنسية غير المشروعة، فكان يعظ عن الطهارة في إحدى الليالي وينخرط في علاقات جنسية محرمة في الليلة التالية، وعندما اكتشف مجلس إدارة الكنيسة من الشيوخ ذلك أعطوه إنذاراً نهائياً: إما أن تعجل بحضور جلسات للاستشارة بخصوص حالتك وإما أن تستقيل.

تحدث (أيك) كثيراً في البداية معلناً أسفه العميق على ما بدر منه، وأنه كان يشعر بالخزى لسلوكه المعيب، وتعهد بأن يتغير ووعد ألا يفعل ذلك مرة أخرى، ثم واجهه الجميع قائلين:

"نحن لا نعتقد أنك سوف تتغير على الإطلاق، إنك سوف تستمر في علاقاتك غير اللائقة".

قال أيك "ولكن هذه المرة فأنا أعني ما أقول، سوف ألتزم بما أتعهد به، لقد قمت ببعض الاختيارات السيئة فقط".

قال (أيك) ولكن هذه المرة فأنا أعني ما أقول، سوف التزم بما أتعهد به، لقد قمت ببعض الاختيارات السيئة فقط".

"وما الذي يجعلك تعتقد أنك لن تفعل ذلك مرة أخرى؟".

"حسناً، لأن هذه المرة فإنني جاد حقاً في رغبتي في التغيير، إني سوف ألتزم حقاً بما أقول".

"ألم تكن جاداً حقاً في كل المرات السابقة؟"، إنك كنت تتأسف لما حدث في كل مرة سابقة وتعد بالتغيير، ولكن هذا لم يحدث. وإذا لم تفعل شيئاً سوى أن تختار التغيير فلماذا نعتقد أن الأمر سيكون مختلفاً هذه المرة؟".

شعر "أيك" أنه مكتئب وابتدأ يدرك أنه سوف يكرر نفس الخطأ إذا لم يعمل شيئاً مختلفاً، ولكنه لم يعرف ماذا يفعل. ولم ير أمامه أي اختيارات سوى أن يحاول أن يقدم تعهداً أقوى في المستقبل.

ما الخطأ الذي ارتكبه أيك؟ لماذا لم تنجح مجهوداته وتعهداته؟ وابتدأ يدرك أنه بالرغم من أنه كان يرغب في التغيير إلا أنه كان يريد أشياء أخرى أيضاً بشدة، أشياء كان ينكرها، هذه الرغبات كانت متأصلة فيه كلما شده باعث إليها. لقد كان يرغب رغبة عارمة أن يكون مقبولاً وأن يعجب الناس به، وهذه الرغبة لم تكن تلق استجابة داخل نطاق كنيسته، لقد أراد أن يسيئ لزوجته لأنه كان يكره نقدها المتعلق بطريقته في التعامل مع الأمور المالية في البيت، وأراد عصيان الالتزامات الروحية التي كان قد التزم بها ثم كرهها الآن. كل هذه الدوافع أنتجت ثماراً مرة دمرت حياته. وبالاختصار فقلب "أيك" لم يستجب لفكرة اللاهوتي وإرادته الواعية

أساساً لأنه لم يكن هناك مكان لقلبه في فهمه لإرادته، والكتاب المقدس يوضح أن الإرادة لا تنفصل عن بقية كيان الإنسان، فنحن نفعل الأشياء بكياننا كله، وليس بإرادتنا فقط أو بعقلنا فقط. وأعظم وصية تكشف لنا هذه الحقيقة: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك" (متى ٢٢:٣٧). إن يسوع يرسم صورة للإنسان المتكامل الشخصية، الذي يسلم كل ما عنده لله وليس إرادته الواعية فقط.

كان "أيك" يعوزه تكامل الشخصية، لقد اختار بإرادته أن يتوقف عن ممارسة الجنس ولكن اختار بقلبه أن يستمر، فما لم تكن إرادتنا نابعة من كياننا كله، أي من عقولنا وقلوبنا فاختياراتنا سوف تكون قصيرة الأمد لأننا سوف نفعل في النهاية ما تختاره قلوبنا. إننا منقسمون من الداخل، والله يواجه هذا الانقسام قائلاً: "هذا الشعب يكرمني بشفتيه أما قلبه فمبتعد عني بعيداً" (متى ١٥:٨)، فإذا فشلنا في احتواء الصراع، فالجزء الذي لا نمتلكه من كياننا سوف يدمر اختيارنا.

أخيراً تعلم "أيك" أن يعترف لله والآخرين بما كان يعتمل في قلبه، وعندما كان أميناً مع نفسه وجد أن رغباته متصارعة، فلم يسبق أن واجه حقيقة الظلام الكامن في قلبه، واعترف أن جزءاً منه لم يكن يريد أن يخدم الله بالمرة، لقد كان هذا الجزء يبغض الله. كان لديه الكثير من الألم والحزن الذي لم يواجهه أبداً، وكان يحاول أن يسيطر على هذا الألم بالممارسات الجنسية غير المشروعة. إن ذاته الحقيقية لم تكن في علاقة مع الله أو الآخرين بالمرة، ولذا فقد كانت لهذه الذات حياة مستقلة، لقد دفعته هذه الذات ليسلك اتجاهاً مخالفاً تماماً للاتجاه الذي كان عقله يوجهه نحوه.

## الصراع الداخلي

إن عقولنا ونفوسنا وقلوبنا في صراع مع بعضها البعض، ونحن لا نحب أن نواجه الصراع داخل نفوسنا، قد نعرف ما هو صواب وما هي قيمنا، ولكن توجد في قلوبنا محبة دفينة وعواطف متأججة لبعض الناس ولبعض الأشياء التي تتعارض مع قيمنا. ولهذا السبب فالكتاب المقدس دائماً يطلب التغيير من الداخل لا مجرد القيام باختيارات صحيحة.

كانت لـ "ستان" مشكلة متعلقة بطاعة رئيسه، لقد أراد أن يؤدي عمله جيداً ولكنه رغماً عنه كان يتلف أفضل النوايا عنده، فتقابل مع رئيسه لعقد لقاءات يمكن أن يعيدا فيها النظر في أهداف "ستان"، كان ستان يطمح في البداية لتحقيق هذه الأهداف–وعلى أي حال فقد حصل على أجر إضافي للأداء الجيد–ومع ذلك فبعد وقت قصير من هذه اللقاءات، ابتدأ يؤجل ولا يفي بالتزاماته، ولم يحصل على العمل الذي كان يطمح فيه. ولذا فقد أتى لاستشارتي وقال لي: "إني لا أعرف لماذا أفعل ذلك. فأنا ارغب بحق أن أفعل ما هو مفروض مني أن أفعله. إني بحاجة فقط لاختيارات أفضل"، فسألته "ماذا تعني بالاختيارات الأفضل؟" فقال لي: "الاختيارات التي ترضي الله وتساعدني في الوصول لما أصبو إليه، الاختيارات التي تحقق ما أريد أن أحققه".

"وما الذي يجعلك تعتقد أنك لا تفعل ذلك الآن؟".

"ماذا تعني؟ بالطبع أنا لا أحقق ما أريد أن أحققه".

"إني لست متأكداً، فربما توجد أشياء تريد أن تحققها بخلاف أهدافك أو أهداف الشركة؟".

"مثل ماذا؟ فهل سلوكي يدمر مستقبلي الوظيفي؟".

فقلت له "نعم هو كذلك. ولكن ربما يكون مستقبلك الوظيفي ليس أهم شئ بالنسبة لك، أعتقد أن هناك شيئاً آخر أكثر أهمية بالنسبة لك من إنجاز أهدافك في العمل".

"مثل ماذا؟".

"إنك أكثر اهتماماً بأن تشعر أنك متحكم في نفسك بحيث لا يمكن لأحد أن يسيطر عليك، وفي العمل تشعر أنك في مرتبة أدنى من رئيسك، وأنت تمقت ذلك الإحساس، ولذا فإنك تقاوم ما يريدك أن تفعله حتى أنه بالرغم من فشلك فهذا لا يعني أنك غير مسئول".

"فأنت أصلاً تكره السلطة كثيراً حتى أنك لست على استعداد لتقبلها في حياتك، وهي مؤلمة بالنسبة لك كثيراً، ولكن هذا التوجه يمنعك أيضاً من التعبير عن مشاعرك القديمة التي لم تتخذ قراراً بشأنها بخصوص الانحناء لذوي السلطة، ولذا فالذي لم تعرفه حقاً وتعترف به هو أن تلك الشخصيات العنيدة والممسكة بالسلطة هي هدف أهم بالنسبة لك من جمع المال. فأنت بعقلك تعرف أن عمل الشئ الصحيح سوف يساعدك، ولكن توجد في قلبك كراهية كبيرة للسلطة ولذلك فقلبك يتحكم في القيم التي تؤمن بها. وحتى تتعامل مع ذلك الصراع فأنت سوف تستمر في تحقيق مكاسب عن طريق الخسارة". ستان لم تكن لديه فكرة عن كيفية التعامل مع مشاعره وأمانيه المتصارعة، فمنذ فترة المراهقة كان في صراع مع ذوي السلطة. ومن الخارج كان يبدو ولداً طيباً يوافق أن يعمل ما يطلبه أولئك الذين في موقع السلطة لأنه كان يريد موافقتهم، ولكنه كان يحبطهم بأدائه النهائي. .لقد كان يخدع نفسه بالاعتقاد أنه أراد أن يرضي والده وذوي السلطة الآخرين حتى أنه نسى مشاعره المتضاربة تجاههم. وكنتيجة لذلك قد كان متجاوباً من الناحية الظاهرية ولكنه كان مصمماً من الداخل ألا يتحكم أحد فيه. وكان الكيان الداخلي ينتصر دائماً. "لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة" (متى ٧:١٨)، فمهما حاولت الشجرة الرديئة أن تأتي بثمر جيد فهي لا تستطيع، وهذا ما يمكن أن يحدث للمؤمنين الذين يحاولون أن يختاروا ثمراً جيداً، ولكنهم لم يدخلوا في مواجهة مع الجوانب السيئة من قلوبهم. لقد قدم يسوع إجابة أفضل من نموذج "الاختيارات الصحيحة"، لقد طالب بتغيير الشخصية: "اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً. أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً، لأن من الثمر تعرف الشجرة...الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور" (متى ١٢:٣٣-٣٥).

إن الإنسان الداخلي يفرض ما نختاره في النهاية، فإن كان هناك مرض في قلوبنا، فمهما بذلنا من محاولات للقيام باختيارات صحيحة فلن ينتج ثمراً جيداً فينا. إننا يجب أن نتعامل مع الأشياء التي في الداخل والتي تطرد اختيارتنا. إن "ستان" كان بحاجة للتعامل مع الدوافع القلبية الدفينة في القلب، كان عليه

أن يعترف بكراهيته لأبيه وللأشخاص من ذوي السلطة، وكان عليه أن يسامحهم ليعترف بخطية العصيان والتمرد وللبحث عن الغفران ليجد العناية والتشجيع من المسيحيين الآخرين لملء الفراغ الداخلي الذي لم يستطع والده أن يملأه، كان عليه أن يواجه حزنه بشأن ما كان يريده دائماً من أبيه ولم يكن يحصل عليه.

وكان عليه أن يواجه مخاوفه من الفشل وأن يتخذ خطوة إلى الخارج ويجرب أشياء جديدة. إن تجنب المسئولية قد أحيا فيه خيالاته وأوهامه أنه يعرف حقا أكثر من كل رؤسائه، فالذين يؤجلون اتخاذ القرارات لا يمكن إثبات أنهم مخطئون أو أقل من الذين قاموا بتنفيذ الأعمال، لأنهم يستطيعون الجلوس ثم يقومون بالانتقاد السلبي. كان على "ستان" أن يجرب فرصاً جديدة ليجرب الفشل مرات عديدة، وهى عملية أليمة كانت سوف تؤدي لأن تقضي على كبريائه الزائف.

## كيف يمكن أن ننمو إذن؟

إذا لم تكن الاختيارات الصحيحة تضمن لنا النمو الروحي فينا فكيف ننمو إذن؟ أولاً، فلندرك أن الاختيار ضروري ولكنه ليس كافياً للنمو. إن النمو الروحي دائماً خليط من اختيار الصالح واكتساب العون والقوة على عمله وكيفية التعامل مع الطالح.

ومهم جداً بالنسبة لاختياراتنا كذلك إخضاع نفوسنا لله ولكنيسته واستيعاب كلمته وحقه. وعن طريق العلاقات التي نصوغها في جسد المسيح يجب أن نعترف بالأشياء الدفينة في قلوبنا، ويجب أن نتعلم أن نعتمد على روح الله لنكتشف ما يخنق نمونا الروحي، ويجب أن ننقب حول ما بداخل جذور الشجرة لإزالة ما يعطل نموها، ثم علينا أن نمارس ما نتعلمه (عبرانيين ٥:١٤). إن الكتاب المقدس يطالب بجراحة أليمة، فاتخاذ قرارات متكررة بما سوف تعمله أسهل من الخضوع للسكين الذي يصل لأعمق دوافعك ومشاعرك، وكشفها. وأن تخدع نفسك بالتفكير أنك سوف تتغير هذه المرة يعطل ألم التغيير الحقيقي فقط، فإذا لم نتغير من الداخل فنحن لا نتغير بالمرة، فليس هناك عمل سحري بفعل الإرادة يغير الشخصية.

## إخراج الشرور وإدخال الصلاح

إن النمو الروحي يعني زراعة الصلاح واجتثاث جذور الشر، ولكي نقوم بالاختيارات الصالحة، فمعظمنا يفعل شيئاً أو آخر-زراعة ما هو صالح أو قطع دابر ما هو شرير. فنحن عادة نعمل في اتجاه واحد فقط، وعلى النقيض من ذلك يقول الكتاب إننا يجب أن نهتم بجانبي المشكلة، فعندئذ فقط نستطيع أن نختار الاختيارات الصحيحة. إننا يجب أن نضيف كل الأشياء الخيرة التي نحتاجها كما نكشف الأشياء الشريرة-داخلياً وخارجياً-ونبتعد عنها.

فالذين يحاولون أن يتوقفوا عن الأكل مثلاً، سوف يفشلون بالتحديد لأنهم يتعاملون مع جانب واحد فقط، فبدون طعام يشعرون بالعزلة التي تدفع شهيتهم للطعام، وهم يحاولون أن يرفضوا ما هو طالح (النهم) دون أن يستبدلوا ذلك بشئ صالح (علاقة عميقة مع الناس تقضي على العزلة).

وعندما يرفض الناس تعاطي المخدرات يبدأون في الإحساس بالألم الذي حاولوا أن يكبحوه بتعاطي

المخدرات، وعندما يتوقفون عن الممارسات الجنسية يشعرون بالاكتئاب لأن عليهم مواجهة الفراغ الداخلي والألم الذي كان يدفعهم للسلوك الجنسي. فإذا كان كل ما يعملوه هو الاختيار الصحيح-التوقف عن سلوك معين-فهم يتركون أنفسهم في بؤس. فهم غير قادرين على تدعيم الاختيار وذلك لأن الحافز الذي يدفعهم لاتخاذ السلوك المعيب لا يزال قائماً. فالحاجة تحرك الشهوة.

والكتاب المقدس يؤكد أننا عندما نتوقف عن السلوك الخاطئ، نبدأ في المعاناة (١ بطرس ٤:١-٢). وعندما نكفّ عن الجري وراء الشهوة سوف نعاني في الجسد، فالناس تعاني من ألم دفين عندما تتوقف عن ممارسة الإدمان.

والرسول بطرس يقول: "فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية" (١ بطرس ٤:١)، إننا بحاجة للاستعداد للألم المقبل عندما نتوقف عن السلوك السيئ، ومع ذلك فالله لا يتركنا في هذه الحالة. إنه يريدنا أن نشبع الحاجات التي تثير الشهوات، إنه لا يريدنا أن نكف عن فعل شئ بدون استبداله بشئ آخر.

كانت سالي متورطة في علاقات مدمرة مع الرجال، كانت اختياراتها سيئة فيما يتعلق بالعلاقات العاطفية، وفي كل مرة كانت صديقاتها يخبرنها أن تترك صديقها الحالي كانت توافق من كل قلبها على أن ذلك هو الشئ الصواب. ولكن عند اتخاذ القرار لم تستطع أن تقدم على هذ الخطوة، وكانت تشعر دائماً ببؤس عند حدوث القطيعة بينها وبين هذا الشاب، حتى إنها لم تكن تستطيع تحمل ذلك. كان الاكتئاب يتغلب على إرادتها، فعمل الإرادة عندها كان متوقفاً، وسرعان ما كانت تعود ثانية لمواقف مشابهة ضارة بها.

إن سالي نموذج لأنمطة السلوك المدمر سواء بشأن علاقاتها أو الأكل أو المخدرات، لقد حاولت أن تقول لا للشر، ولكنها لم تتعامل مع الصورة ككل، إنها لم تكن فقط في حاجة إلى أن تقول لا للاختيار المدمر الذي كان يدفعها للارتداد نحو سلوكها السيئ بل كان عليها أن تواجه غياب الخير في داخلها أيضاً. لم يكن لديها الحب الذي تحتاجه لتدفع عنها الاكتئاب الذي كانت تشعر به في حالة قطع العلاقة.

لقد كانت سالي في الواقع تعاني من جوانب نقص عديدة في كيانها، وهو موقف مأساوي. لقد ذكّر يسوع سامعيه مرة بقصة عن شخص تخلص من الشر بداخله (شيطان) ومع ذلك فهو لم ينظف بيته ويملأه بأشياء صالحة، ولذا فعندما عاد الشيطان كان البيت لا يزال فارغاً، فأخذ الشيطان معه المزيد من الشياطين واستقر في البيت ثانية، فآلت الأمور إلى حالة أسوأ مما كانت عليه (متى ١٢:٤٣-٤٥).

لم يكن هناك مكان للمحبة والحق بداخلها، والذي يقول الكتاب إننا بحاجة إليهما حتى يمكننا أن نبقى على قيد الحياة.

فلكي تستطيع سالي أن تقهر هذا التصرف الذي يدفعها لاختيار علاقات مدمرة، كان عليها أن تفعل شيئاً بداخلها: أن تحزن بعمق على الألم الذي عانته في الماضي والذي كانت تحاول أن تلطف من حدته بالانغماس في هذه العلاقات، وتعترف بالغضب القديم الذي كان يعتمل داخلها في هذه العلاقات، وأن

تتمسك ببعض الأشياء الخيرة فيها لتضمن أن تختار ما هو صالح للمستقبل. كانت بحاجة للحق الإلهي وعلاقة الود مع الآخرين.

في الماضي كانت تشعر بالفراغ مرة أخرى بعد حدوث القطيعة لدرجة أن قرارها كان يتبخر وتعود ثانية للرجل الذي تركته، وأخيراً قامت بتحمل المسئولية عن وقت الفراغ لديها وبحثت عن طبيب نفسي وحصلت على عون طبي من الفريق، وابتدأت تشعر باهتمام الناس بها ، وبتمسكها ببعض ما هو صالح استطاعت أن تقول لا لما هو طالح، وفي هذه المرة استطاعت أن تثبت ولا تغير موقفها ، فالذين يتعلقون بأشياء محببة (بما فيهم مدمنو المواد المخدرة) يتحسنون فقط بمساندة جماعية وليس بقوتهم الداخلية.

## النوايا السليمة مقابل النوايا الطاهرة

إن النية السليمة هي اختيار الشئ الصحيح، فنحن نختار السليم، الشئ الذي يرضى الله أن نفعله ولا نهتم كثيراً في العادة إن كنا نحب أن نفعل هذا الشئ أم لا، إننا نفعله فقط. يؤسس كثيرون من أتباع المذاهب الإنجيلية لاهوتهم على عمل الإرادة، وهى فكرة قديمة بالية. إن مفتاح النمو الروحي والنجاح كما يقولون هو أن نعرف الناموس الأخلاقي ونتبعه. ورأينا من قبل أن الناس الذين لهم نوايا سليمة ويختارون أن يفعلوا الصواب ولكن قلبهم لا يساندهم في هذا الاتجاه، بعيدون عادة عن إرادة الله. إنهم قد يختارون أن يفعلوا كل ما هو محبوب وصالح دون أن ينتفعوا شيئاً (١ كورنثوس ١٣:٣).

والنية الطاهرة هى أن نريد ما نختار. في المعنى الكتابي فهذا ما يعنيه حقاً (أن تريد)، والكلمات المترجمة غالباً "أن تريد" تعني فعلاً "أن ترغب"، ولهذا السبب فأن تفكر في عمل الإرادة بمعزل عن القلب النقي الذي يرغب في عمل الأشياء التي يرغبها الله أمر غير كتابي، فالله يريدنا أن نريد ونرغب في عمل نفس الأشياء التي يريدها هو. ولكننا لا نرغب في عمل الأشياء التي يرغبها الله دون حدوث تغيير في قلوبنا. إننا بحاجة لأن نأخذ الرغبات الدفينة في قلوبنا–من شهوة وحسد وبغضة وكراهية وانتقام–لله لكي يستبدلها. إن دوافع الصراع تدمر حياتنا وتنتج ثماراً مريرة، ولكن إذ نأخذ هذه الرغبات الشريرة لله وللآخرين في جسد المسيح نجد أنها تستبدل عن طريق الاعتراف والنعمة والتوبة، وإذ نأخذ من الله أشياء جديدة نجد بالتدريج أن شخصيتنا تبدأ في أن تريد وترغب ما يريده هو ويرغبه، ثم يصبح الاختيار الصحيح ليس صراعاً بين ما نريده وما نجد أنفسنا بأننا ينبغي أن نريده، ونبدأ في أن نريد الأشياء التي يريدها هو، فنحن لا نختار فقط أن نعامل الآخرين بحب ولكننا نريد ذلك أيضاً.

وعن طريق الجمع بين أن "تتمم خلاصنا بخوف ورعدة" و "الله العامل فينا"نبدأ في التغيير–ثم نتوافق مع غرضه أن نعمل من أجل مسرة العامل فينا (فيلبي ٢:١٢–١٣). وفي أثناء عملية اكتساب نوايا طاهرة (بدلاً من نوايا سليمة) نبدأ في أن نجوع ونعطش لأجل البر (متى ٥:٦).

## النمو الروحي يقودنا للاختيارات الصحيحة

رأينا من قبل في هذا الفصل كيف أن الاختيارات الصحيحة يعتقد غالباً أنها سبب للنمو الروحي. ولكننا

رأينا أن الاختيارات الصحيحة هى نتيجة للنمو الروحي، فالمقدرة على القيام بالاختيارات الصحيحة ثمر من ثمار الروح (غلاطية ٥:٢٢).

عندما يخبرنا فكرنا اللاهوتي أننا نستطيع أن نقوم بالاختيالات الصحيحة، نعلم أننا مغرورون. إننا لا نستطيع أن نخلص أنفسنا كما قال يسوع، ولا نقدر على عمل الصواب. لقد أخبرنا أن نسلم بحقيقة أننا مساكين بالروح وهى تعني أننا غير قادرين على عمل ما هو صواب. والاعتراف بذلك يعني التواضع-وهو يعني ببساطة أن نتخلي عن افتراضنا أننا نستطيع القيام بالاختيارات الصحيحة، ونحن نقر بفتورنا الروحي (متى ٥:٣). ونعترف أننا لا نستطيع أن نخلص أنفسنا (متى ١٦:٢٥). ولا نستطيع أن نصل للكمال عن طريق قوة الإرادة أو الجهود الشخصية (غلاطية ٣:٣). إن الله يجب أن يغيرنا.

وحيث أننا لا نستطيع القيام بالاختيارات التي نريدها. فأي اختيارات نستطيع القيام بها؟ إننا يمكن أن نختار أن:

* نعترف بخطايانا.
* نتخلي عن فكرة أننا يمكن أن نخلص ذواتنا.
* نستودع عجزنا بين يدي الله.
* نطلب المساعدة في البحث عن أخطائنا.
* نتوب.
* نقدم بياناً باحتياجاتنا وندع الآخرين يشبعونها.
* نقدم التعويضات للآخرين.
* نغفر للآخرين.
* نمارس مواهبنا ونستغلها.
* نبحث عن الله.
* نبحث عن الحق.
* نحب بعضنا بعضاً.

كل هذه الاختيارات تفترض أننا ضعفاء ومتواضعون، وهي لا تركز على أن نكون صالحين بل على حل المشكلات. إن هذه الاختيارات سوف تنجح بينما محاولة أن نكون صالحين سوف تفشل. هذه الاختيارات مؤسسة على خطايانا وعدم أهليتنا وليس على صلاحنا أو مقدرتنا على القيام باختيارات تقوية. هذه الاختيارات سوف تجلب النمو الروحي الذي يحمل ثمار ضبط النفس والقدرة على القيام بالاختيارات الصحيحة.

لذلك فبدلاً من بذل مزيد من الجهد للقيام بالاختيارات الصحيحة، استودع عجزك بين يدي الله-تواضع واظهر عجزك-واطلب منه أن يبدأ في أن يجري فيك النمو الروحي، وعندما تبدأ في القيام بالعمل الشاق الخاص بالنمو الروحي فهو سيبدأ في أن يولد فيك حياته عن طريق إجراء عملية التغيير الداخلي. وعندما تتعاون مع الله في تهذيب شخصيتك فسوف تنتج ثمراً في أوانه (مزمور ١:٣).

# الافتراض الحادي عشر

## "مجرد عمل الصواب أهم من السبب الذي يدفعني لعمله"

لم تكن العائلة التي تجلس في مكتبي عائلة سعيدة. "جيري" و "بيت اندروز" زوجان في أوائل الأربعينات من عمرهما كانا يجلسان على الأريكة ويبدو عليهما أنهما مهمومان قليلاً، وكان يجلس قبالتهما "ديف" ابنهما البالغ من العمر ستة عشر عاماً، وهو يضم ذراعيه بشدة حول صدره ورأسه منكسة، وكان يبدو كأنه إعلان مجسم لحملة إنقاذ المراهقين.

في خلال الشهور الماضية، واجه "ديف" مشكلة في المدرسة-فقد كان لا يحضر بعض الحصص وكان مستواه ضعيفاً في الحصص التي يحضر فيها، وكان يسئ اختيار أصدقائه، ونتيجة لذلك كانت درجاته منخفضة، وقد أوصى مشرفو المدرسة بأن تقدم له مساعدة متخصصة.

فسألت "ديف" عن مشكلته، فحملق فيّ صامتاً، فالتفت إلى والديه. فقال والده: "كانت البداية حين بدأ "ديف" يقضي الوقت مع ابن في عائلة "ماك آرثر" التي تسكن في نفس الشارع، إن لديه الآن. .كما تعلم كثير من المشكلات، وقبل علاقته مع هذا الولد كان "ديف" شاباً ذكياً ومقدراً للمسئولية وحريصاً تود أن تقابله".

فسألت "ديف" قائلاً: "ما رأيك في ذلك؟"، فحملق فيّ صامتاً مرة أخرى، وهنا تحدثت إلى الثلاثة:

"إن سوء اختيار الأصدقاء قد يكون جزءاً من المشكلة، ولكن عموماً فمشاكل البيت قد تنعكس على سلوك المراهقين، كيف حال العلاقة بينكم أنتم الثلاثة؟" تكلمت مسز أندروز قائلة: "في الواقع إنها طيبة، فنحن عائلة مسيحية منذ مدة طويلة، ولا يوجد بيننا الكثير من الصراعات في البيت، ونحن نشكر الله على ذلك". فقلت له "ليست هذه علامة صحية" فالناس تختلف في كثير من الأشياء وهم بحاجة لهذا، وهنا شئ ما أيقظ ديف وجعله يغير من نظرة التحدي التي كان يوجها لي ثم قال: "اسألهما عن الجدول" فسألت "أي جدول؟" فقال "الجدول فوق الثلاجة، هذه هي مشكلتهما، الجدول". ثم مال والده قليلاً إلى الأمام وقال: "إن ديف يشير إلى جدول العائلة الأسبوعي. فنحن نلجأ إليه للمحافظة على ارتباطاتنا، ومعظم العائلات تفعل ذلك".

فسألت: "إذن ما هي المشكلة المتعلقة بالجدول فوق الثلاجة؟"

قال ديف "كل شئ، الكنيسة أيام الآحاد والأربعاء، أنا لا أحب كنيستنا، وتناول الغداء مع عائلة طوسون أيام الثلاثاء، إنهما كبار في السن ولا أحب أن أتعامل معهما، وفي العطلات الأسبوعية أقوم بعمل المشروعات مع والدي".

"وما الذي لا تحبه فيما يتعلق بذلك كله؟"

قال ديف: "إنهما يقومان بعمل الأشياء لمجرد القيام بها، لشغل الوقت.

فرد مستر أندروز قائلاً: "هذا ليس صحيحاً، إن الجدول الذي نسير بموجبه ثابت، ونحن دائماً نشطون، وكل هذه الأنشطة جيدة!"

فحملق ديف في والده قائلاً: ياه! أعتقد أن السبب يرجع لأنكما لا تحبان أن تتحدثا سوياً، فأنتما منهمكان ولذا ليس عندكما وقت لتتحدثا معاً".

كانت الحجرة صامتة، فإن أردت أن تعرف الحقيقة بشأن أسرة من الأسر، يمكنك دائماً أن تسأل فرداً يشعر بالاكتئاب من بين أفراد الأسرة فهو لن يخسر شيئاً إذا قال الحقيقة.

## فلتعمل ما هو صواب فقط:

هذه المقابلة توضح مقولة خاطئة تنغص حياة الكثيرين: "إن عمل الشئ الصحيح أهم من الدافع لعمل هذا الشئ "أو بعبارة أكثر دقة" "إن الطاعة هي مفتاح الحياة المسيحية".

كان أفراد عائلة أندروز يعملون الأشياء الصحيحة، كانوا يقومون بالعبادة والشركة ويعملون الأشياء معاً كعائلة ولكن لأسباب خاطئة. لقد كانوا ينهمكون فقط لتجنب الصراع، فقد كانوا ينظرون إلى الموضوع من زاوية أن الله كان يريدهم أن يطيعوه لأجل الطاعة في حد ذاتها. إن المنادين بهذه المقولة الخاطئة يستخدمون هذه الشواهد من الكتاب المقدس لتدعيم هذا التعليم:

"لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون" (رومية ٢:١٣).

"ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم" (يعقوب ١:٢٢).

إن الله يشبه الأب الذي يستمع لابنه يسأله ويقول وهو نافد الصبر:

"نفذ الوصية فقط!"، إن وجهة النظر هذه تنادي بأن الله ينظر إلى "أعمالنا" بأكثر مما ينظر إلى "دوافعنا" وحالتنا الروحية الداخلية.

فالذين يتمسكون بفلسفة "اعمل هذه فقط" يقولون ما يأتي على الأرجح:

* اذهب الميل الثاني كلما طلب أحد منك ذلك.

* حوّل الخد الثاني في أي وقت يلطمك فيه أحد.

* اقرأ الكتاب المقدس بانتظام مهما كانت الأمور.

* اشكر الله لأجل خيراته في كل الأوقات.

* أطع السلطات في كل الأمور دون تساؤل.

* توقف عن ارتكاب أي خطية كبيرة كعمل من أعمال الطاعة بما في ذلك السلوك الاضطراري (السلوك الناتج عن اتباع شعائر وطقوس، والسلوك الناتج عن عادات) ومشاكل التحكم في الدوافع والبواعث (كإدمان المواد المخدرة، والطعام والجنس والإنفاق ...الخ).

هذه الفكرة تتضمن أننا نقوم بأعمال الطاعة لأنها الأشياء الصحيحة التي يجب أن نعملها، والله سوف يبارك مجهوداتنا بغض النظر عن الأسباب الدافعة وراء القيام بهذه الأعمال، أما إذا كنت تعرف بداخلك أنك تطيع فقط لأنك تخشى أن يهجرك الناس ويتخلون عنك أو لئلا يبدو منظرك سيئاً أمام الآخرين فهذا لا يهم، ولا يهم إذا كنت تشعر بالبغضاء أو الذنب إذا كنت تطيع، فالمهم أفعالك.

## ما الخطأ الكبير في هذا؟

كالمعتاد قام المسيحيون بإضفاء الألوان الوردية على هذه المغالطة، فهي تبدو معقولة، والقائمة السابقة تحتوي الكثير من الأشياء الحسنة والهامة التي على المسيحيين القيام بها، أليس حقيقياً أنه ينبغي أن نكون عاملين وليس مجرد سامعين لوصايا الله؟وألا يعكس سلوكنا حالة حياتنا الروحية؟

وبالإضافة إلى ذلك فكلنا نعرف الناس الذين يقدمون المبررات المنطقية لسلوكهم الخاطئ:

* أحدهم دفعني إلى ذلك.

* إني ضحية للظروف.

* مع وجود ماضي كماضيَّ، لم أكن أستطيع تفادي ذلك.

* لم أستطع تجنب ذلك.

* الشيطان هو الذي دفعني لذلك.

* لا يمكنك أن تصدق سوء حالة المرور.

إن مثل هؤلاء الناس عادة يتهربون من المسئوليات الملقاة على عاتقهم، ويحاولون أن يتجنبوا المواقف الصعبة. ولكن الكتاب المقدس لا يدعهم يفلتون لأنه يركز على أهمية المسئولية الشخصية وتبعاتها، فالمؤمنون يفون بما أقسموا به حتى وإن كان ذلك يضرهم (مزمور ١٥ :٤).

ومع ذلك فالله لا يحب الطاعة القائمة على مبدأ "افعل هذه فقط" تماماً كما أنه لا يحب الأعذار العرجاء. وقبل أن نعرف السبب، دعنا نلقي نظرة على تعريف الكتاب المقدس للطاعة.

## الطاعة:

في كلا العهدين القديم والجديد، الكلمات المترجمة "يطيع" تعني "يسمع ويلتفت إلى"، والكلمة العبرية

(Shema) مترجمة "يسمع" أكثر من ٨٠٠ مرة في العهد القديم، والكلمة اليونانية (Akouo) (كما في الجيتار الصوتي) مترجمة "يسمع" ٤٠٠ مرة في العهد الجديد، والكتاب المقدس يرسم صورة للناس الذين يلتفتون إلى توسل أو أمر من أحد الأشخاص ثم يستجيبون للنداء. أحضر زوجان لي ابنتهما البالغة من العمر ثلاث سنوات لأنهما كانا قلقين بسبب عدم استجابتها، فنادراً ما كانت تستجيب لتعليماتهما، وكانت تتجاهل تماماً أقوالهما، كان يبدو أن هناك خللاً ما، ولذلك أمرتهما بإخضاعها للفحص الطبي، وقد اتضح أن لديها مشكلة متعلقة بالسمع، لم تكن تعصى-ولكنها لم تكن تعرف أن هناك من يخاطبها.

والفكرة الكتابية هي هذا: عندما نسمع نستجيب، والألفاظ العبرية لا تفرق كثيراً بين السمع والاستجابة، فإنهما يسيران جنباً إلى جنب. فمثلاً، قال بنو إسرائيل لموسى: "كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له (Shema) (خروج ٢٤:٧)، ولكن عندما لم يتمموا أي شئ قاله الرب، أعلن إشعياء: "لم يشاءوا أن يسلكوا في طرقه ولم يسمعوا (Shema) لشريعته" (إشعياء ٤٢:٢٤). فبالنسبة لليهودي في العهد القديم فإن سمعت سمعاً صحيحاً فإنك تستجيب استجابة صحيحة:

والفقرة التقليدية في العهد القديم والخاصة بالالتفات إلى الله هي ما يسميها اليهود "الشيما العظيمة":

"اسمع (Shema) ياإسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تقدم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك" (تثنية ٦:٤-٩). إن كل يهودي يعرف (الشيما)، والأتقياء لا يزالون يرددونها يومياً، بل إن يسوع عندما سئل عن أعظم وصية، اقتبس يسوع جزءاً من هذه الفقرة مردداً صدى ما جاء في لاويين ١٨:١٩ وأضاف الوصية الثانية العظمى "تحب قريبك كنفسك" (متى ٣٩:٢٢)، وكل الناموس والأنبياء يمكن تلخيصه في هاتين الوصيتين التي قالهما يسوع. ولو استمعنا لهذين المبدأين، سنكون الشعب المحبوب الذي يريده الله.

ونحن لا نستمع لله فقط ولكنه يستمع لنا أيضاً. فداود صرخ قائلاً لله: "عند دعائي استجب لي ياإله بري" (مزمور ٤:١) "أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم" (مزمور ٣٤:١٧)، تخيل الله وهو يميل ليسمع صراخنا طلباً للمساعدة ثم يساعدنا، إن كلمة (Shema) (يسمع) طريق ذو اتجاهين.

ونحن لا نرى في الكتاب المقدس فكرة السمع بدون عمل، إلا حين قال يسوع "فكل من يسمع (Akouos) أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر (متى ٢٤:٧)، فالاستماع لله في العهد الجديد لا يضمن دائماً عمل ما يقوله.

أتذكر رودا الجارية التي لم تفتح الباب لبطرس عندما جاء على غير توقع بعد أن أطلق الله سراحه بمعجزة من السجن. إنها مثال جيد للسمع بدون عمل، لقد جاءت لتسمع (Akouo) الباب-ثم نسيت من فرحتها أن تفتح الباب ليدخل بطرس إلى داخل الدار (أعمال ١٢:١٣)، لقد "سمعت" ولكنها نسيت أن "تستجيب" بالسماح لبطرس بالدخول.

**للطاعة دائماً هدف:**

هنا الفكرة: فالكلمة (طاعة) تصف علاقة بين الله وبيننا. إننا نستمع لما يريده منا ثم نستجيب تماماً كما يستجيب الطفل لصوت والده، فنحن نستمع له ثم نفعل ما هو صحيح.

لماذا يجب علينا أن نطيع؟ بدلاً من أن نقدم الإجابة الروتينية المعتادة-"لأننا يجب أن نفعل ذلك"- فالكتاب المقدس يذهب إلى أعمق من ذلك إلى عمق كياننا.

**إن الطاعة وسيلة لتدريبنا على النضوج وليس هدفاً في حد ذاتها:** إن الطاعة للطاعة في حد ذاتها ليس أمراً كتابياً، فاتّباع وصايا الله دائماً له غرض. فمثلاً، الآباء الصالحون لديهم هدف من نحو أبنائهم: الاعتماد على الذات أو الاستقلالية، إنهم يريدون من أبنائهم أن يتعلموا كيف يحصلون على احتياجاتهم وكيف يكونون منتجين وكيف يحلون مشاكلهم، وبنفس الطريقة، فالله يعطي توجيهاته ليساعدنا على النضوج والنمو.

استمع لما جاء في سفر التثنية: "في جميع الطريق التي أوصاكم بها الرب إلهكم تسلكون لكي تحيوا ويكون لكم خير وتطلبوا الأيام في الأرض التي تمتلكونها" (٥:٣٣). "فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض ونتقي الرب إلهنا ليكون لنا خير كل الأيام ويستبقينا كما في هذا اليوم" (٦:٢٤). "وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لخيرك" (١٠:١٣).

فالله يريدنا أن نفعل الصواب حتى ننمو، فالآباء الصالحون يدربون أطفالهم على الحديث عن مشاعرهم حتى يستطيعوا أن يتكلموا مع أزواجهم وزوجاتهم وأصدقائهم عندما يكبرون، ويأمرونهم بإخراج القمامة حتى يتحملوا مسئولية القيام بأي مهمة عندما يكبرون، ويعلمونهم أن يتخذوا الاحتياطات اللازمة لحمايتهم من الشرور والطوارئ عندما يكبرون (متى ٢٥:٧-٩).

قد يكون قد علمك أحدهم أن الطاعة هي للطاعة، وأن الله يريد أن يطاع لأنه يحب السيطرة على البشر، ليس هذا هو أسلوب الله في الأبوة. فتوجيهاته تساعدنا أن نتعلم طرقه حتى نكون مثله، فهو يعدنا بالقول: "أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها" (مزمور ٣٢:٨)، فالطاعة هي استجابتنا لأبوة الله.

**مستويات الطاعة:**

إن الطاعة تتغير بالنضوج، فعلاقاتنا بالله وبعضنا البعض تتطلب قدراً أقل من التوجيهات عندما ننمي في داخلنا المزيد من الشخصية المتكاملة، فكلما ازددنا نضجاً قل احتياجنا للتوجيه. فالطفل البالغ من العمر ثلاث سنوات يحتاج لمن يضعه في الفراش، فهو لا يدرك حاجته البيولوجية للنوم، والمراهق ذو الخمسة عشر ربيعاً يذهب للفراش (نحن نرجو ذلك) حتى لا تفوته سيارة المدرسة في الصباح. والأطفال روحياً يحتاجون للبن، أما الكبار روحياً يأكلون الطعام القوي (عبرانيين ٥:١٢-١٤)، وعندما نصبح أكثر نضجاً ننتقل من وصايا بعينها إلى نظام متكامل للمعيشة، ولا نصبح بحاجة لشخص يمسك بأيدينا لاتخاذ القرار، وتصبح كلمة الله جزءاً لا يتجزأ من نفوسنا "خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك" (مزمور ١١٩:١١).

## لماذا تعتبر الطاعة لأجل الطاعة أمراً غير كتابي؟

الافتراض الزائف القائل: "إن مجرد عمل الصواب أهم من السبب الذي يدفعني لعمله" يخلق ست مشكلات:

**(١) هذا الافتراض الزائف يستبدل الطاعة الحقيقية بالذبيحة:**

كان "جاسون" نشيطاً في الكنيسة، وله وظيفة مرموقة وزوجة جميلة وطفلان كان يحبهما، وكان يمارس التمرينات الرياضية ويبدو رياضياً، وكانت صلته بأصدقائه على خير ما يرام. ولكن يوماً ما، وعلى غير ما يتوقع، أصيب باكتئاب شديد حتى إنه لم يستطع أن ينهض من الفراش. لم يكن لذلك معنى، وجاء ليراني. وتحدثنا مدة وجيزة عن حياة جاسون المضطربة قبل أن يصاب بالانهيار العصبي، واكتشفنا بالتدريج أن نظام معيشة جاسون المنضبط وضع أساساً لاتقاء خطر اكتئاب يدوم طول العمر. لقد نشأ في عائلة مدمنة مسكرات وفاسدة حيث اختبر كل أنواع الفوضى والأزمات. إن نشاط "جاسون" والمسئولية التي كانت ملقاة عليه قد أنقذته، فقد تعلم جاسون أن يغسل ملابسه بنفسه ويعد وجباته وميزانيته، لقد أصبح رجلاً وهو في سن التاسعة. لقد فعل جاسون الصواب ليس لأنه كان منكراً لذاته ومحباً، ولكن ليبقى على قيد الحياة، وأصيب بالاكتئاب رغماً عنه.

فأن تكون متحملاً للمسئولية ليس علامة من علامات الصحة، فالأسباب الكامنة وراء تحمله المسئولية هي المشكلات، لقد عاش جاسون حياة التضحية، ولأنه كان يخشى الانهيار الداخلي ظل مشغولاً ونشطاً ليتقي شر الانهيار العصبي.

وقبل أن يأتيني طلباً للعلاج كان جاسون يثق في صديق مسيحي وقال له هذا الصديق: "فلتعمل بجد، فبذلك تتغلب على المشكلة"، ولكن النصيحة لم تأت بنتيجة.

شغل جاسون نفسه ليتجنب التعامل مع احتياجاته، لم يكن مدفوعاً للطاعة بمحبة المسيح ولكن بدافع الخوف، لقد قال يسوع من أجل مواقف كهذه:

"اذهبوا وتعلموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة"، إن أعمالنا المسئولة من عطاء وتضحية لا تفيدنا نحن ولا الله ما لم نفهم رحمة الله-الذي يحبنا كما نحن-ثم نرد ذلك الحب.

إن نمط الحياة المسئول حقاً نتاج لكوننا محبوبين كما نحن-بخطايانا ونقائصنا وجروحنا وضعفاتنا، ثم لكوننا محبوبين ونحن على هذا الحال نتعلم أن نرد تلك المحبة. إن جاسون لم يحب بمثل ذلك الحب، ولذا فقد كان من المستحيل عليه أن يطيع في حب، لقد استطاع أن يطيع وصايا الكتاب المقدس فقط، لأنه أمر بذلك.

بعض الناس يعيشون حياة عملية تماماً ليس للدرجة التي تبعد عنهم ما هم فيه من اكتئاب، ولكن لتحفظهم فقط من توجيه اللوم إليهم من نحو الآخرين. لقد عرفت سيدة كانت تحافظ على وزنها دون زيادة لكونها محاطة ببعض الناس المحبين للانتقاد، والذين كان يمكن أن يهاجموها لو زاد وزنها، فعندما انتقل

هؤلاء الناس بعيداً عنها في أحد الأعوام، زاد وزن هذه السيدة حوالي ثلاثين كيلو جراماً في بضع شهور. فالضابط الخارجي اللوام لم يحل المشكلة، لقد أجلها فقط، وأخيراً فقدت الوزن للأسباب الصحيحة، ولكن كان عليها أولاً أن تتعلم الرحمة والذبيحة: كان عليها أن تقبل الرحمة لكي تضحي باشتياقها للطعام.

عندما نفعل الشئ الصحيح على مضض أو بالإكراه وليس بقلوبنا (٢ كورنثوس٩:٦-٧) نعيش في خوف، وقد يكون الخوف من أن نفقد شيئاً أو الخوف من العزلة أو الذنب أو من عدم تأييد الآخرين، ولكن لا يمكن لأحد أن ينمو أو يزدهر في جو من الخوف، فليس للحب مكان هناك لأن :"المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" (١ يوحنا ٤:١٨).

## ٢- هذا الافتراض الزائف يتجاهل أن الإنسان كل لا يتجزأ:

عندما نطيع لأجل الطاعة فقط فنحن لا نبتعد بعيداً عن المحبة فقط ولكننا نصبح منقسمين من الداخل أيضاً، وتصبح النفس مجزأة ومنفصلة عن الله، فنحن نرغب في شيئ ثم نفعل شيئاً آخر "هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه "وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني" (إشعياء ٢٩:١٣). لقد خلقنا لنكون وحدة مترابطة في الجسد والروح، وعلينا أن نرتبط مع بعضنا البعض ومع الله بهذه الطريقة، وعندما نفعل ذلك فنحن نحب الله بكل قلبنا ونفسنا وفكرنا وقوتنا.

إلم يسبق لك أن تناولت العشاء مع شخص لم يكن يرغب أن يتواجد في ذلك المكان؟ إن الحديث بينكما قد يكون ممتعاً وشيقاً، ولكنك تحس أن رفيقك على العشاء كان قلبه في مكان آخر. هذا الشعور بالانفصام يجلب فتوراً في العلاقة مما يحجب الألفة الحقيقية، ولهذا السبب فالله يفضل البرود على القلب المجزأ، فالقلب البارد المعترف بذلك في مأزق، ولكن لأنه يعرف أنه كذلك يمكن أن يُفتدى، ولكن القلب الفاتر المنقسم بين هنا وهناك ليس أميناً مع نفسه ولذلك فهو بعيد عن نعمة الله التي يمكن أن تقدم له الشفاء.

إن فكرة الطاعة لأجل الطاعة تذكي هذا النوع من الانقسام، وبدلاً من اكتشاف السبب الذي يجعلنا لا نفعل ما يجب أن نفعله حتى نتغلب على الصراعات، فهذا الافتراض الخاطئ يتجاهل المشكلة.

## ٣- هذا الافتراض الزائف لا يشجع على الإحساس بالمسئولية:

كنت أقوم بعلاج "كارين" لبعض الوقت وهى سيدة مطلقة كانت قد بدأت تدخل من جديد لعالم المواعدة (وهو عالم خطير لأن كل الذين يدخلونه يدركون خطورته)، كانت قد بدأت تواعد "بيرني" بالرغم من أنه كان يتصدى لها مراراً وتكراراً بطريقة دبلوماسية.

وسألتني "كارين" إذا كنت على استعداد أن أفحصهما معاً في عدة جلسات قليلة. ولكني أردت أولاً أن أقابل "بيرني" منفرداً لعمل تقييم وفحص شامل له.

ولأول وهلة كان "بيرني" يبدو ألطف شاب يمكن تخيله، فقد كان وسيماً في منتصف الثلاثينات، لقد كان أفضل العملاء الذين يستريح لهم الطبيب النفسي المعالج لسرعة استجابته واتّباعه للتعليمات. كان "بيرني"

يعلن عن موافقته دائماً بالإيماءة، وكان شغوفاً بأن يرضيني لدرجة أنه كان يوافق على عباراتي قبل أن أنهيها، وعندما ذكرت له ذلك وافق على أنه يمتلك هذه الخصال. وسألني "هل يمكن أن تساعدني يا دكتور؟ سوف أفعل أي شئ تخبرني به".

كان لبيرني تاريخ في العلاقات الفاشلة والوظائف المتعددة غير الناجحة، كان يبدأ العمل بحماس منقطع النظير وطاقة وشغف لإرضاء رؤسائه، حتى تبدأ الصراعات وعندها يبدأ بيرني في الاختفاء. وهذا ما حدث لكارين أخيراً، فقد اختفى بصفة دائمة ولم تعد تقابله مرة أخرى.

أراد "بيرني" أن يفعل الصواب-على الأقل من الظاهر. ولا يخامرني الشك أنه كان مخلصاً فيما يتعلق برغباته، ومع ذلك فقد كان شديد الحرص على إرضائي وإرضاء الآخرين للدرجة التي تجعله لا يتحمل المسئولية بشأن مشاعره الحقيقية في المواقف المختلفة.

هذه هي المشكلة الثانية بخصوص المغالطة التي تقول: "افعل الصواب فقط". إنها لا تشجع على تحمل مسئولية التصرفات والمواقف التي يتخذها بعضهم. فالإنسان في هذه الحالة يصبح شديد التركيز على إرضاء السلطة التي يخشى جانبها، الله والوالدين، والرئيس، والزوج، فهو ليس قادراً على التعامل مع الاختلافات.

من أحد علامات النضوج، الانتقال من الاختيارات اللاواعية إلى الاختيارات الواعية. فنحن ننتقل من نطاق العادات الآلية المكتسبة المتعلقة بالترابط الذهني والاستجابة للقرارات التي مبعثها الكتاب المقدس. كان "بيرني" لا يزال متعلقاً بالطريقة المذعورة القلقة للترابطات الذهنية التي كان قد تعلمها وهو طفل، فلم يكن يستطيع أن يحول الاتجاه من إرضاء الناس لكي يتخذ القرار فيما يتعلق بأفكاره ومشاعره الحقيقية بشأن المواقف المختلفة. وتصرفاته (لا تظهر في أوقات معينة وتختفي من وقت لآخر) تلقي الضوء على قيمه الحقيقية.

**لا تسأل عن السبب:** فالذين يتبعون هذه المغالطة "افعل الصواب فقط" ليسوا أحراراً ليسألوا لماذا. فالأسئلة تعد نوعاً من التمرد والتحدي وعدم الخضوع، فهم يشعرون أن الطاعة يجب أن تكون آلية وبلا نقاش. ومع ذلك فمنع الأسئلة يقلل كثيراً من تكوين المسئولية عند المؤمنين، فالكبار يريدون أن يعرفوا السبب لا لكي يتهربوا من الطاعة ولكن للتعلم والنمو. إنهم يريدون أن يتفهموا المواقف ككل، في حين أن الله وحده يتضح أمامه الموقف ككل، ففي الكتاب المقدس فهو يسمح لأبنائه أن يسألوا عن السبب. فالسؤال عن السبب يسمح لنا أن نعمل معاً مع الله (فيلبي ٢:١٢-١٣). إن المديرين الناجحين يدركون أن أفضل المنتجين لديهم هم الذي يسألون عن السبب مراراً وتكراراً، إنهم لا يقنعون بأداء أعمالهم دون فهم ما يحدث حولهم. إنهم يريدون أن يعرفوا القصد من وراء وجهة نظر المدير لأن ذلك يساعدهم في تحقيق أهدافهم، وهم يعلمون أن ذلك أفضل شئ بالنسبة للمدير وللشركة ولأنفسهم.

والكلمة (لماذا) ترد أكثر من أربعمائة مرة في الكتاب المقدس، والله نفسه يسألنا لماذا؟ ليجعلنا نفكر،

والله سأل قايين: لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟" (تكوين ٤:٦). إن الله أراد أن يفكر في سر تعاسته-وهي قيمة نادراً ما تشجعها فكرة" افعل الصواب فقط". واستجاب يسوع ايضاً للعديد من الأسئلة "لماذا": "لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً وأما تلاميذك فلا يصومون" (متى ٩:١٤) "لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه (الشيطان)" (متى ١٧:١٩)، "لماذا هذا الإتلاف" (الإشارة للمرأة التي سكبت قارورة الطيب الغالي الثمن على رأس يسوع في متى ٢٦:٨). لقد أجاب على هذه الأسئلة والمزيد منها عالماً أن المعلومات تفيد الكبار لتحمل المزيد من المسئولية.

فلتحذر من المسئولين الذين يطالبون بالطاعة الفورية بلا نقاش، ليس فقط لأنهم لا يمثلون السلطة الإلهية، ولكن لأنهم على الأرجح سوف يخسرون شيئاً (كالسيطرة عليك) إذا حصلت على المعلومة.

**٤- هذا الافتراض الزائف يشجع على الكذب:**

هل تذكر قصة الولد الصغير الذي لم يطع تعليمات والده بأن يجلس؟ ومهما حاول هذا الأب أن يقنعه رفض أن يمتثل للأمر، فقام هذا الأب أخيراً وأمسك بابنه ووضعه على الأريكة بالقوة. وقال له الأب "الآن، أنت جالس".

فأجاب ابنه العنيد بالقول: "إنني جالس من جهة الخارج، ولكنني واقف من الداخل!"

إن هذا الولد المغرم بالنوادر كان مصراً على تمرده، والمدافعون عن الافتراض القائل "افعل الصواب فقط" من ناحية أخرى لابد أنهم يكذبون فيما يتعلق بمشاعرهم الحقيقية. وبمعنى آخر فنحن عادة نشعر بالاستياء والمقاومة أو التمرد فيما يختص بعمل الصواب. إنه جزء من تراثنا، جزء من كوننا أبناء آدم وحواء، ولكن عندما نطيع ظاهرياً ينتقل تمردنا من الضوء والوضوح للخفاء، حيث يكون أكثر صعوبة في القضاء عليه.

في المثل الذي ذكر عن الأب الذي كان له ابنان، كان الابن الثاني كاذباً، فعندما قال له أبوه: "يابني اذهب اليوم اعمل في كرمي". أجابه بالقول: "ها أنا ياسيد، ولكنه لم يمض" (متى ٢١:٢٨-٣٠). عندئذ قال يسوع للجمع أن العشارين والزواني يذهبون إلى ملكوت السموات قبل ذلك الابن.

لماذا أعطى يسوع الأولوية لمثل هاتين الفئتين غير المحبوبتين؟ لأنه لم يكن باستطاعتهم إخفاء ضعفاتهم وحاجاتهم، إن العشارين والزواني كانوا دائماً موضع سخرية واستهزاء الناس بسبب حرفتهم. وهذا ما كان يريد يسوع أن يؤكده: كل ما هو واضح للعيان ومكشوف يمكن شفاؤه. وكل ما هو مخبأ-حتى تحت مظهر الطاعة-سوف يظل بلا شفاء لأنه غير معترف به. ما الذي تفعله عندما يطلب منك أن تفعل الصواب؟ هل تقوم باختيارك عن قصد واضح وتفكير عميق واختيار حر لنقول نعم أو لا؟ أو هل تكذب بشأن لا الداخلية فيك وتقول نعم؟ ما لم تستطع أن تقول لا، فإنك لا تستطيع أن تقول نعم بحق لله أو للناس.

**٥- هذا الافتراض الزائف ينكر حالتنا الساقطة:**

إن ميدأ "افعل الصواب فحسب" يعني في جوهره أنك "يمكن أن تطيع" أو "السبب في أنك لا تطيع أنك لا تريد ذلك".

ونحن نستمع للمعلمين والوعاظ المسيحيين والناصحين ينادون بالمبدأ الخاطئ أنه طالما نحن مؤمنون نستطيع أن نفعل كل شئ". قال لي شيخ كنيسة ذات يوم "إن نؤمن أن الناس لا تستطيع أن تطيع كل وصايا الكتاب المقدس في أي لحظة، فهذا طعن في شخصية الله"، لقد كان يعتقد أن الطاعة هي ببساطة أمر يتعلق بالخضوع والإرادة. ومع ذلك فالحقائق الكتابية على النقيض من ذلك، والكتاب المقدس ملئ بالأمل بالنسبة لأولئك الذين يدركون أننا لا نستطيع أن نعيش حياة كاملة، فنحن نكذب على أنفسنا حين "نقول إننا بلا خطية" (١ يوحنا ١:٨)، وقد نناضل من أجل الحقيقة التي تقول: "إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل" (رومية ٧:١٥)، ومع ذلك فيسوع طوَّب المساكين بالروح (متى ٣:٥).

هناك متسع في قلب الله لأولئك الذين يفشلون ويخطئون مراراً وتكراراً، فهو يهتم بأولئك الذين يعترفون قائلين "نحن لا نستطيع أن نفعل الصواب".

**٦- هذا الافتراض الزائف يقلل من قيمة الصليب في حياتنا:**

في السنة الأولى من المدرسة انتقلت عائلتنا بسبب تغير عمل والدي. وكما يحدث مع كثير من الذين يبلغون سن السادسة والذين يعانون من دوامة تغيير المدرسة، فقد كنت أجد صعوبة في القراءة.

ولا حاجة بي للقول بأن والديَّ كانا قلقين بسبب ذلك، وكانت أمي تقف ورائي قلقة عندما كنت أقرأ التعيينات المدرسية في البيت بعد المدرسة، ولم يكن ذلك القلق مفيداً لأي منا، وإذ كانت والدتي تقف خلفي كنت قلقاً وأنا أقرأ، وكنت إذا أخطأت في كلمة تصححها لي على الفور. وكنا نرقص على أنغام هذا العزف الثنائي المتسم بالقلق الشديد لعدة أسابيع. حى جاء اليوم الذي استشارت فيه والدتي أمها والتي كانت قد قامت بتربية ستة اطفال من قبل. قدمت لها "جراني" بعض النصائح.

وفي اليوم التالي بعد المدرسة وصلت للمنزل لتناول كوب اللبن المعتاد وبعض الفطائر على منضدة المطبخ، وقد سألتني والدتي كالمعتاد أن أقرأ لها. فانتزعت كتابي على مضض وبدأت أقرأ، ولكن كان هناك شئ مختلف هذه المرة، فبدلاً من أن تجلس خلفي وهي تقرأ بصوت غير مسموع، ظلت أمي على حوض الغسيل في المطبخ وهي تغسل الأطباق وقد أعطتني ظهرها. وكنت أقرأ لفترة قليلة ثم أتوقف وأبدأ من جديد وأتلعثم وأنا أتصارع مع الكلمات. ولم تتدخل والدتي بكلمة حتى طلبت مساعدتها فكانت تعطيني الإجابة، ثم أستمر في القراءة.

وقد جاء ذلك بالنتيجة المرجوة، لقد استرخيت بعد فترة ولم أعد أقلق بسبب الأخطاء، ولقد استمتعت بكمية القراءة البسيطة، وقد أفاد كثيراً أن ماما كانت تبدو على سجيتها وفي حالة استرخاء، وهي تقف عند حوض المطبخ. ولم أعرف سوى بعد سنوات فيما بعد أنه طوال الوقت الذي كنت أقرأ فيه، كانت تقف هناك صامتة والدموع تنساب فوق خديها، وكان تعاطفها مع كفاحي عظيماً، وكانت غرائز الأمومة فيها تدفعها لإنقاذي، ومع ذلك ظلت صامتة وكانت هادئة حتى لا أعرف، ولقد أصبحت قارئاً نهماً مولعاً بالقراءة من ذلك الحين.

لم تصلح معي فكرة افعل ذلك فقط، لقد كان مطلباً لم أستطع أن أحققه. لم يكن هناك مكان أمين أذهب إليه للكفاح أو محاولة إصلاح أخطائي، ولكن ما جاء بالنتيجة المرجوة كان تسامح أمي عندما كنت أخطئ، دون قلق أو إدانة أو إشعاري بالذنب، ولكن تقديم المزيد من الفطائر واللبن.

## شبكة الامان المدعوة النعمة

ربما أخطر مشكلة تتعلق بفكرة "افعل الصواب فقط" هي أنها لا تتيح الفرصة الكافية لهبة الحياة المشتراة بواسطة موت المسيح، فالنضوج هو حلقة مكونة من العديد من المحاولات والأخطاء التي تؤدي للنمو، وهذه الحلقة مكونة مما يأتي:

١- أنت تحاول.

٢- أنت تفشل.

٣- أنت تتلقى النعمة والمغفرة.

٤- أنت تتحمل العواقب.

٥- أنت تتعلم من العواقب.

٦- أنت تحاول.

٧- أنت تتحسن قليلاً.

٨- أنت تفشل.

وهكذا، فنحن نتعلم بالتمرن كما يقول (عبرانيين ٥:١٤)، وعندما نعلم أننا سوف لا ندان عندما نفشل ننمو أسرع، ونخاطر أكثر،ولكن أن نعيش بموجب قانون "افعل الصواب فحسب" فهذه العبودية تحكم علينا بعدم التعلم من أخطائنا، فخدعة "افعل الصواب فقط" على أحسن الفروض تقاطعنا، وعلى أسوأ الفروض تدمر حلقة النضوج. والنعمة، من الجانب الآخر، تحمينا من فقدان المحبة عندما ننضج عن طريق المحاولة والفشل.

متى كانت آخر مرة تراجعت فيها عن الكفاح ضد نماذج السلوك المفروضة علينا؟ هل كنت عازماً أن تتغلب عليها عن طريق التأديب والشعور بالذنب أو تأنيب الضمير؟

هناك طريق أفضل عندما نسمح لذواتنا أن نعمل من خلال دوافعنا الداخلية، وصراعاتنا بشأن المواقف. ونصبح أكثر حرية لتكون حركتنا تلقائية، وأن نتحمل مسئولية سلوكنا، وأن نكون بالفعل أحراراً في المسيح.

# الافتراض الثاني عشر

# "لو عرفت الحقيقة سوف أنمو"

كانت على وشك الانتهاء من جلسات علاجها النفسي، وكان الطريق صعباً. عندما بدأت"جويس" في جلسات العلاج كان وزنها زائداً بمقدار مائة وثلاثين رطلاً (حوالي ٥٨ كيلو جراماً)، والآن بعد عمل شاق عادت لوزنها المعتاد. كانت مشكلة وزنها بالطبع علامة على مشاكلها العويصة، وفي جلسات الطب النفسي كان عليها أن تواجه بعض الحقائق المؤلمة عن حياتها وأن تقوم ببعض الجهود الشاقة في علاقاتها مع الآخرين.

لقد بدأ العمل الشاق عندما أدركت كيف أن والديها كانا يسيطران عليها وهي طفلة، كانت تعتبرهما نموذجاً لها، وكانت تلبي أمنياتهما ولم تكن تستطيع أن تقاومهما وتصبح حرة لتفعل ما تريد. وبالاختصار لم تكن تستطيع السيطرة على اختياراتها وآرائها.

هذا النموذج من السيطرة قد انعكس على علاقاتها في الكبر، فكانت أخواتها وصديقاتها يديرون دفة حياتها، وكانت هي تبتسم على الدوام-فقد كانت خادمة من الطراز الأول، تفعل بسرور كل ما كان يريد أي واحد منهم أن تفعل. ولكنها ابتدأت بالتدريج تكره بعمق نفس الأشخاص الذين كانت تحبهم في الظاهر وتخدمهم بسرور.

وبالإضافة لتصرف "جويس" على المشكلات الخاصة بعلاقاتها مع الآخرين، فإنها تذكرت أخيراً ما حدث من اعتداء جنسي عليها عندما كانت في الثامنة من عمرها، والاكتئاب والحزن الذي اختبرته في الكبر بسبب ذلك قد استغرق كيانها كله في البداية، وتحملت فترة من القلق والخوف لأنها كانت تخشى أن يعرف الناس هذه الحقيقة المخزية.

ولكن "جويس" ظلت صامدة وهي تعمل بإخلاص ما كان يبدو أن الله يحاول أن يظهره لها في المرة القادمة، فأقامت علاقات أفضل مع والديها: فكانت تقول لا بحزم عندما كانا يريدان شيئاً منها، لم تكن تريد أن تعطيه لهما، وكانت تتعامل مع الصراع الذي كان يعقب رفضها (هذا كان أصعب جزء في جرعة العلاج النفسي)، وقد تساءل والداها عما حدث لابنتهم التي كانت تعتمد عليهما دائماً. لماذا هذه الأنانية المفاجئة؟ كانا يلومانها لذلك، ولكنها ظلت صامدة.

وابتدأت تنفتح على الناس بشأن المعاناة التي اختبرتها في طفولتها نتيجة للاعتداء الجنسي عليها، وكانت تسمح للآخرين بمواساتها والوقوف في صفها. وتعلمت ببطء الاعتماد على الناس بطريقة لم تكن تتصور أنها تقدر عليها. ولما تلقت مساندة من الجميع، فالفراغ الداخلي الذي كان يجبرها على الأكل (أحد أعراض جرح كرامتها) ابتدأ يستبدل بالمحبة.

وعندما بدأت في الالتجاء لي، كانت "جويس" قد جربت جميع الافتراضات الزائفة، ومع ذلك فقد تم شفاؤها بطريقة مختلفة عما توقعته لها تلك الافتراضات. وفي أحد الأيام وعند قرب انتهاء فترة علاجها سألتها كيف يمكنها تعليل نقص وزنها وهو علامة ظاهرة تدل على استعادتها لصحتها.

فأجابت قائلة: "كنت أعتقد إنني إذا عرفت الكتاب المقدس ودرسته واعتمدت عليه ليغير حياتي فإن مشاكلي كلها سوف تحل، ولكن هذا لم يحدث، إن ما حدث هو ما يأتي: **أولاً:** كان عليَّ أن أخرج من العزلة وأتعلم الاتصال بالناس الآخرين، وفي البداية فعلت ذلك بالاتصال بك، ثم استطعت أن أفعل ذلك مع الآخرين أيضاً. **ثانياً:** كان عليَّ أن أضع ضوابط للسيطرة على حياتي، فطالما أن الآخرين كانوا يسيطرون عليَّ-وأنا لم أكن أسيطر على أحد-لم يكن لديَّ المقدرة على ضبط النفس الذي أحتاجه لأستطيع أن أرفض الطعام. **ثالثاً:** كان عليَّ أن أتعلم التعامل مع آلامي وأعبر عن هذه الآلام والأوجاع بدلاً من التغطية على ذلك بالأكل. وعندما تعلمت أن الألم يمكن أن يكون صديقي وليس عدوي لم أكن أخشى مواجهته، فبدأ يمضي عني بعيداً، والآن لو تعرضت للأذى فبدلاً من الاتجاه لأكل قطعة كبيرة من البيتزا أستدعي شخصاً وأتكلم معه فيتطاير الألم. ومع ذلك فما تعلمته حقاً أن ما آمنت به فيما يتعلق بالكتاب المقدس ليس صحيحاً، فدراسة الكتاب المقدس لم تقدم لي الشفاء، وتعلمت أن علىَّ أن أفعل ما يتحدث عنه الكتاب المقدس. إن دراسة الكتاب المقدس قد علمتني ما أنا بحاجة لأن أفعله، ولكن فقط بعد التوصل لذلك وعمل تلك الأشياء استطعت أن أدرك ما يتحدث عنه الكتاب المقدس فعلاً. إن معرفة الكتاب المقدس لم تغيرني ولكن العمل بموجب الكتاب المقدس هو الذي غيرني. لقد فوجئت بالتغيير الذي طرأ على رأيها في الكتاب المقدس، إن جويس لم تكن تعتقد أن الكتاب المقدس أقل من ذلك، بل على النقيض لقد آمنت به أكثر لأنها قد اختبرت قوته في حياتها، كانوا قد علموها أن دراسة الكتاب المقدس وأن "معرفة الحق" سوف يغيرها، ومع ذلك فقد اكتشفت أن فعل الحق هو الذي جعلها تنمو.

لما كنا مستشارين صغاراً كانت هناك حركة قوية جديدة في الكنيسة الإنجيلية لتطبيق الحق الكتابي على المشاكل العاطفية. كانوا يعلمون الناس أن حفظ الكتاب المقدس والتعليم التفسيري وطهارة التعليم والدراسة الشخصية للكتاب المقدس هى مفاتيح للنمو الروحي والعاطفي. وهذا الفكر لا يزال شائعاً، فهم يعلّمون المسيحيين أنهم إذا عرفوا كتبهم المقدسة يمكن حل مشاكلهم العاطفية، ويعلمونهم أيضاً أن معرفة كلمة الله هى الشفاء لكل شئ يؤلمهم. إن دراسة الكتاب المقدس والصلاة، هكذا يعتقد المؤمنون بهذا المفهوم، هما الحل لجميع المشاكل العاطفية.

والمؤمنون بهذا الرأي يشيرون لكلمات يسوع "الحق يحرركم" (يوحنا ٨:٣٢). كما يشيرون لبعض الفقرات الوصفية عن الكتب المقدسة كمزمور ١٩:٧-١٤، أو مزمور ١١٩. ومن هذه الفقرات يؤسسون نظاماً شاملاً يعتمد على دراسة الكتاب المقدس والحق كشفاء لكل شئ، إن هذا المفهوم يبدو جيداً. فما الذي يمكن أن يبدو مسيحياً أكثر من الدفاع عن صدق كلمة الله؟ كيف يمكن لأي شخص أن يشكك في هذه التعاليم؟ إن مجرد التساؤل عن كفاية الكتاب المقدس يبدو كالهرطقة.

نحن نؤمن أن الكتاب المقدس هو كلمة الله وأن ما أعلنه كاف، ولكن ما نشك فيه هو التطبيق العملي، فهل العلاج ببساطة هو قراءة الكتاب المقدس وتعلم الحق؟ إن الافتراض الزائف هنا هو "لو عرفت الحق الإلهي سوف أنمو"، ومع ذلك فنحن نؤمن أن دراسة الكتاب المقدس وحدها ليست هى العلاج الإلهي للمشاكل العاطفية والروحية. إن الشفاء له عمل. لقد كان هذا الافتراض الزائف شائعاً لعدة قرون، وأحد أصحاب أيوب قدم له نفس النصيحة قائلاً: "تعرف به واسلم بذلك يأتيك خير. اقبل الشريعة من فيه وضع كلامه في قلبك" (ايوب ٢٢: ٢١-٢٢). لقد أكد صاحب أيوب أن ألمه سينتهي إذا فهم الحق وتضامن معه، ومع ذلك فالله وبخ الصديق لأنه أعطى أيوب هذه النصيحة الخاطئة.

قال يسوع لأولئك الناس الذين يعرفون الكتب المقدسة جيد المعرفة: "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التي تشهد لي" (يوحنا ٥: ٣٩)، وكان قادة اليهود يعكفون على دراسة تفاصيل الكتاب المقدس للدرجة التي كانت تجعلهم لا يعرفون من هو الشخص الوحيد الذي تشير له الكتب المقدسة، والوحيد الذي يمكنه أن يقودهم إلى الحياة الروحية التي تشفي حقاً.

نحن لا نقول إن كلمة الله يمكن الاستغناء عنها للنمو الروحي، كلا ليس الأمر كذلك، ولكن دراسة الكتاب المقدس وحدها ليست هى كل شئ في هذا الصدد، فالكتب المقدسة نفسها تعلم أن دراسة الكتاب المقدس ضرورية ولكنها غير كافية في حد ذاتها لقيادة الإنسان إلى الحياة المسيحية السليمة.

## غياب العلاقة

إن الحقيقة وحدها لا تخلِّص أحداً، لقد كان لدى الفريسيين كل الحق الذي يحتاجونه، ولكن ما كان ينقصهم هو علاقتهم بالله وببعضهم البعض.

والمشكلة الأساسية أننا بعيدون عن الله والآخرين، إن جوهر الحياة الروحية المصالحة مع الله والعلاقة الحية معه (٢ كورنثوس ٥: ١٨-١٩) ثم التصالح مع الأصدقاء والجيران بنفس الطريقة: أن تحب الله بكل كيانك وأن تحب الآخرين كنفسك.

**الله المتجسد:**

قالت الأم لطفلها: "لا تخف من الظلام يا حبيبي العزيز" وهى تهدئ من روع طفلها الخائف "الله معك"، فرد الطفل قائلاً "ولكني بحاجة لشخص أراه وألمسه".

نحن نتحدث باستمرار عن ضرورة العلاقة مع الله للنمو الروحي، ولكن أصحاب المزاعم الزائفة يقولون نفس الشئ. ومع ذلك فمع أنهم يعلّمون أن الصلاة ودراسة الكتاب المقدس من العوامل الشافية إلا أن تأكيدهم على دراسة الكتاب المقدس (وعلاقتهم بالله من خلال دراسة الكتاب) لا يبلغ مدى ما يعلّمه الكتاب المقدس حقاً-الإنجيل "المتجسد". وهذا يعني أنه لكي ندرك نعمة الله، فالله كان عليه أن يتجسد، لقد كان عليه أن يصبح إنساناً. وحتى اليوم فهو يحل معنا في صورة جسدية في كنيسته التي نسميها جسد المسيح، فالكنيسة هى المسيح "بصورة ملموسة". ونحن نشعر بنعمة الله ليس فقط بالدراسة عنها في الكتاب المقدس

ولكن باختبارها مجسمة، كما كانت عندما أظهرت أولاً.

ففي المستشفى الخاص بنا، كانت "فيليس" عاملة مسيحية نشيطة طوال حياتها، ومع ذلك ففي سن الخامسة والأربعين حدث لها اكتئاب جعلها غير قادرة على العمل. وعندما وضعناها أمام فريق عمل طبي حدث شئ فريد: ففي كل مرة كان أي عضو في الفريق يبدأ الحديث عن مشكلة لكي يحصل على التغذية الاسترجاعية والمساعدة من الفريق، كانت فيليس تقتبس آية من الكتاب المقدس لتقولها له. ما من أحد روى قصته أو قصتها دون تدخل من فيليس لاقتباس آية من الكتاب المقدس.

لقد أدرك المرضى وهيئة المستشفى بسرعة شيئين-لقد كانت فيليس ملمة إلماماً مذهلاً بالكتاب المقدس، ولم تكن قادرة بالفعل على أن تنشئ علاقات حميمة مع الآخرين. ونتيجة لذلك كانت فيليس تشعر بالوحدة في الداخل. لقد كانت تعرف الكثير عن محبة الله، ولكنها اختبرت القليل جداً. ولأنها كانت معزولة من الآخرين عاطفياً أصبحت مكتئبة. كانت فيليس تحاول أن تكوّن علاقة مع الله بعيداً عن جسده (الكنيسة)، ولذلك لم تصلح هذه العلاقة: كتب الرسول يوحنا عن تكوين علاقة مع الله بمعزل عن كنيستة فقال: "إن قال أحدٌ إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره) (١ يوحنا ٤: ٢٠). نحن بحاجة لله "في صورة ملموسة" وهذا هو دور جسد المسيح. "ولكن قبل كل شئ لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا. كونوا مضيفين بعضكم بعضاً بلا دمدمة. ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١ بطرس ٤: ٨-١٠). إن البشر هم وكلاء الله للتبشير بنعمته وتقديمها للآخرين.

إن نعمة الله ليست شيئاً نتعلمه فقط بقراءة الكتاب المقدس، فنحن ندركها في العلاقات الإنسانية.

### أيدي الشفاء للبشر أيضاً:

إن الحق بدون علاقة يبعدنا عن الشفاء الذي يريده الله لنا في جسده، فالمسيحيون يقال لهم أن يدرسوا الكتاب المقدس لنموهم وراحتهم، ولكن الكتاب المقدس الذي يقرأونه يعلمهم أن يرجعوا للعلاقات الإنسانية طلباً للشفاء: اذهبوا ولازموا بعضكم بعضاً، عزوا بعضكم بعضاً، بكاء مع الباكين، واجهوا بعضكم بعضاً واعترفوا بعضكم لبعض، شجعوا بعضكم بعضاً وابنوا بعضكم بعضاً، فعناصر الترابط هذه ضرورية للنمو والتغيير في النفس.

"بل صادقين في المحبة ننمو في كل شئ إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ١٥-١٦). إن التعليم القائل: "إذا عرفت الحق سوف أنمو" يعارض بوضوح السلطان الكتابي بأن نذهب إلى جسد المسيح للنمو، فأنت لا يمكن أن تقرأ الكتاب المقدس وتعتقد أنه يقول إن دراسته كافية. إنه يشير ليسوع للعلاقة معه ومع شعبه.

سبب آخر يجعل هذا الافتراض الزائف ضاراً، إنه يعلّم ضد نفس الحقيقة التي تنادي بأن ندرس الكتاب المقدس، فالله قد صمم التقديس الذي له عدة عناصر بخلاف دراسة الكتاب وتعلم الحق. وهذه العناصر تتضمن ممارسة الحق: أن نضع الكتاب المقدس جانباً ونذهب ونعمل ما يطالبنا بأن نعمله:

"ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم. لأنه إن كان أحد سامعاً للكلمة وليس عاملاً فذاك يشبه رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة. فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت نسي ما هو. ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة، فهذا يكون مغبوطاً في عمله" (يعقوب ١:٢٢-٢٥). وبمعنى آخر يقول يعقوب: "ضع كتابك المقدس واذهب اعمل به". وقال يسوع لسامعيه نفس الشئ:

"ولماذا تدعونني يارب يارب وأنتم لا تفعلون ما أقوله. كل من يأتي إليَّ ويسمع كلامي ويعمل به أريكم من يشبه. يشبه إنساناً بنى بيتاً وحفر وعمَّق ووضع الأساس على الصخر. فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر أن يزعزعه لأنه كان مؤسساً على الصخر، وأما الذي يسمع ولا يعمل فيشبه إنساناً بنى بيته على الأرض من دون أساس. فصدمه النهر فسقط حالاً وكان خراب ذلك البيت عظيماً" (لوقا ٦:٤٦-٤٩).
إن هذه الفقرات تقارن سامعي كلمة الله بأولئك الذين يعملون بالكلمة، والمسيح يقول إن مجرد سماع كلمته ليس له قيمة حقيقية. والناس الذين يعلّموهم أن يتغلبوا على مشاكلهم العاطفية بمجرد قراءة كتبهم المقدسة والصلاة يتعلمون أن يصبحوا سامعين للكلمة. ولن يكون هناك شفاء حقيقي مع ذلك حتى يصبحوا عاملين بالكلمة، فدراسة الكتاب المقدس وحده قد وضعت في مركز لم يقصده الله أبداً. فالله يقول إن الكتاب المقدس هام لأنه يوجهنا نحو يسوع، ويخبرنا كيف نمارس علاقتنا بالله وبالآخرين-بل أنه في الواقع- يصلح كمرشد لحياتنا كلها.

مع أن "تيري" قد مارست أنواعاً عديدة من الخدمة المسيحية طوال سنسن عديدة إلا أنها أصبحت بلا مبرر مكتئبة ميالة للانتحار خلال مهمة عمل مرسلي لمدة شهرين، وسرعان ما تعلمت الخطوات الأولى للتعبير عن ألمها في جلسة العلاج النفسي والسماح للآخرين بمواساتها والتخفيف عنها، وقد تعلمت أن تكون أمينة مع الله وتنشئ علاقة معه، وعملت على أن تصفح عن الناس الذين كانت تكن لهم ضغائن عميقة، وأصبحت على اتصال بجسد المسيح.

وعندما فارق الاكتئاب تيري تحسنت علاقتها مع الله وبدأت تنمو في محبتها لله بدلاً من أن تشعر بأنها تخدمه تحت اضطرار.

ثم حدث شئ ما، لقد جاءتني تيري في مكتبي يوماً ما وهي خائفة جداً ومضطربة ومتباعدة بعض الشئ. وقالت والدموع في عينيها: "لا أعلم إن كان يمكنني أن أثق فيك بعد ذلك" "لقد قابلت لتوي معلمتي الروحية السابقة وقالت لي إنك هرطوقية، فسألتها "ماذا تعني بذلك؟" فقالت لي "إنك من دعاة الفلسفة الإنسانية

العالمية وأنها لا تريد أن تراني مرة أخرى أو تستمع لما أقوله".

فقلت لها "وماذا قالت لك أن تفعليه بدلاً من ذلك؟"، فقد كنت قلقاً عليها، لأني علمت أنه مع أن تيري قد حققت تقدماً كبيراً في العلاج إلا أنها لم تكمل جرعتها العلاجية.

"قالت إني بحاجة للعودة للكتاب المقدس والاعتماد عليه وحده، وأن الكتاب كاف لجميع احتياجاتي ومتاعبي، وقالت إن الاستشارات الطبية ليست من عند الله، وأني إذا قرأت الكتاب المقدس وحفظت الحق فإنه سوف يحررني".

فقلت لها "أريدك أن تفكري بجد "يا تيري" ماذا يمكنك أن تقولي عما كنت تفعلينه في جلسات العلاج النفسي؟"

قالت "ماذا تعني؟".

قلت: "ما الذي تعلمته وفعلته منذ أن أتيت لفحصك؟"

قالت: "أن أعرف مصدر حزني، وأني بحاجة للصفح، وقد انفتحت على الآخرين وجعلتهم يساندونني، لقد حاولت أن أنفصل عن أمي حتى تكون لي علاقة أفضل مع زوجي، وحاولت أن أكون أكثر أمانة فيما يتعلق بصراعاتي بأن أثق في الآخرين، لقد حاولت أن أكون أكثر أمانة مع الله".

فقلت لها: "والآن دعنا نلقي نظرة عن كثب على ما قمت به من عمل ونقارنه بتعليم الكتاب المقدس، فسليمان وبولس تكلما عن الحزن، ويسوع وبولس تحدثا عن الصفح. ويسوع وبولس وبطرس وداود ويوحنا يحثون سامعيهم أن يتصلوا بالآخرين طلباً للمعونة. وسفر التكوين يتحدث عن الترك والالتصاق "فليترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً" (تكوين ٢:٢٤). ويسوع يقول إنك يمكن أن تكون معادياً لأفراد أسرتك عندما تبدأ أن تفعل ما يقوله، وكل من بولس ويعقوب يكتبان عن الأمانة والاعتراف بعضنا لبعض بالزلات والمشاعر والخطايا. وقد أكد أيوب ويسوع العلاقات الأمينة مع الله. ويبدو لي إنك تفعلين بالضبط ما يخبرك الكتاب المقدس أن تفعليه، ولهذا السبب فإنك تتحسنين. إن المكان الذي تحصلين فيه على العلاج النفسي هو المكان الذي تفعلين فيه ما أمر الله به، ويبدو لي أن معلمتك الروحية السابقة تريدك أن تقرأي الكتاب المقدس فقط دون أن تعملي بما يقوله".

فقالت تيري ببطء: "أظن أني أفعل حقاً ما ينادي به، ولكن هذه المعلمة تبدو روحية جداً...ولذا تراني مرتبكة...".

فقلت لها: "ليست لديّ الرغبة أن أتحكم فيك ياتيري. أريدك أن تذهبي للآخرين وتخبريهم كل ما نفعله هنا ثم تأخذي رأيهم، ثم اذهبي للبيت واقرأي كتابك المقدس كما اقترحت عليك في الماضي"، وأخيراً قرري إن كنت تريدين مواصلة الجرعة العلاجية هنا أم تتبعي نصيحتها وتعاليمها. أريد أن يكون القرار هو قرارك، وأريدك من ذلك بالحديث إلى اثنين من الرعاة واخبريهما بما تفعلينه بالضبط". سرعان ما عادت تيري لطريقها التي كانت سائرة فيه وهي تمارس الأعمال التي أفادتها، ولكن دون خوف كبير من عصيان مرشدتها الروحية.

إن المشاكل الحقيقية تنشأ عندما يقوم الناس الذين يطلبون الاستشارة بعمل جاد لتنفيذ ما يتلقونه من توجيهات لعلاجهم، ثم يقوم أحد مرشديهم الروحيين بإدانة ما يقومون به من أعمال داعياً إياه "فلسفة إنسانية عالمية"، ثم يعلمونهم العودة للوسائل الكتابية طلباً للشفاء-ودراسة الكتاب المقدس والصلاة. وعندما يدرسون كتابهم يجدون أنه يخبرهم أن يعملوا الأشياء التي كانوا يفعلونها بناء على جلسات العلاج النفسي، تحمل مسئولية ما بداخلهم، كشف الظلام والحزن والصفح والمصالحة والتعلم والمواجهة، التعبير عن المشاعر والاعتراف والمساندة.

هذا بالضبط أسخف شئ في الافتراض الزائف القائل "إذا عرفت الحقيقة فسوف أنمو"، إنه يخبر الناس أن يدرسوا كتابهم المقدس، ومع ذلك يمنعهم من عمل ما يقوله الكتاب المقدس.

## تغيير الشخصية

إن تغيير الشخصية بمعنى أن نتغير لنكون على صورة الله-هو مفتاح الشفاء الحقيقي لجميعنا (٢ كورنثوس ٣ :١٨).

ولكن مثل هذا التحول عمل شاق، إنه يحدث ليس بمجرد حفظ الكتاب المقدس ومحاولة أن تغمر بالحق غمراً تاماً، وهذه هى طريقة الفريسيين. إن التغيير الحقيقي في الشخصية يأتي من ممارسة الحقيقة وليس مجرد الاستماع إليها، والمستغرقون بنشاط في مهمة تغيير شخصياتهم وعودتها إلى وضعها السوي يؤدون العمل الجاد بإنكار أنفسهم، فلا يجب أن نخبرهم أن يتوقفوا عن عمل الحق وبدلاً من ذلك نخبرهم أن يدرسوا الحق أو يستمعوا إليه في عظات تفسيرية. فالعمل الحقيقي يؤدي بالإنسان أن يكون متواضعاً ومحباً، مسئولاً ومتسامحاً، مطهراً ومتغيراً، ومنهمكاً بنشاط في الإتيان بالآخرين لنفس النوع من الشفاء (٢ كورنثوس ١ :٣-٤). تعلم الحق وادرس كتابك المقدس بمواظبة، ولكن لا تتوقف عند هذا الحد. خذ ما يقوله ونفذه بممارسة عملية الشفاء التي يشير إليها. فالتمسك بتعاليم الكتاب المقدس وليس مجرد معرفته يحررك (يوحنا ٨ :٣١-٣٢).

وقد نبر يسوع على ضرورة العمل بما قاله "والذي في الأرض الجيدة هو الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر" (لوقا ٨ :١٥). إن فعلنا هذا بإخلاص نصبح مثله فهو الذي قال: "اعرفه واحفظ قوله" (يوحنا ٨ :٥٥)، وعند حفظ كلمته نجد الحياة والصحة حقاً.

"بم يزكي الشاب طريقه. بحفظه إياه حسب كلامك...بطريق شهاداتك فرحت كما على كل الغنى" (مزمور ١١٩ :٩و١٤).

# خاتمة

إننا نأسف لكتابة هذا الكتاب، فهو غير كامل.

هذه الافتراضات الاثنى عشر الزائفة هى تعاليم النمو الرئيسية التي تناهضها الكنيسة، ولكن هناك المزيد منها باستمرار، وكما قال أحد أساتذة اللاهوت: "إن قدرتنا على التفنن في ابتداع الخطية تتوقف على فسادنا".

ما الشئ المفروض على المسيحي أن يعمله؟

١- ابحث عن الله واطلب منه أن ينير فكرك بحقه وحكمته. إذا كان التعليم صحيحاً فالله يريدك أن تفهم أنه هو النبع الذي ينبثق فيه كل الحق.

٢- ليكن الكتاب المقدس المرجع النهائي لك: لا تسمح لأي لهجة غريبة ذات طابع ديني أو لمستوى الذكاء أو للبلاغة أو للسلطة أو للإخلاص أن تقودك إلى التعليم الصحيح، امتحن الأرواح وفقاً لكلمة الله، وعندما تقرأ الكتاب المقدس استرجع الآيات من ترجمات مختلفة، وراجع سياق الكلام هل الفكرة تناسب الفقرة؟ تعلم الاعتماد على نفسك كطالب يدرس الكتاب المقدس. يوجد الكثير من التعليقات الجيدة والقواميس والوسائل المعينة على دراسة الكتاب المقدس في المكتبات المسيحية، وانضم إلى حلقة دراسية لدراسة الكتاب المقدس تنظمها كنيستك (أو كنائس أخرى).

٣- تعلم التفكير النقدي: وبمعنى آخر لا تصدق شيئاً لمجرد أن شخصية مهمة نادت به (بما فيها نحن). احذر المعلمين الذين تجعل أسئلتك موقفهم ضعيفاً، فيسوع أجاب على أسئلة الناس ولكن الفريسيين شعروا بالإهانة لتوجيه الأسئلة لهم.

٤- اقض وقتاً مع الناس الذين يفكرون باستقلالية: اعرف ما هى الأسئلة التي يسألونها عندما يقرأون معلومة جديدة، فالاستقلاليون غالباً يعثرون على الدرر النفيسة التي لا يلحظها التقليديون وأتباع مذاهب دينية بعينها، لأنهم متمسكون بتقاليدهم.

٥- اسأل نفسك إن كنت تؤمن بشئ ما لأنك تعلمته هكذا أو لأنه صحيح: فكثير من الناس لا يتساءلون عن مدى صحة الافتراضات الزائفة لأن ذلك قد يضعف من ولائهم لعائلتهم أو كنيستهم أو مجتمعهم. تذكر أن الحق الإلهي يفوز دائماً في النهاية.

٦- انظر إلى ثمرة التعليم: هل يقود للمحبة والمسئولية وضبط النفس والتسامح؟ أم هل يجلب العزلة والقهر والشعور بالذنب والخجل؟ صلاتنا أن تنقب تحت كل افتراض زائف لتبحث عن الحق والحق يقودك ليسوع.

**المؤلفين**



يطرح هذا الكتاب اثنى عشر افتراضا، يعتقد الكثيرون بصحتها، ولكن الكتاب يتناول بالشرح والأدلة من الكتاب المقدس ما يفند هذه الافتراضات، ويضعف من تأثيرها على عقول الكثيرين.

كما ينبر الكتاب على طريقة فهمنا لهذه الافتراضات، ومحاولة الغوص في أعماقها لنخرج منها بمنظور أشمل.

دار الثقافة

١٠١٠٠٢٥٨